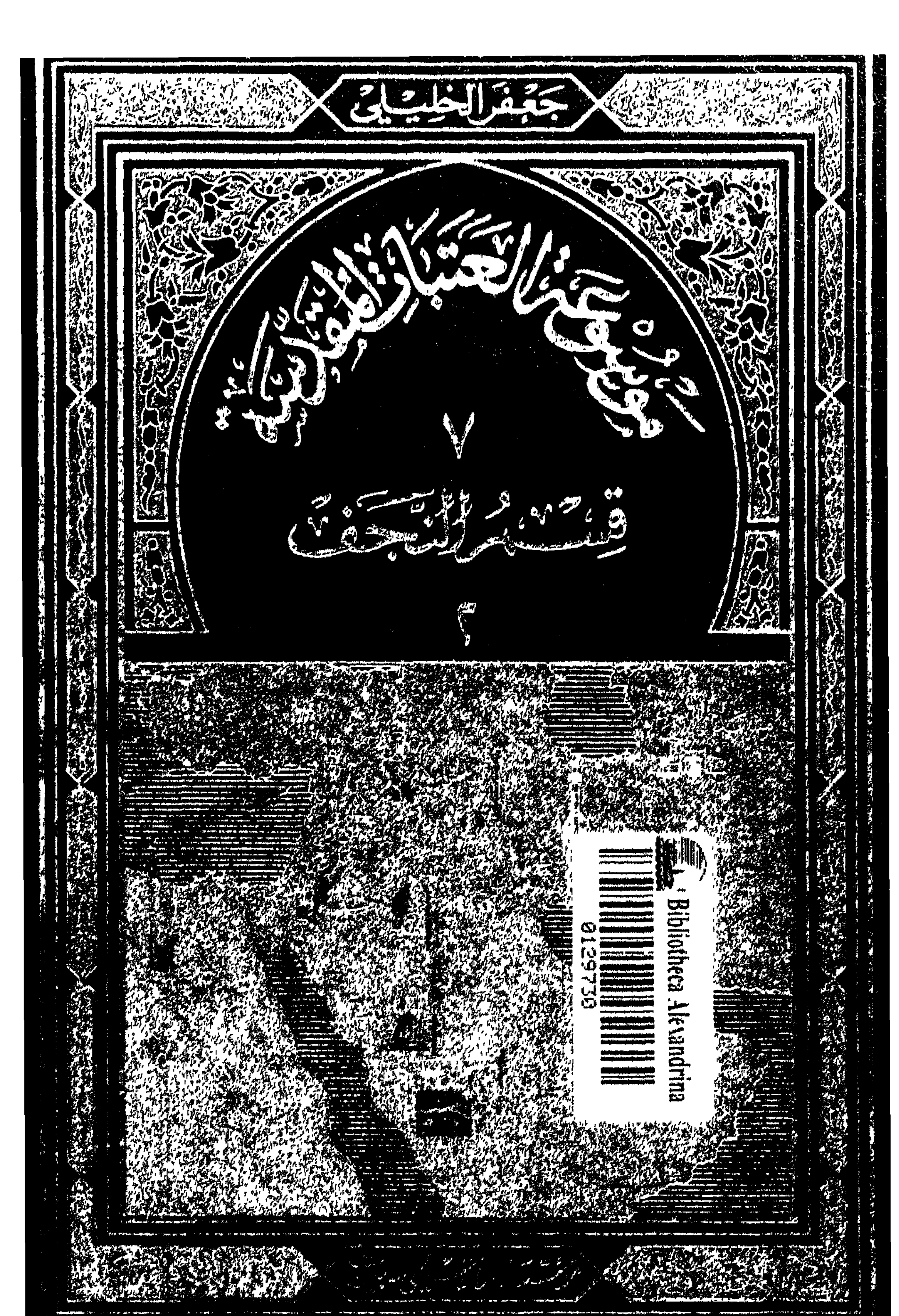

جعفر الخليلي
موسوعة العتبات المقدسة
٧
قسم النجف
٣
Bibliotheca Alexandrina
0129730







موسوعة العتبات المقدسة

قسم النجف ٧



موسوعة العتبات المقدسة

٧

الجزء الثاني من

قسم النجف

جعفر الخليلي

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الثانية
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠



وبه نستعين

لم نزل نعتقد ان القسم الخاص بتاريخ النجف من موسوعة العتبات المقدسة لن يقل عن عشرة اجزاء نأمل ان نأتي فيها على تاريخ هذه العتبة منذ اول دخول اسمها سجل التاريخ حتى هذا اليوم ، متوخين في ذلك الاحاطة التامة بجميع ما يتعلق بهذه العتبة من جميع وجوهها التاريخية والعمرانية ، والاجتماعية ، والعلمية ، والادبية ، والسياسية في غربلة يفرضها الاسلوب الحديث ، والعقلية العلمية ، ولما كان مثل هذا المشروع لن يتم على وجهه الكامل ، والوجه القريب من الكمال على الاقل ، الا على ايدي المتخصصين من ارباب العلم ، والمعرفة ، فقد وضعنا لكل قسم ولكل جزء تخطيطاً هو اشبه بتخطيط البناء وتصاميم المشاريع ثم نطنا كل جانب بأهل الخبرة والاطلاع وارباب الاختصاص .

وعلى هذه الطريقة اتممنا الجزء الاول من (قسم النجف) وهذا هو الجزء الثاني الذي تمت مسوداته قبل غيره من الاجزاء الخاصة بالاقسام الاخرى ، ولما كنا قد التزمنا بطبع اي جزء يفرغ مؤلفوه من تأليفه دون

مراعاة اي ترتيب آخر . فقد تقدمنا بطبع هذا الجزء على ان نلحق به الاجزاء الاخرى حتى نبلغ الجزء العاشر الذي نظن اننا سنستوفي به كل تاريخ النجف وفق الخطة المرسومة للتأليف .

والجزء الثاني هذا كما يرى القارىء يشتمل على معلومات ثقافية تخص تاريخ الدراسة . ونوعها ، وطريقتها ، ومراحلها ، والكتب الخاصة بها ، ثم المدارس وهندستها وسكانها وطريقة معيشة هؤلاء السكان من الطلاب منذ اول تاريخها حتى هذا اليوم ، وما جرى عليها من تطور في البناء والهيكل والوقف ، ثم مكتبات النجف التي كسبت كتبها في كثير من الازمان شهرة كبيرة من حيث انفرادها وانحصارها بها ، وقدم نسخها ، وبهذا الجزء تم الحصول على معلومات وافية كافية عن تاريخ الجانب المهم من الثقافة النجفية في دراستها ، ومدارسها ، ومكتباتها .

اما الادب النجفي وطريقته ، ولونه ، وطابعه ، والادباء النجفيون ، ونشأتهم ، وامزجتهم الادبية ، مما يمثل جانباً آخر من الثقافة فقد خصص له مكان آخر في احد الاجزاء الاخرى . ولا نبتغي من وراء هذا المسعى الا ان نكون قد وفقنا في وضع لبنة ولو كانت صغيرة في بناء هذا الصرح العظيم ، صرح العتبات المقدسة الشامخ بالمجد والعظمة ، ويخيل إلينا اننا قد وضعنا او على الاقل بدأنا نضع هذه اللبنة سائلين الله ان يأخذ بايدينا الى النهـــاية .

بغداد

الدراسة

وتاريخها في النجف

كتبـــه

السيد محمد بحر العلوم

خريج كلية الفقه والعضو الاداري

لجمعيـــة الرابطة العلميـــة

وجمعية منتدى النشر في النجف الاشرف



تمهيد

« انا مدينة العلم وعلي بابها »

« الحديث الشريف »

تشرفت النجف بمرقد مثال العلم والمعرفة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام الانسان الذي قال فيه رسول الله (ص) الحديث الشريف « انـا مدينة العلم ، وعلي بابها » .

وكان الحري بهذه المدينة المقدسة ان تصبح بعد زمان محطاً لانظار العالم الاسلامي يهاجر اليها المئات من طلاب الفضيلة للتفقه ، والاشتغال العلمي ، وتتوجه اليها نفوس الملايين من المسلمين في اقطار العالم الاسلامي كافة ، ينظرون اليها بعين ملؤها التعظيم ، والاجلال ، والتقديس ، وتكون يوماً ما مقراً للافتاء ، والتقليد ، ومركزاً للمرجعية الكبرى التي تدير شؤون الشيعة في العالم الاسلامي .

وبرزت النجف الاشرف على مسرح التاريخ كجامعة علمية دينية لها جذورها القديمة ، ولها تراثها الاصيل الخاص ، والذي يمثل الفقه والاصول ، وان لم تعدم جوانب المعرفة الاخرى ، والثقافة العامة ، وخاصة الادب

العربي فلقد اسهمت فيه هذه المدينة اسهاماً كبيراً يتجلى ذلك في الكتب الكثيرة التي اصدرتها في ميدان النثر والشعر .

وحتى اصبحت النجف الاشرف بثروتها الادبية مصدراً ثراً في دنيا الادب يفرض نفسه على التراث الادبي الاصيل بكل فخر واعتزاز .

ومن أجل ان نصل الى تحديد تاريخي للبنة الاولى لحياة هذه الجامعة العلمية ، لا بد ان نستعرض تاريخ هذه المدينة المقدسة العلمي ، لننتهي الى ما نصبو اليه .

النجف قبل الشيخ الطوسي

يدور سؤال على الشفاه : ما ذا كانت النجف الاشرف قبل هجرة الشيخ الطوسي اليها من الناحية العلمية ؟.

ويبدو هنا اتجاهان :

احدهما ــ يذهب الى وجود حركة علمية في هذه المدينة المقدسة .

وثانيهما ــ ان النجف كانت قاحلة علمياً ، وعند هجرة الشيخ الطوسي اليها أوجد فيها حركة علمية .

وعند استعراضنا لمثبتات الذاهبين الى القول بوجود حركة علمية قبل الشيخ الطوسي نراها تتلخص بما يلي :

١ ــ أورد السيد ابن طاووس (١) ــ وهو من المختصين بتاريخ النجف ــ

---

(١) غياث الدين عبد الكريم بن احمد ، المعروف بابن طاووس ، والمنتهي نسبه الى الحسن المثنى ابن الامام الحسن (ع) ، ولد في كربلا سنة ٦٤٨ هـ ، ونشأ في الحلة ، وكان تحصيله في بغداد ، وتوفي بمشهد الامام موسى بن جعفر (ع) (الكاظمية) سنة ٦٩٣ هـ ، وحمل نعشه الى جده الامام علي بن ابي طالب (ع) فكان عمره الشريف ٤٥ سنة .

(فرحة الغري ــ عبد الكريم بن طاووس : المقدمة ــ طبع النجف مطبعة الحيدرية ١٣٦٨)

بان عضد الدولة (١) زار المشهد العلوي الطاهر عام ٣٧١ ﻫ ، وتصدق ، واعطى الناس على اختلاف طبقاتهم ، وكان نصيب الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم . (٢)

٢ ـ صدور إجازات علمية من النجف الاشرف قبل ورود الشيخ الطوسي اليها .

منها : ما نقلته المصادر بان من مشائخ الشيخ الصدوق (٣) ، محمد بن علي بن الفضل الكوفي (٤) ، سمع منه سنة ٣٥٤ ﻫ ، عند وروده الى الكوفة وهو في طريقه الى الحج ؛ وكان سماعه بمشهد امير المؤمنين » (٥) .

---

(١) ابو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة ابي علي الحسن بن ابي شجاع بويه بن فناخسرو ابن تمام ، والذي ينتهي نسبه الى بهرام جودا الملك ابن يزدجر . وصفت المصادر بأن عضد الدولة ـ من وزراء الدولة العباسية ـ كان محباً لآل البيت(ع) ، ومكبراً العلماء ، ولد باصبهان عام ٣٢٤ ﻫ ، وتوفي عام ٣٧٢ ﻫ ببغداد ، ونقل الى مشهد الامام امير المؤمنين عليه السلام بوصية منه ، ومن اثاره تجديد عمارة القبة المطهرة للحرم العلوي .

(الكنى والالقاب ـ للشيخ عباس القمي : ٤٣٣ـ٢ طبع النجف)

(٢) فرحة الغري : ١١٣ ـ ١١٤ ، وربما يستشف من ابن الاثير في تاريخه : ٢٣٤ ـ ٨ هذا المعنى .

(٣) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، رئيس المحدثين ، ابوجعفر ، المعروف بالصدوق ، قال العلامه : « نزيل الري شيخنا وفقيهنا ، ورد بغداد سنة ٣٥٥ ﻫ وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن ، كان جليلا حافظاً الاحاديث بصيراً بالرجال ناقداً للاخبار لم يرَ في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه ، له نحو ٣٠٠ مصنف ، توفي رضي الله عنه في الري (قرب عبد العظيم بطهران) سنة ٣٨١ ﻫ .

(رجال العلامة الحلي : ١٤٧ طبع النجف)

(٤) محمد بن علي بن الفضل بن تمام الدهقان ، ابو الحسين الكوفي ، عده الشيخ الطوسي في رجاله من لم يرو عن الأئمة (ع) : كثير الرواية ، كان ثقة عينا ، صحيح الاعتقاد ، جيد التصنيف له مؤلفات كثيرة ، روى عن عدد كبير من رجال القرن الرابع الهجري .

(رجال المامقاني : ١٥٨ ـ ٣ طبعة النجف)

(٥) من لا يحضره الفقيه . المقدمة ص ١٩ طبع النجف .

ومنها : ما ذكره النجاشي (١) في ترجمةالحسين بن احمد بن المغيرة ابي عبد الله البوشنجي ما نصه :

«كان عراقياً مضطرب المذهب ، وكان ثقة فيما يرويه ، له كتاب (عمل السلطان) أجازنا بروايته ابو عبد الله (الحسين بن جعفر بن محمد المخزومي الخزاز المعروف) بابن الخمري الشيخ الصالح بمشهد مولانا امير المؤمنين (ع) سنة اربعمائة» . (٢)

٣ ــ ورد ذكر لبعض البيوت العلمية التي لمعت في النجف في القرن الرابع الخامس كآل شهريار (٣) ، وآل الطحال (٤) ، وغيرهما . وقد جمعت هذه البيوت بين الفضيلة وخدمة الروضة الحيدرية .

٤ ــ النقابة في النجف : وهذا المركز اقرب الى الروحي من غيره ، ولقد ذكرت الكتب المختصة ان عدداً من الاعلام تولوا نقابة المشهد .

---

(١) الشيخ احمد بن علي بن احمد بن العباس النجاشي ، ابو العباس ، صاحب الرجال المعروف اتكل عليه كافة علماء الامامية في رجالهم ، ولد سنة ٣٧٢ هـ ، وتوفي عام ٤٥٠ بمطير اباد من نواحي سرمن‌رای .

(الكنى والالقاب : ٢٠٧-٢)

(٢) رجال النجاشي : ٥٤ طبع طهران

(٣) آل شهريار : من الاسر العلمية ، البعيدة الذكر ، القديمة العهد ، خدمت العلم والدين والمرقد العلوي . عرفت بالنجف في القرن الرابع ، واشتهرت بالقرن الخامس وامتد بقاؤها الى اواخر القرن السادس الهجري .

(ماضي النجف وحاضرها ــ الشيخ جعفر حبوبه ٢٠٤-٢ طبع النجف)

(٤) آل الطحال : اسرة علمية قديمة عرفت بالقرن الرابع في النجف ، وبقيت حتى اواخر السادس الهجري ، من خدم الحضرة العلوية ، تنتسب الى المقداد بن الاسود الكندي .

(ماضي النجف حاضرها : ٤٢٣ - ٢) .

منهم السيد شريف الدين محمد المعروف بابن السدرة (١) ، اقام في النجف عام ٣٠٨ هـ ، حتى توفي فيه ، وكذلك ناصر الدين مطهر بن رضي الدين محمد بن الحسين (٢) ، وقد تولى نقابة المشهدين العلوي والحسيني) ، بالاضافة الى الكوفة اشهرا .

٥ ــ علماء نسبوا الى النجف قبل عهد الشيخ الطوسي . منهم :

آ ــ احمد بن عبد الله الغروي ، يروي عن ابان بن عثمان من اصحاب الامام الصادق (ع) (٣) .

ب ــ شرف الدين بن علي النجفي ، وصفه الشيخ الطوسي بقوله : «كان صالحاً فاضلاً » (٤) .

جـ ــ عبد الله بن احمد بن شهريار ، ابو طاهر : كان معاصراً للشيخ المفيد ، يروي عنه ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، والنجاشي في كتاب الامامة (٥) .

د ــ احمد بن شهريار ، ابو نصر الخازن للحضرة الغروية ، كان من رجال العلم وحملة الحديث ، معاصراً للشيخ الطوسي (٦) .

---

(١) قال البراقي في (تاريخ الكوفة : ٢١٨ طبع النجف) « السيد شريف الدين محمد المعروف بابن السدرة ، نازع ابا الحسين زيداً الاسود بن الحسين بن كتيلة فضيق عليه وغلبه ، وصار هو النقيب ، وسافر الى المشهد الغري في النجف ، واقام فيه سنة ٣٠٨ حتى توفي » .

(٢) انهى البراقي في (تاريخ الكوفة : ٢١٧) نسبه الى عرب شاه حمزة بن احمد بن السيد عبدالعظيم الحسيني .

(٣) رجال المامقاني : ٦٥ – ١

(٤) نفس المصدر : ٨٣ – ٢ .

(٥) ماضي النجف وحاضرها : ٤٠٤ – ٤٠٥ – ٢ عن علماء المأة الخامسة للشيخ اغا بزرك الطهراني

(٦) ماضي النجف وحاضرها : ٤٠٣ – ٢

وغير هؤلاء كثيرون لو حاولنا تتبع تراجمهم .

٦ـ وذهب البعض بأن الشاعر الحسين بن احمد المعروف بابن الحجاج (١) اراد بهذا البيت :

وقل سلام من الله السلام على　　أهل السلام ، واهل العلم والشرف

الاشارة لأهل العلم الساكنين في النجف الاشرف ، والمجاورين لقبر الإمام علي عليه السلام (٢) وذلك عند زيارته للنجف في اواخر القرن الرابع الهجري ، وانشد قصيدته المشهورة :

يا صاحب القبة البيضا على النجف　　من زار قبرك واستشفى لديك شفي

هذه هي أهم مقومات الذاهبين الى القول بأن الهيئة العلمية في النجف كانت قبل هجرة الشيخ الطوسي .

ومن هذه المقومات انسابت الافكار في التحديد التاريخي لتأسيس الجامعة النجفية ، وتكاد تنحصر في اتجاهين :

الاول ـ انها تأسست على يد الشيخ المفيد (٣) ـ استاذ الشيخ الطوسي ـ

---

(١) الحسين بن احمد بن الحجاج النيلي البغدادي ، ابو عبد الله ، شاعر فحل ، من كتاب العصر البويهي ، من شعراء اهل البيت (ع) شاعر العصر جمع بين الجد والهزل ، كان معاصراً للشريفين المرتضى والرضي ، له ديوان شعر يقع في عدة مجلدات ، توفي عام ٣٩١ هـ ودفن في الكاظمية .
(يتيمة الدهر للثعالبي : ٣١ ١٠٤ ـ ٣ ، الاعلام للزركلي : ٢٤٩ ـ ٢ الكنى والالقاب : ٢٥١ـ٢٥٣ ـ ٢)

(٢) حديث الجامعة النجفية ـ للمرحوم الشيخ محمد رضا شمس الدين : ١١ طبع النجف .

(٣) محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام ، ابو عبد الله ، المعروف بالمفيد ، قال النجاشي في (رجاله : ٣١١) « شيخنا واستاذنا رضي الله عنه ، فضله اشهر من ان يوصف في الفقه والكلام ، والرواية ، والثقة والعلم » شيخ مشائخ الامامية ، وقال ابن النديم : انتهت اليه رئاسة متكلمي الشيعة ـ

وذلك عندما انتقل اليها من بغداد ، او (عند نفيه منها على حد تعبير بعض المترجمين) من قبل السلطة المسؤولة ، وذلك بسبب ما حصل هناك من الاختلافات والثورات الطائفية ، فاختار الشيخ النجف الاشرف .

ويرى البعض ان انتقال الشيخ المفيد الى النجف كان برغبة من البويهيين الذين يؤيدون المذهب الشيعي ، ولقد حدثتنا المصادر : بان في ايام عضد الدولة نشطت الحركة العلمية في بغـــداد وغيرها ، وكان نصيب النجف الاشرف كبيراً ، فقد كان يرغب في تأسيس حركة مناهضة للحركة العلمية في بغداد ، بدافع العقيدة ، ولذا أخذ يبذل الأموال الطائلة في تشييد مرقد الامام علي عليه السلام ، والاهتمام بالعلماء الذين فيها . (١)

ونقلت المصادر : بأن عضد الدولة كان يحترم الشيخ المفيد الى حد كان يحمله على زيارته في داره . (٢) ولعل هذا الاحترام للشيخ ، والاتصال الاكيد به من قبل الوزير عضد الدولة هو الذي دفع باصحاب هذا الاحتمال الى نسبة تأسيس الجامعة النجفية الى الشيخ المفيد . (٣)

وهذا الرأي ، وهو نسبة تأسيس الجامعة النجفية الى الشيخ المفيد ، يبقى مفتقراً الى الدعم التاريخي ، فالذي نقرأه في ثنايا التاريخ لم يشعرنا من قريب او بعيد بأن الشيخ المفيد انتقل الى النجف كمهاجر اليها سواء

= ولد عام ٣٣٦ هـ ، وتوفي ببغداد عام ٤١٣ هـ ودفن في الحرم الطاهر بالكاظمية ، عد له النجاشي : مائة وأربعة وسبعين كتاباً ورسالة ومسألة وجوابا .

(رجال النجاشي : ٣١١ — ٣١٦ ورجال الطوسي ٤١٤ طبع النجف والكنى والالقاب : ١٧١ — ٣

(١) مقدمة خصال الصدوق : ٥٧ طبع طهران فارسي ،

(٢) رجال الطوسي : المقدمة بقلم السيد محمد صادق بحر العلوم : ص ٧ طبع النجف

(٣) حديث الجامعة النجفية : ٢٣ — ٢٤ .

بمحض اختياره ، او بطلب من عضد الدولة ، او بنفي من قبل الدولة .

والقول الاخير خاصة — وهو موضوع النفي — بعيد كل البعد ، لأن الشيخ المفيد عاش في عهد البويهيين ، محترماً كل الاحترام ، ومقدراً كل التقدير . ولقد نقلت لنا الروايات بأن « يوم وفاته كان مشهوراً ، وشيعه ثمانون الفاً من الرافضة والشيعة » . (١)

اما في حياته فقد كانت ملوك الاطراف تعتقد به لكثرة الميل الى الشيعة في ذلك الزمان ، وكان يحضر مجلسه خلق عظيم من العلماء من جميع الطوائف والملل » . (٢)

وقال اليافعي : « وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية » . (٣)

واذا كان الامر بهذه المثابة من الاحترام والتقدير فكيف نحتمل ان الشيخ المفيد نفي من بغداد ؟ بالاضافة الى اننا لم نعثر على مصدر تاريخي يدعم هذا القول ، ولهذا فليس بالامكان اخذه بنظر الاعتبار .

الثاني — ان تأسيس الجامعة ينتهي الى أبعد من هذا . فهناك من يعتقد ان النجف في واقعها امتداد الى معهد الكوفة العلمي ، والذي شيد اركانه الإمام علي عليه السلام ، وبلغ أوجه في عهد الامام الصادق (ع) .

---

(١) رجال الطوسي ، المقدمة : ٧ .
(٢) البداية والنهاية — لابن كثير : ١٥ — ١٢ .
(٣) مرآة الجنان : حوادث سنة ٤١٣ هـ .

فلقد اعتبرت مدرسته من ابرز المدارس العلمية في الكوفة ، وكان رواة ابي عبد الله عليه السلام اربعة آلاف أو يزيدون . (١)

يقول الحسن الوشاء (٢) : « إني ادركت في هذا المسجد – ويعني مسجد الكوفة – تسعمائة شيخ كل يقول : حدثني جعفر بن محمد عليه السلام » (٣) .

وكان في طليعة اولئك الذين اخذوا عنه العلم : ابو حنيفة النعمان بن ثابت (٤) ، ومالك بن أنس (٥) ، وسفيان الثوري (٦) ، وايوب السجستاني (٧) ، ومحمد بن اسحاق بن يسار (٨) ، – صاحب المغازي والسير – ، وابان بن

(١) الامام الصادق – للمرحوم الشيخ محمد حسين المظفر : ١٣٠ – ١٧٩ – ٢ طبع النجف .

(٢) الحسن بن علي بن زياد الوشاء البجلي الكوفي من اصحاب الامام الرضا (ع) كان من وجوه الشيعة ، وكان عيناً من عيون هذه الطائفة .
(الكنى والالقاب : ٢٤٦ – ٢)

(٣) تاريخ الكوفي : ٤٠٨

(٤) ابو حنيفة ، النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه ، مولى تيم الله بن ثعلبة الكوفي ، قال ابن خلكان : كان جده من اهل كابل ، احد الأئمة الاربعة ، توفي عام ١٥٠ هـ .
(الكنى والألقاب : ٥١ – ٥٤ – ١)

(٥) مالك بن أنس بن مالك الاصبحي الحميري ، ابو عبد الله : احد الأئمة الاربعة ، مولده عام ٩٣ بالمدينة ، وتوفي بها عام ١٧٩ هـ ، ضربه جعفر عم المنصور العباسي سياطاً حتى انخلعت لها كتفه .
(اعلام الزركلي : ١٢٨ – ٦)

(٦) ابو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفي ، من الأئمة المعروفين ، وقال ابن حجر : ربما دلس وقيل : ان سفيان كان في شرطة هشام بن عبد الملك ، وهو ممن شهد قتل زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام ، توفي ١٦١ هـ وقبره في البصرة .
(الكنى والالقاب : ١٢١ – ١٢٢ – ٢)

(٧) أيوب بن أبي تميمة السجستاني ، وقيل : السختياني ، مولى عمار بن ياسر ، عدوه من كبار الفقهاء التابعين ، مات بالطاعون بالبصرة ، عام ١٣١ هـ عن عمر بلغ الخامسة والستين .
(الصادق – المظفر : ١٣٥ – ٢)

(٨) محمد بن اسحاق بن يسار ، مدني سكن مكة ، اثنى عليه ابن خلكان ، وكان بينه وبين=

تغلب (١) ، وزرارة بن أعين (٢) ، والمفضل بن عمر (٣) ، وهشام بن الحكم (٤) ، وجابر الجعفي (٥) ، وجابر بن حيان (٦) ، وغيرهم . (٧)

....

= مالك عداء، قدم الحيرة على المنصور العباسي، فكتب له كتاب المغازي ، قدم بغداد ، ومات بها عام ١٥١ هـ. (الصادق – للمظفر : ١٣٥ – ٢)

(١) ابان بن تغلب البكري الجريري ، ابو سعيد ، روى عن الأئمة : السجاد ، والباقر ، والصادق عليهم السلام ، مات أيام الصادق (ع) عام ١٤١ هـ او ١٤٠ هـ ، قال الامام الصادق (ع) عندما بلغه نعي أبان: أما والله لقد أوجع قلبي موت ابان ، روى عن الصادق ثلاثين ألف حديث وثقه الجميع .

(الصادق – للمظفر : ١٣٦ – ١٣٧ – ٢)

(٢) زرارة بن أعين الشيباني ، مولاهم : روى عن الباقر ، والصادق (ع) ، ومات عام ١٥٠ هـ فأدرك من ايام الكاظم (ع) سنتين . قال ابن النديم : هو اكبر رجال الشيعة فقهاً ، وحديثاً ومعرفة بالكلام .

(الصادق – للمظفر : ١٥٠ – ٢)

(٣) ابو عبد الله ، المفضل بن عمر الجعفي الكوفي ، روى عن الصادق والكاظم عليهما السلام من فقهاء الرواة واعيان الثقات ، وقد جمع الوكالة عن الامامين (ع) الى ان وافاه القدر ، له كتاب امالي الامام الصادق .

(الصادق – للمظفر : ١٧٥ – ١٧٦ – ٢)

(٤) هشام بن الحكم مولى كنده ، ابو محمد : روى عن الامامين الصادق والكاظم (ع) قال الصادق (ع) عنه : هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ، ويده . هرب من الرشيد الى الكوفة ، ومات عام ١٧٩ هـ .

(الصادق – للمظفر : ١٧٧ – ١٧٨ – ٢)

(٥) جابر بن يزيد الجعفي الكوفي : روى عن الباقر والصادق (ع) ، وصفه الذهبي : أنه من اكبر علماء الشيعة ، توفي عام ١٣٨ هـ ، وقيل : ١٣٢ .

(الصادق – للمظفر : ١٤١ – ١٤٢ – ٢)

(٦) ابو عبد الله ، جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي ، قيل : ان اصله من خراسان اشتهر بالكيمياء ، وهو اول من عرف به ونسب ، اخذه وتعلمه لذلك عن الامام الصادق (ع) وقد اختلفت الآراء فيه .

(الامام الصادق والمذاهب الاربعة – الشيخ اسد حيدر : ١٢٨ – ١٣٣ – ٢ – طبع النجف)

(٧) راجع عن تلامذة الامام الصادق كتاب الصادق – المظفر : ١٣٠ – ١٨٥ – ٢ والامام الصادق لأسد حيدر : ٦٧ – ٨١ – ١) .

ولما كانت الكوفة مركزاً كبيراً لتلامذة أهل البيت عليهم السلام ، فلا بد لهم ان يتخذوا من مرقد الامام ، وهو العتبة المقدسة مقراً لهم ، خاصة عندما تبدلت ظروف الكوفة . فلقد تفرق على اثرها علماء الكوفة ، وانتقل بعضهم الى بغداد ، وانتقل البعض الآخر الى النجف الاشرف متخذاً من جوار هذا المرقد الطاهر مركزاً له للعبادة ، والتحصيل العلمي .

وهذا الرأي الذاهب الى القول بأن الجامعة النجفية امتداد الى مدرسة الكوفة مستبعد لأمرين :

الاول ــ ان مرقد الامام علي عليه السلام لم ينكشف أمره الا في عهد هارون الرشيد ــ الخليفة العباسي ــ في حدود سنة ١٧٠ هـ ، وجاء في بعض المصادر ؛ وبعد سنة ١٨٠ هـ جاوره الناس (١) . وهناك رواية تقول : ان داود بن علي العباسي (٢) المتوفى عام ١٣٣ هـ اكتشف قبر الامام ، وعمل له صندوقاً ، وعندما وقف العباسيون ضد العلويين هجر القبر الشريف ، وعفي أثر ذلك الصندوق ، وانطمس رسمه ، حتى جاء عصر الرشيد فأظهره .

وفي هذه الحال ، لم يظهر لنا من ثنايا التاريخ بأن النجف قد سكنت من قبل احد ، اللهم الا ان ندعي بأن النجف والكوفة واحدة ، وهذا ما

(١) نزهة القلوب ــ للمستوفي : ١٣٤ .

(٢) داود بن علي بن عبد الله بن العباس ، ابو سليمان ، عم السفاح ، تولى امارة الكوفة من قبل عمه ، ثم عزله عنها ، وولاه المدينة ، ومكة ، واليمن ، واليمامة ، والطائف . كان خطيباً فصيحاً ، من كبار القائمين بالثورة على الامويين . وكان بالحميمة (من ارض الشراة بالاردن) ولد عام ٨١ هـ وتوفي عام ١٣٣ هـ .

(الاعلام : ٨ ــ ٣)

يكذبه الوجدان ، فليس – على ما نعتقد – من يوحد بين هذين البلدين .

الثاني – ان هذا الافتراض بأن النجف ضمت بعض الاعلام بعد انتقالهم من الكوفة يبقى محتاجاً الى دليل يدعمه ، ولا دليل لدينا لذلك .

*

بعد هذا كله : فإنّا لا نستطيع ان نخفي كل هذا ، كما لا نقبل كل ذاك ، وانما المرجح ان نذهب الى حد وسط ، وهو ان النجف قبل هجرة الشيخ الطوسي في عام ٤٤٩ ﻫ كانت فيها جذور علمية ، وتضم بعض رجالات الفضل والعلم ، اتخذوا من النجف الاشرف بعد ظهور القبر فيه مقراً لهم .

ويدعم رأينا هذا شيخنا اغابزرك الطهراني اذ يقول : انني اذهب الى القول بأن النجف كانت مأوى للعلماء ، ونادياً للمعارف ، قبل هجرة الشيخ إليها وان هذا الموضع المقدس اصبح ملجأ للشيعة منذ انشئت فيه العمارة الاولى على مرقد الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، لكن حيث لم تأمن الشيعة على نفوسها من تحكمات الامويين والعباسيين ، ولم يستطيعوا بث علومهم ، ورواياتهم كان الفقهاء والمحدثون لا يتجاهرون بشيء مما عندهم ، وكانوا متبددين حتى عصر الشيخ الطوسي ، والى ايامه ، وبعد هجرته ، انتظم الوضع الدراسي ، وتشكلت الحلقات ، كما لا يخفى على من راجع (امالي الشيخ الطوسي) الذي كان يمليه على تلامذته » . (١)

وكذلك يرى الدكتور مصطفى جواد : بأن في النجف اعلاماً بثوا العلم قبل الشيخ الطوسي ، ويصعب التصديق ، بأن الشيخ اول من

(١) تفسير التبيان – للشيخ الطوسي . المقدمة – للشيخ اغابزرك : : ز – ١ طبع النجف

جعل النجف مركزاً علمياً »(١) .

وكيفما كان فوجود بعض الاعلام لم ينهض دليلاً على حركة علمية في النجف قبل هجرة الشيخ الطوسي .

(١) نظرات في الذريعة — الدكتور مصطفى جواد ، مجلة البيان : س ١ عدد ٦ ص ١٣٣ .

من هو الطوسي ؟

هو الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي . — نسبة الى طوس من مدن خراسان — المعروف بشيخ الطائفة . من رجالات العلم وجهابذته المبرزين .

ولد في طوس في شهر رمضان عام ٣٨٥ ﻫ ، وهاجر الى العراق ، وحط رحله ببغداد عام ٤٠٨ ، وهو في الثالثة والعشرين من عمره .

وكان الاستاذ المبرز ، والشيخ المطلق للشيعة يومذاك محمد بن محمد ابن النعمان العكبري البغـــدادي ، المعروف بالشيخ المفيد ، كما عرف ببعض المصادر (بابن المعلم) .



صورة خيالية لشيخ الطائفة
الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

وعند وصول الشيخ الطوسي الى بغداد لازم الشيخ المفيد ، وتلمذ عليه ، وبقي معه حتى سنة ٤١٣ ، حيث لبّى علم الطائفة الشيخ المفيد نداء ربه ،

فانتقلت الزعامة المطلقة الى أجل تلامذته علم الهدى الشريف المرتضى علي ابن الحسين الموسوي (١) ، وبطبيعة الاستمرارية لازم الشيخ الطوسي استاذه علم الهدى السيد المرتضى ، واستفاد من علمه وملازمته . وكان موضع عناية واهتمام كبير لدى استاذه الشريف بحيث تميز عن سائر تلامذته . وبقي ملازماً له طيلة ثلاث وعشرين سنة .

قال السيد علي خان (٢) : « وكان (السيد المرتضى) يدرس في علوم كثيرة ويجري على تلامذته رزقاً ، فكان للشيخ أبي جعفر الطوسي ايام

---

(١) ابو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم (ع) الملقب (بالشريف المرتضى) . قال ابن خلكان : كان نقيب الطالبيين ، اماماً في علم الكلام والادب ، والشعر ، وقال ابن بسام : كان المرتضى امام ائمة العراق ، اليه فزع علماؤها ، ومنه اخذ عظماؤها ، صاحب مدارسها ، وجماع شاردها وأنسها . ذكر القاضي التنوخي : انه خلف ثمانين الف مجلد من مفرداته ومصنفاته ، ومحفوظاته ، ولد عام ٣٥٥ هـ ، وتوفي ٤٣٦ ، ودفن بداره في الكاظمية . ويرى السيد عليخان في الدرجات الرفيعة : انه نقل بعد الدفن الى مشهد الامام الحسين عليه السلام بكربلاء ، ودفن هناك قريباً من قبر الحسين (ع) .

وذكر الثعالبي في (تتمة اليتيمة : ٥٣ – ١ طبع طهران :) انتهت الرياسة اليوم ببغداد الى المرتضى في المجد والشرف والعلم والادب والفضل ، والكرم ، وله شعر في نهاية الحسن .

وذكر الباخرزي في (دمية القصر : ٧٥) ان كتبه قومت بث الف دينار بعد أن أخذ منها الوزراء والرؤساء شطراً عظيماً » .

(راجع الكنى والالقاب : ٤٤٥ – ٤٤٨ – ٣)

(٢) صدر الدين السيد علي خان المدني الشيرازي ابن نظام الدين احمد بن محمد بن معصوم المنتهى نسبه الى زيد الشهير ابن الامام علي بن الحسين (ع) . ولد بالمدينة المنورة عام ١٠٥٢ هـ اشتغل بالعلم فيها ، وهاجر الى حيدراباد الهند ، ثم حج وزار مشهد الامام الرضا (ع) وزار اصفهان ثم انتقل الى شيراز ، وحط بها عصا المسير زعيماً ومدرساً مفيداً ، عد له ١٨ مصدراً علمياً وادبياً من بينها ديوان شعر ، وتوفي بشيراز عام ١١٢٠ هـ ودفن فيها .

(الدرجات الرفيعة – المقدمة – السيد محمد صادق بحر العلوم : ٣ – ١٦ طبع النجف)

قراءته عليه كل شهر اثنا عشر ديناراً ، وللقاضي ابن البراج (١) كل شهر ثمانية دنانير » (٢) .

وفي عام ٤٣٦ هـ استجاب السيد المعظم الى دعوة ربه ، وعند ذاك كان المرشح الوحيد لمركز الزعامة الدينية الشيخ الطوسي ، فأصبح علماً للشيعة ، وكانت داره في كرخ بغداد مأوى الامة ، يقصدونها للاستفادة من هذا الزعيم العلمي الكبير . والتف حوله عدد كبير من اهل الفضل والعلم للتلمذة عليه ، والانتهال من نمير فضله ، حتى حددت المصادر بأن عدد تلاميذه بلغ ثلاثمائة مجتهد من اعلام الشيعة ، ومن اهل السنة ما لا يحصى كثرة (٣) .

وباتساع أفق هذه الشخصية العلمية ، وما بلغ به من العظمة والمنزلة جعل له القائم بأمر الله العباسي (٤) ، كرسياً للكلام ، والافادة .

وهذا التقدير من الخليفة العباسي يومذاك كان له كبير الاهمية ، إذ لم يسمح به إلا لمن بلغ في العلم مرتبة سامية يتميز بها على اقرانه ، ولم يكن في بغداد في عهده من يفوقه قدراً ، ويعلوه مكانة ، ويفضل عليه علماً .

(١) الشيخ عبد العزيز بن تحرير بن عبد العزيز بن البراج ، ابو القاسم ، لقب بالقاضي لكونه قاضياً في طرابلس مدة عشرين ، أو ثلاثين سنة . قال المحقق الكركي في بعض اجازاته في حق ابن البراج الشيخ السعيد خليفة الشيخ الامام ابي جعفر الطوسي بالبلاد الشامية. توفي سنة ٤٨١ هـ.
(الكنى والالقاب : ٢١٩ — ١)

(٢) الدرجات الرفيعة : ٤٦٠ .

(٣) تفسير التبيان — المقدمة : ج — د — ١ . ورجال الطوسي — المقدمة : ١١ — ١٢ .

(٤) القائم بأمر الله ، عبد الله بن القادر ، ابو جعفر ؛ ولد عام ٣٩١ هـ ، وامه ارمنية اسمها قطر الندى ، ولي الخلافة بعد أبيه عام ٤٢٢ هـ ، ومات سنة ٤٦٧ هـ ، وقد لاقى في حياته مشاكل واهوالا كثيرة .
(تاريخ الخلفاء — للسيوطي : ٤١٧ — ٤٢٣ طبع القاهرة) .

لذا كان هو المتعين لهذا الشرف (١) .

ولعلنا في سبيل الاستشهاد على عظمة الشيخ نذكر نصين يعكسان لنا مدى ما يتمتع به من المكانة والمنزلة عند الامة .

١ ــ قال ابن تغري بردى (٢) : « ابو جعفر الطوسي ، فقيه الامامية الرافضة وعالمهم ، وهو صاحب التفسير الكبير ، وهو عشرون مجلداً ، وله تصانيف اخر . مات بمشهد علي ... كان رافضياً ، قوي التشيع » (٣) .

٢ ــ وقال الدكتور محمود محمد الخضيري : « ... رجل واحد يقال له (الشيخ الطوسي) مع ان مدينة (طوس) التي ينتسب اليها لا تعتمد في شهرتها ومجدها على غيره ــ على كثرة من أنجبت على طول تأريخها المديد ــ من مشاهير الرجال ، في عالم العلوم والآداب والسياسة والحرب ، ووفرة من ينتسب اليها قبل الشيخ وبعده من الشيوخ والعلماء ذلك لانه ــ في الحقيقة ــ رجل فذ بين علماء الاسلام ، رفعته مؤلفاته الكثيرة العدد وجهوده العلمية المثمرة الى مرتبة عالية ممتازة ، لا ينافسه فيها أحد ، فاستحق بذلك أن يمنحه مواطنوه هذا اللقب تشريفاً له بين جميع من ينتسبون الى مدينتهم ــ ذات المجد التليد ــ واستحق الشيخ عند الشيعة لقباً آخر يزيد عن اللقب الأول

(١) مقدمات تفسير التبيان : د ــ ١ ورجال الطوسي : ١٢ ــ ١٣ وتلخيص الشافي . بقلم السيد حسين بحر العلوم : ١٠ ــ ١ .

(٢) الامير جمال الدين ، ابو المحاسن يوسف بن تغري بردى الظاهري القاهري الحنفي ، ولد بالقاهرة سنة ٨٠٣ هـ ورباه زوج اخته ابن النديم الحنفي ، وتلمذ على تقي الدين المقريزي مؤرخ الديار المصرية ، وكان والده مملوكاً تركياً اشتراه الملك الظاهر برقوق . توفي سنة ٨٧٤ هـ اهم مؤلفاته النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة .

(الكنى والالقاب : ٢٣١ ــ ١)

(٣) النجوم الزاهرة : ٨٢ ــ ٥ .

في مغزاه ، ويعبر بفصاحة – لا مثيل لها – عن جميل تقديرهم اياه ، ويعيّن منزلته بين جميع الطائفة الاثني عشرية ، وذلك اذ يلقبونه (شيخ الطائفة) ، واذا اطلق أحد هذين اللقبين أو كلاهما على شخص لم ينصرف ذهن العارفين إلى شخص سواه ... » (١) .

هذان النصان القديم والحديث يمكن ان نعرف منهما المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها شيخنا العظيم عند المسلمين ،

لقد بلغت منزلة الشيخ في بغداد أوجها بين علماء العصر من جميع الطوائف وبلغ قبول اهل السنة له ان اعتبره بعض مؤرخيهم من اعلام السنة على نحو ما فعل السبكي (٢) ، إذ عده من علماء الشافعية فقال :

« ... أبو جعفر الطوسي ، فقيه الشيعة ، ومصنفهم ، كان ينتمي الى المذهب الشافعي .. » (٣) .

وحذا حذو السبكي الحاج خليفة (٤) ، فقد نقل في كتابه (كشف

(١) مجلة رسالة الاسلام القاهرية : س ١٤٧ ص ٤٠ مقال للدكتور محمود محمد الخضيري بعنوان الشيخ الطوسي – مؤسس المركز العلمي بالنجف) .

(٢) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي الخزرجي الانصاري المصري الشافعي الاشعري السبكي معروف بالفضل ، والاطلاع ، على كثير من العلوم ، قاضي قضاة ولد بالقاهرة سنة ٧٢٧ هـ ، وتوفي عام ٧٧١ بدمشق بالطاعون . قال ابن كثير : جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض مثله ، له عدة مؤلفات .

(الاعلام – للزركلي : ٣٣٥ – ٤) .

(٣) طبقات الشافعية – للسبكي : ٥١ – ٣ طبع مصر .

(٤) مصطفى بن عبد الله كاتب حلبي ، المعروف بالحاج خليفة : مؤرخ بحاثة ، تركي الاصل مستعرب ، مولده ، ووفاته في القسطنطينية ، تولى اعمالا كتابية في الجيش العثماني ولد عام ١٠١٧ هـ وتوفي عام ١٠٦٧ هـ ، له مؤلفات كثيرة .

(الاعلام : ١٣٨ – ١٣٩ – ٨)

الظنون) (١) عبارة السبكي .

وهذه النسبة اذ ابعدنا السبكي عن الاشتباه والغلط فما نفسرها الا بمدى المكانة التي يتمتع بها الشيخ الطوسي في نفوس الاعلام من المسلمين ، حتى ذهب الظن بالبعض انه شافعي ، او معتزلي ، او اي شيء آخر .

والحقيقة التي لا غبار فيها ان الشيخ من اركان المذهب الجعفري . وانه حاز الثقة التامة من طبقات الشيعة جمعاء في رواية الحديث وتحليله (٢) .

العاصفة الطائفية وتأثيرها على الشيخ :

وما كادت السنة ٤٤٩ هـ تشرف على الانتهاء ، حتى هبت عاصفة هوجاء خطيرة المغزى ، عميقة الجذور ، هددت بغداد بالفناء . تلك هي حوادث الطائفية الرعناء الدامية .

ولم تكن هذه العاصفة وليدة تلك الايام وانما بلغت ذروتها في هذا العهد ، وخاصة عندما قطعت الخطبة للقائم العباسي ببغداد ، وخطب للمستنصر الفاطمي على منابر بغداد والعراق كله ، فكتب القائم بأمر الله الى طغرلبك السلجوقي (٣) في الباطن يستنهضه الى المسير الى العراق ، وكان بنواحي

(١) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون : الجزء الاول – باب التاء (تفسير الطوسي) طبع دار السعادة بمطبعة (العالم) ١٣١٠ هـ الطبعة الاولى .

(٢) رجال الطوسي – المقدمة : ٣١ – ٣٣ .

(٣) السلطان محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، ابو طالب ، الملقب ركن الدين طغرل بك ، أول ملوك الدولة السلجوقية ، كانوا قبل تملكهم يسكنون وراء النهر ، قريباً من بخارى ، وهم اتراك ولد عام ٣٨٥ هـ ، وله مع ولاة خراسان وقائع ، فرد ملك بني العباس ، بعد ان كان اضمحل وزالت دعوتهم من العراق ، وخطب للفاطميين ، وعمل على اعادة القائم بأمر الله العباسي من =

خراسان ، فدخلها سنة ٤٤٧ ﻫ (١) . وتقوض حكم البويهيين بدخوله ، وتوليه الحكم من قبل القائم العباسي .

فمنذ وروده الى بغداد اخذ يشن حملة شعواء على الشيعة ، ويقسو عليهم وقد عزّ على هذا السفاح الاهوج ان يزدهر المذهب الجعفري ، وينتشر فقرر ان يعمل جاداً في بعث التفرقة الطائفية بين المسلمين ، او في الحقيقة يؤجج لهيبها من جديد ، فالمصادر التاريخية تؤكد وقوع الحوادث الدامية بين الشيعة والسنة ، وقد استمرت من عام ٤٤١ ﻫ الى دخول طغرلبك ٤٤٧ ﻫ فهي مثلاً بين شدة وضعف .

حتى اذا بلغت سنة ٤٤٨ ﻫ قال ابن تغري بردى « وفيها أقيم الاذان » في مشهد موسى بن جعفر . ومساجد الكرخ بـ « الصلاة خير من النوم » على رغم انف الشيعة وازيل ما كانوا يقولونه في الاذان من « حي على خير العمل » (٢) .

واشتد هذا الجو المتأزم بالطائفية على مرور الايام ، وانقلب الى حوادث دامية ، فقد ذكر لنا ابن الجوزي (٣) صورة من هذه الحوادث في سنة

= المدينة الى بغداد ، وارجع الخطبة باسمه . ثم خطب ابنة القائم فزوجها ابوها منه ، وكان العقد بتبريز ، وزفت اليه ببغداد ، فمكثت معه ستة أشهر ، كان مريضاً فيها ، وتوفي عام ٤٥٥ بالري ، ومدة ملكه خمس وعشرون سنة ، وقيل : ثلاثون .

وطغرلبك : اسم علم تركي مركب من طغرل وبك .

(النجوم الزاهرة – لابن تغري بردى : ٧٣ – ٥ والاعلام : ٣٤٢ – ٣٤٣ – ٧)

(١) النجوم الزاهرة : ٥٦ – ٥ .

(٢) النجوم الزاهرة : ٥٩ – ٥

(٣) ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري الحنبلي ، المعروف بابن الجوزي : فاضل متتبع ، صنف في فنون عديدة ، كان رأس الأذكياء ، توفي ببغداد عام ٥٩٧ ﻫ .

(الكنى والالقاب : ٣٤٢٢ – ١) .

٤٤٨ هـ فيقول :

« وفي هذه السنة اقيم الاذان في المشهد بمقابر قريش ، ومشهد العقبة ومساجد الكرخ بـ « الصلاة خير من النوم » وأزيل ما كانوا يستعملونه في الاذان « حي على خير العمل » ودخل الى الكرخ (وهو معقل الشيعة) منشدو اهل السنة من باب البصرة فأنشدوا الاشعار في مدح الصحابة ، وتقدم رئيس الرؤساء الى ابن النسوي بقتل ابي عبد الله الجلاب (شيخ البزازين) بباب الطاق لما كان يتظاهر به من الغلو في الرفض فقتل وصلب على باب دكانه »(١) .

واذاً فالفتنة الطائفية بلغت ذروتها ، ولم يسلم منها كل شيعي سكن بغداد وكان نصيب الشيخ الطوسي منها كبيراً باعتباره الشخصية الشيعية الاولى ، وعلمهم المبرز ، فقد «كبست دار ابي جعفر الطوسي (ويصفه ابن الجوزي بـ (متكلم الشيعة .) بالكرخ . وأخذ ما وجد من دفاتره ، وكرسي كان يجلس عليه للكلام ، وأخرج الى الكرخ ، وأضيف اليه ثلاث سناجق بيض ـ وهو اللواء ـ ، كان الزوار من اهل الكرخ قديماً يحملونها معهم ، اذا قصدوا زيارة الكوفة ، فاحرق الجميع . وهرب ابو جعفر الطوسي ، ونهبت داره ... »(٢) .

اما ابن حجر العسقلاني(٣) : فيوضح السبب الذي دعا الى هذا الهجوم

---

(١) المنتظم لابن الجوزي : ١٧٢ – ٨ طبع حيدراباد .
(٢) المنتظم : ١٧٢ و ١٧٩ – ٨
(٣) احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ابو الفضل ، شيخ الحديث ، من كبار المجتهدين على مذهب الشافعي ، له مصنفات مشهورة ، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ .
(الكنى والالقاب : ٢٥٧ – ١) .

المعاكس على شيخ الطائفة بعد ان كان معززاً مكرماً ، بحيث يبلغ الامر به ان تحرق كتبه ، وتنهب داره ، ويحدث ما حدث ، ويقول : « قال ابن النجار (١) : احرقت كتب الطوسي عدة نوب بمحضر من الناس في رحبة جامع النصر ، واستتر هو خوفاً على نفسه ، بسبب ما يظهر من (انتقاص السلف) ... » (٢) .

ولعلنا وضعنا اصابعنا على الاسباب الرئيسية لهذه الحوادث الدامية من خلال ما عرضناه من نصوص تاريخية توضح لنا معالم المشكلة ، والتي ذهب ضحيتها عدد كبير من المسلمين . بفعل تلك الطائفية الرعناء ، والتعصب المخزي الاعمى الفظيع .

الشيخ الطوسي يهاجر الى النجف :

ومن جراء هذه الحوادث المؤلمة ، والخطر المحدق ، اختار الشيخ الطوسي — رحمه الله — النجف مقراً له ، ومركزاً لحركته العلمية .

فالنجف الاشرف تمتعت بميزات خاصة فُضلت على بقية المدن العراقية ، فهي تضم مرقد امام العلم والفضيلة ، امير المؤمنين عليه السلام ، وفيها تربة قابلة للنمو العلمي وذلك لوجود بعض الاعلام الذين سبقوا شيخنا الرائد من اتخاذ النجف مركزاً لهم .

---

(١) محب الدين محمد بن محمود بن الحسن البغدادي ، تلميذ ابن الجوزي المعروف بابن النجار ، صاحب كتاب (الكمال في معرفة الرجال) وتذييل تاريخ بغداد في ثلاثين مجلداً توفي سنة ٦٤٣ هـ (الكنى والالقاب : ٤٣٠ — ٣)

(٢) لسان الميزان — لابن حجر : ١٣٥ — ٥ طبع حيدراباد .

بالاضافة الى ان النجف تتكيء على الكوفة ، وهذه المدينة علويّة في ذاتها وهي وان وقفت في فترة ضد آل البيت عليهم السلام ، الا أنها عادت الى رشدها بعد زمان ، واصبحت موئلاً للشيعة ، ومركزاً للتوابين ، ومنطلقاً للثورات العلوية .

واذا كان هذا الجانب متوفراً في مدينة الامام علي (ع) ، فلا بد ان يكون هو المفضل لدى الشيخ الجليل ، الذي اضطرته المشاكل الطائفية ، وحوادثها الدامية الى ان يصمم على ترك بغداد .

وانتقل الى النجف الاشرف عام ٤٤٩ هـ ، وحط رحله فيها ، ومن الطبيعي ان يظهر دور جديد في حياته العلمية . خاصة اذا لاحظنا انه عند هجرته الى مدينة النجف قد انصرف عن كثير من المشاغل ، وانصرافه انصرافاً كاملاً الى البحث الامر الذي ساعده كل المساعدة على انجاز دوره العلمي العظيم ، الذي ارتفع به الى مستوى المؤسسين . (١)

ودبت في النجف حركة علمية نشيطة بفضل شيخنا الرائد ، وتوطدت اركانها بمرور الزمن ، حتى برزت مظاهر الحياة العلمية المرتبة واضحة للعيان . واصبحت الجامعة تضم عدداً من طلاب المعرفة لا يستهان بهم ، واخذت تتكاثر يوماً بعد يوم .

بين حوزتين علميتين :

ولقد ذكرت كتب الرجال ان تلامذة الشيخ الطوسي بلغوا من الشيعة

---

(١) المعالم الجديدة — للسيد محمد باقر الصدر : ٦٣ طبع النجف .

فقط ثلاثمائة ، اما من السنة فلا يحصى (١) .

وهذا العدد الذي تكاد المصادر تجمع عليه نراها عند تعداد اسمائهم لا تصل بهم الى اكثر من ستة وثلاثين اسماً .

ولا بد ان نتساءل عن هذا العدد من الطلاب والمحصلين ، هل هم من اركان حوزته العلمية في بغداد ، وقد انتقلوا معه الى النجف ، أو انهم نشأوا في النجف ، ونمت الحوزة بهم على عهده بالتدريج ، بحيث برز فيهـا العنصر المشهدي – نسبة الى المشهد العلوي – . (٢)

ورجحت بعض المصادر الاصولية : ان الشيخ عند هجرته الى النجف انفصل عن حوزته التي أسسها ببغداد ، وأنشأ في مهجره النجف حوزة جديدة . وتستند في دعواها الى عدة مبررات . نلخصها بما يلي :

اولاً – ان مؤرخي هجرة الشيخ الطوسي الى النجف لم يشيروا إطلاقاً إلى أنّ تلامذة الشيخ في بغداد رافقوه ، أو التحقوا به فور هجرته الى النجف .

ثانياً – ان قائمة تلامذة الشيخ التي يذكرها مؤرخوه نجد انهم لم يشيروا الى مكان التلمذة إلا بالنسبة الى شخصين جاء النص على انهما تلمذا على الشيخ في النجف ، وهما الحسين بن المظفر بن علي الحمداني (٣) ، والحسن

(١) مقدمة تفسير التبيان ، ورجال الطوسي ، وتلخيص الشافي .

(٢) المعالم الجديدة : ٦٤ .

(٣) الحسين بن المظفر بن علي الحمداني – وفي نسخة الهمداني – نزيل قزوين ، لقبه الشيخ منتجب الدين بالشيخ الامام محي الدين ، وكناه بابي عبد الله ، وقال : انه ثقة وجه كبير قرأ على الشيخ الكبير الموفق ابي جعفر الطوسي جميع تصانيفه مدة ثلاثين سنة بالغري على ساكنها السلام مصنف مشهور ذكرت له المصادر عدة كتب . (رجال المامقاني : ٣٤٥ – ١) .

ابن الحسين بن الحسن بن بابويه القمي. (١)

ثالثاً — ومما يعزز احتمال حداثة الحوزة الدور الذي اداه ابن الشيخ المعروف بابي علي (٢) ، فقد تزعم الحوزة بعد أبيه . ومن المظنون انه كان في دور الطفولة او أوائل الشباب حين هجرة والده ، ذلك لانعدام تأريخ ولادته ، ووفاته ، ولكن الثابت تاريخياً انه كان حياً في سنة ٥١٥ هـ ، اي انه عاش بعد هجرة الشيخ قرابة سبعين عاماً ، ويذكر عن تحصيله انه كان شريكاً في الدرس عند أبيه مع الحسن بن الحسين القمي ، الذي ارجح كونه من الطبقة المتأخرة ، كما يقال عنه ان أباه أجازه سنة ٤٥٥ هـ ، أي قبل وفاته بخمسين سنة ، وهو يتفق مع حداثة تحصيله .

فاذا عرفنا أنه خلف أباه في التدريس والزعامة العلمية للحوزة في النجف ، بالرغم من كونه من تلامذته المتأخرين في اغلب الظن استطعنا ان نقدر المستوى العلمي العام لهذه الحوزة . ويتضاعف الاحتمال في كونها حديثة التكون .

والصورة التي تكتمل لدينا على هذا الاساس هي : ان الشيخ الطوسي

(١) الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمي ، نزيل الري المعروف بحسكا . ثقة موجه ، قرأ على شيخنا الطوسي بالغري ، كما قرأ على الشيخين سلار بن عبد العزيز وابن البراج جميع تصانيفهما ، وله مؤلفات عديدة .

(رجال المامقاني : ٢٧٣ - ١) .

(٢) ابو علي الطوسي : الحسن بن محمد بن الحسن : فقيه ، ثقة ، قرأ على والده جميع تصانيفه ، قال ابن حجر في (لسان الميزان : ٢٥٠-٢) ، وهو في نفسه صدوق ، مات في حدود الخمسمائة وكان متديناً كافاً عن السب » لقب بـ « المفيد الثاني » توفي في النجف سنة ٥١٥ هـ تقريباً ودفن مع أبيه عند رجليه . قيل : ان كتاب (الامالي) المنسوب لابيه المطبوع هو له .

(تلخيص الشافي — المقدمة : ٤٥)

بهجرته الى النجف انفصل عن حوزته الأساسية في بغداد ، وانشأ حوزة جديدة حوله في النجف ، وتفرغ في مهجره للبحث وتنمية العلم(١) .

واذا عدنا فألقينا نظرة على هذا النص الذي يذكره المؤرخون بأن تلامذة الشيخ من الشيعة بلغوا ثلاثمائة ، ومن السنة ما لا يحصى كثرة ، فمن المؤسف جداً ان هذا العدد الكبير من التلاميذ لم يصل لنا من اسمائهم الا ما يربو على الثلاثين وان الشيخ منتجب الدين بن بابويه القمي (٢) والمتوفى بعد عصر الشيخ بقليل ، لم يستطع الوقوف على اسمائهم ، فلم يذكر منهم في كتابه الفهرست ، المطبوع في آخر البحار إلا ستة وعشرين اسماً ، وزاد عليهم العلامة السيد محمد مهدي بحر العلوم(٣) في (الفوائد الرجالية) اربعة . فتمت عدتهم ٣٠ ، وهؤلاء معروفون ذكرتهم مقدمات كتب الشيخ المطبوعة.

واضاف شيخنا اغابزرك الطهراني لهذا الثبت اسماء ستة ، فأصبح العدد ستة وثلاثين ، وقال بعد ذلك : « وهؤلاء ستة وثلاثون عالماً من تلاميذ الشيخ الطوسي المعروفين .

وان كنا لا نستطيع القطع بأن هذه المجموعة من التلاميذ تمثل بحق الحوزة

(١) المعالم الجديدة : ٦٤ — ٦٥ بتلخيص .

(٢) علي بن الشيخ ابي القاسم عبيد الله بن ابي محمد الحسن الملقب بحسكا الرازي المنتهي نسبه الى ابن بابويه القمي . قال الحر العاملي : كان فاضلا عالماً ثقة صدوقاً محدثاً حافظاً راوية علامة ، ولد سنة ٥٠٤ ، وتوفي سنة ٥٨٥ هـ .

(الكنى والالقاب : ١٨١ — ١٨٢ — ٣) .

(٣) السيد محمد مهدي بن السيد مرتضى بن السيد عبد الكريم بن السيد مراد ، المنتهي نسبه الى السيد ابراهيم الملقب بـ « طباطبا » الذي ينتهي الى الحسن السبط عليه السلام ، كان من الشخصيات العلمية المشهورة والمعروفه بالتقوى والعلم والزعامة . ولد بكربلا سنة ١١١٥ هـ ، وتوفي ١٢١٢ هـ ودفن في مقبرته الخاصه في مسجد الشيخ الطوسي بالنجف الاشرف .

(الكنى والالقاب : ٦٠ — ٦٤ — ١) .

النجفية او البغدادية

ولا شك ان الحوزة العلمية الّتي اسسها الشيخ الطوسي في النجف الاشرف كانت فتحاً كبيراً ، وفي الوقت نفسه كانت نواة للجامعة العلمية الّتي عاشت آلاجيال .

ولكنها في الوقت نفسه لم تتمكن ان ترقى الى مستوى التفاعل المبدع مع التطور الذي انجزه الشيخ الطوسي في الفكر العلمي ، وذلك لحداثة هذه الحوزة . وان كانت هذه الهجرة الى النجف قد هيأت له الفرصة للقيام بدوره العلمي العظيم لما اتاحت له من تفرغ تام لهذه الناحية المهمة .

وكان لا بد لهذه الحوزة الفتية ان يمر عليها زمان حتّى تصل الى مستوى من التفاعل العلمي والنضج الفكري لقبول افكار الشيخ وآرائه العلمية ، وتواكب ابداعه بوعي وتفتح (١) .

ومن هذا التاريخ تدخل النجف المرحلة العلمية المنتظمة ، وتستمر بين شدة وضعف ، فتقطع اشواطاً بعيدة في مسيرتها الجامعية ، وهي تسجل لمؤسسها دور القيادة والزعامة بكل تقدير واكبار .

(١) المعالم الجديدة : ٦٥ — ٦٦

أدوار الجامعة النجفية

خــلال

مسيرتها العلميــة

في خلال هذه المسيرة الطويلة - والتي تكاد تدق أبواب الألف عام - تمر هــذه الجامعة بأدوار يمكننا أن نحصرها بثلاثة أدوار مهمة نعرضها بإيجاز .

الدور الأول لجامعة النجف

ويبدأ هذا الدور بانتقال الشيخ الطوسي — رحمه الله — الى النجف ، حيث وجد في هذه التربة الطيبة قابلية تامة للغرس والاستثمار ، فأسس هيئة علمية منظمة ذات حلقات ، ونظما خاصة من حيث التدريس ، وقد ظهر اثر ذلك في كتابه المسمى (امالي الشيخ الطوسي) الذي كان يمليه على تلامذته (١).

وكان من ألمع ما يذكر في هذا الصدد تنسيقه للدراسة العلمية في اقسامها الثلاثة : الفقه ، والحديث ، والاصول . فقد وضع في هذه العلوم مؤلفات كانت موضع اهتمام الاعلام المبرزين من الفقهاء والاصوليين .

ففي نطاق الفقه كان كتاب (المبسوط) (٢) يمثل مدى « التطور العظيم في البحث الفقهي على صعيد التطبيق بالشكل الذي يوازي التطور الاصولي على صعيد النظريات » .

(١) نقل شيخنا اغابزرك في الذريعة : ٣٦٥ – ١ : « ان الشيخ الطوسي كتاباً اسمه (اختيار الرجال) أملاه الشيخ على تلاميذه في المشهد الغروي ، وكان بدء املائه يوم الثلاثاء ٢٦ صفر سنة ٤٥٦ هـ » .

(٢) تم طبع هذا الكتاب في ايران ١٢٧١ هـ .

وكانت « مساهمة الشيخ في الاصول – مثلاً – مجرد استمرار للخط وانما كانت تعبر عن تطور جديد كجزء من تطور شامل في التفكير الفقهي العلمي له . أتيح لهذا الفقيه الرائد ان يحققه . فكان كتاب (العدة) (١) تعبيراً عن الجانب الاصولي من التطور » (٢) .

والى جانب هذين العملين ، قام الشيخ الطوسي بعمل مهم وعلى مستوى واسع النطاق في جمع الاحاديث المنقولة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام ، وذلك بـ « دمج المجاميع الصغيرة في موسوعات كبيرة ، فما انتهى ذلك حتى حصل الفكر العلمي الامامي على مصادر اربعة موسعة للحديث » (٣) .

وكان نصيب الشيخ الطوسي من هذه الاصول اصلين كبيرين هما : كتاب (التهذيب) ، وكتاب (الاستبصار) في ثلاثة مجلدات (٤) .

ولم يكن هذا كل تراث الشيخ الطوسي – رحمه الله – فالى جانب التراث الاصولي والفقهي الضخم خلف تراثاً رائعاً في التفسير ، فقد وضع (التبيان) (٥) في عشرة مجلدات ، وكان هذا النتاج الكبير يعرب عن مستوى واسع وعميق كما يدل على احاطة وشمول في آفاق المعرفة . وقد كانت الحاجة ملحة لهذا الجانب لافتقار المكتبة الامامية اليه ، ولذا اعتبر ظهور هذه الموسوعة التفسيرية الى حيز الامكان فتحاً كبيراً .

وفي علم الرجال : وتحقيق درجاتهم العلمية ، وجمع الشتات عنهم

---

(١) طبع الكتاب في بمبى سنة ١٣١٢ هـ ثم في ايران ١٣١٤ .

(٢ – ٣) المعالم الجديدة : ٥٦

(٤) طبع هذان الكتابان عدة طبعات آخرها في النجف .

(٥) طبع هذا الكتاب في ايران والنجف ، واخيراً على نفقة مكتبة الشيخ احمد القصيري في النجف الاشرف عشرة اجزاء .

وتميز طبقاتهم من عهد الرسول الاعظم (ص) الى ما بعد عهد الأئمة عليهم السلام وضع كتاب الرجال)(١) . وقد سد هذا الكتاب فراغاً في مجال الجرح والتعديل وتميز طبقات الاعلام والمحدثين . واصبح مصدراً اولاً للمشتغلين في هذا الحقل .

وفي ذكر اصحاب الكتب والاصول ، خلف للمكتبة الاسلامية كتابه (الفهرست)(٢) وهو يحتوي على تسعمائة اسم من اسماء المصنفين وهو – في الحقيقة – من الآثار الثمينة الخالدة ، وقد اصبح موضع اعتماد علماء الامامية وغيرهم في هذا المضمار ، لانه ضبط لتاريخ العلوم عند الشيعة حتى تاريخ تأليفه .

والى هذا الصف العلمي اضاف في مجموعة مؤلفاته القيمة ما كتبه في اصول العقائد ، ومعرفة الله تعالى ، وصفاته ، وتوحيده ، وعدله ، والنبوة ، والامامة وكل ما يعود الاخلال به بالضرر على ما حصل له من المعرفة . مثل كتاب (الاقتصاد)(٣) في اصول العقائد ، وكتاب (تلخيص الشافي)(٤) و (المفصح في الامامة)(٥) وكتاب (الغيبة)(٦) في امامة الحجة المهدي محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام .

(١) طبع هذا الكتاب بمطبعة الحيدرية بالنجف عام ١٣٨١ هـ ، وبتحقيق السيد محمد صادق آل بحر العلوم .
(٢) طبع عدة مرات : في ليدن ، وكلكته في الهند عام ١٢٧١ هـ ، وفي المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف ثلاث طبعات .
(٣) ما زال الكتاب مخطوطاً .
(٤) طبع الكتاب في ايران واخيراً في النجف الاشرف مطبعة الآداب بتحقيق السيد حسين بحر العلوم وعناية مكتبة العلمين في النجف الاشرف .
(٥) ما زال مخطوطاً .
(٦) طبع في ايران بتبريز عام ١٣٢٣ – ١٣٢٤ هـ .

بالاضافة الى المؤلفات الاخرى ، وفي مواضيع مختلفة ، كلها تدل على اطلاع شيخنا الرائد في آفاق المعرفة ، ولقد أحصيتها بعض المصادر فبلغت ٤٧ مؤلفاً في جوانب متعددة (١) .

واذا اعتبر الشيخ الطوسي — رحمه الله — في مجموع مؤلفاته المتنوعة موسوعياً ، فهو من جانب آخر يعتبر مختصاً بالفقه والاصول . ولم يكن تصنيفه في الفقه المتمثل في كتابه (المبسوط) ثم ، في الحديث (التهذيب والاستبصار) ، ثم في الفقه المقارن ككتاب (الخلاف) (٢) الى غيرها من مؤلفاته الفقهية ، الا مثلاً للتطور العظيم الذي نهجه الشيخ في بحثه الفقهي .

ولقد عرض في بحوثه الفقهية منهج الفقهاء من الشيعة القدماء الذين مثلوا المرحلة البدائية من التفكير الفقهي ، وهو ما يمكن ان نطلق عليها بمنهج الاخباريين ، الذين يجمدون على اخذ الاحكام من الاحاديث ، والروايات ، واتباع النصوص ، وانصرافهم عن التفريع ، والتوسع في التطبيق ، كما في كتابي (التهذيب والاستبصار) .

كما عرض منهج الفقهاء الشيعة الاصوليين الذين يفكرون بذهنية اصولية ويمارسون التفريع الفقهي في نطاق واسع ، وذلك في كتاب (المبسوط) .

والحقيقة ان « الفارق الكيفي بين اتجاهات العلم التي انطلقت من هذا التطور الجديد واتجاهاته قبل ذلك يسمح لنا باعتبار الشيخ الطوسي حداً

(١) مقدمات تفسير التبيان : ف — أو ، رجال الشيخ : ٤٩ — ١١٢ ، تلخيص الشافي : ٢٩ — ٣٨ .
(٢) طبع في ايران مرتين .

فاصلاً بين عصرين من عصور العلم ، بين العصر العلمي التمهيدي ، والعصر العلمي الكامل . فقد وضع هذا الشيخ الرائد حدّاً للعصر التمهيدي ، وبدأ به عصر العلم الذي اصبح فيه الفقه والاصول علماً له دقته ، وصناعته ؛ وذهنيته العلمية الخاصة »(١) .

وبعد هذا فقد استمر شيخنا الرائد في جهاده العلمي ، والعمل الدائب في تنظيم الوضع الدراسي ، حتى خطا على عهده الشريف خطوات سريعة بحيث اصبحت الحوزة العلمية الفتية في النجف تربو على المئات من رواد الفضيلة والعلم ، والطلبة الناشئين ، والمؤلفة — على حد رأي بعض المصادر — (٢) من اولاده ، وبعض اصحابه ، ومجاوري القبر الشريف ، وابناء البلاد القريبة منها كالحلة ونحوها ، ونمت الحوزة على عهده بالتدريج ، وبرز فيها العنصر المشهدي — نسبة الى المشهد العلوي — والعنصر الحلي ، وتسرب التيار العلمي منها الى الحلة .

بعد الشيخ الطوسي :

وفي عام ٤٦١ هـ لبى الشيخ الطوسي — باني مجد الجامعة النجفية — نداء ربه ، وقد منيت الجامعة بخسارة كبيرة ، ولكن نموها العلمي لم يقف بوفاة الرائد الكبير بل تحدثنا المصادر : بأن ولده الحسن بن محمد بن الحسن المعروف بابي علي الطوسي قام بدور كبير في ادارة دفة الجامعة ، وزعامة حوزتها .

وكان ابو علي من ابرز تلامذة والده شيخ الطائفة ، واكثر قابلية من سائر تلامذة الشيخ لتحمل اعباء المسؤولية لأدارة شؤون الجامعة ، واستمرار

(١ — ٢) المعالم الجديدة : ٥٦ — ٥٧ و ٦٤ .

الحركة العلمية فيها زماناً ليس بالقصير ، وهي تؤدي عملها العلمي بصورة امتدادية للشيخ الرائد .

وقد وصفته المصادر بعبارات الاجلال والتكريم ، مما تدل على مكانته الكبيرة في الجامعة النجفية ، فمثلاً يقول ابن حجر : « ثم صار فقيه الشيعة وامامهم بمشهد علي رضي الله عنه ، وهو في نفسه صدوق ، مات في حدود الخمسمائة ، وكان متديناً ، كافاً عن السب »(١) .

وتحدث عنه الشيخ اغابزرك فقال : « وقد خلف اباه على العلم والعمل وتقدم على العلماء في النجف ، وكانت الرحلة اليه والمعول عليه في التدريس والفتيا ، والقاء الحديث وغير ذلك ، وكان من مشاهير رجال العلم ، وكبار رواة الحديث ، وثقاتهم ، وقد بلغ من علو الشأن ، وسمو المكانة أن لقب بـ « المفيد الثاني »(٢) .

والى جانب ما أفاد من والده شيخ الطائفة من الناحية العلمية كذلك عدّ من مشائخه : ابو الحسن محمد بن الحسين المعروف بابن الصقال . وحمزة ابو يعلى سلار بن عبد العزيز ، وغيرهم .

كما انه كان شريكاً في الدرس مع الشيخ أبي الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن علي الرازي ، والشيخ ابي محمد الحسن بن الحسين بن بابويه القمي ، والشيخ ابي عبد الله محمد بن هبة الله الوراق الطرابلسي ، عند قراءة كتاب « التبيان » على والده الشيخ الطوسي .

---

(١) لسان الميزان : ٣٥٠ — ٢ .

(٢) تفسير التبيان : المقدمة — أف وار .

وقد تخرج عليه كثير من حملة العلم والحديث من الفريقين ، وحاز المرجعية عند الطائفتين ، لذلك كثرت الروايات عنه ، وانتهت الطرق اليه ، وقد ذكر مترجموه كثيراً من تلامذته ، فقد ذكر الشيخ منتجب الدين بن بابويه أربعة عشر رجلاً ، واضاف الشيخ اغابزرك الطهراني ستة عشر شخصاً ، كما ذكر ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان) ثلاثة اشخاص من العامة ، فيكون المجموع اربعة وثلاثين شخصاً(١) .

وفي طليعة هذه المجموعة :

١ ــ علي بن شهراشوب المازندراني السروي ، والد صاحب (المناقب) و (المعالم) .

٢ ــ الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن علي ابن طحال المقدادي .

٣ ــ المؤلف الفقيه الثقة عماد الدين محمد بن ابي القاسم بن علي الطبري الاملي الكجي .

٤ ــ الشيخ الفاضل ابو طالب حمزة بن محمد بن أحمد بن شهريار الخازن .

٥ ــ ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي صاحب تفسير (مجمع البيــان) .

٦ ــ الشيخ محمد بن منصور الحلي الشهير بابن ادريس ، قال في (الرياض) : على المشهور من أن ابن أدريس يروي عن أبي علي هذا تارة بلا واسطة ، وتارة مع الواسطة .

---

(١) نفس المصدر : ــ أر ــ أت .

٧ – ابو علي محمد بن الفضل الطبرسي .

والذين ذكرهم ابن حجر العسقلاني هم :

٨ – ابو الفضل بن عطاف .

٩ – محمد بن محمد النسفي .

١٠ – هبة الله السقطي .

ولم يكن ذكر هؤلاء من بين المجموعة الكبيرة من تلامذة ابي علي الطوسي الا لغرض اعطاء نماذج عن المستوى الفكري لطلاب هذه الشخصية .

وقد ترك اثراً قيماً علمياً هو (شرح النهاية) وهو شرح لكتاب والده النهاية في الفقه .

وتوفي الشيخ ابو علي بعد سنة ٥١٥ هـ ، فقد كان حياً في هذا التاريخ كما يظهر في مواضع من اسانيد كتاب (بشارة المصطفى) .

وما ان انتقل الشيخ ابو علي الى رحمة ربه ، حتى تقدم ولده ابو نصر محمد بن ابي علي الحسن بن ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي . الى تزعم الجامعة النجفية ، وكان اهلاً لهذا التزعم . فقد نقل عنه الشيخ اغابزرك الطهراني قائلاً : «كان الشيخ أبو نصر محمد من أعاظم العلماء ، واكابر الفقهاء ، وافاضل الحجج واثبات الرواة وثقاتهم ، فقد قام مقام والده في النجف ، وانتقلت اليه الرياسة والمرجعية ، وتقاطر عليه طلاب العلم من شتى النواحي»(١) .

---

(١) تفسير التبيان – المقدمة : أخ

وقال ابن العماد الحنبلي في حوادث سنة : ٥٤٠ « .. وفيها توفي أبو الحسن محمد بن الحسن ابي علي بن ابي جعفر الطوسي ، شيخ الشيعة ، وعالمهم ، وابن شيخهم وعالمهم رحلت اليه طوائف الشيعة من كل جانب الى العراق ، وحملوا اليه ، وكان ورعاً عالماً كثير الزهد ، واثنى عليه السمعاني ، وقال العماد الطبري : لو جازت على غير الانبياء صلاة صليت عليه »(١) .

ثم في هذه الفترة قام الاعلام من اسرة آل الخازن في دعم الجامعة النجفية ، حتى انتهى الدور الى الموفق الخازن ، علي بن حمزة بن محمد بن احمد بن شهريار ، ووصفته المصادر بانه « اشهر خزنة الحرم العلوي ، ضم الى سدانة الحرم السبق في العلوم الدينية وكانت الرحلة اليه سنة ٥٧٢ حين كثر اهل العلم ، ورواد الحديث ، وكان المعول عليه في ادارة رحى العلم بعد شيخ الطائفة الشيخ الطوسي – قدس سره – وهو العاقد لحلقات الحديث والمتكفل بالقائه ، وكان عالماً فاضلاً وكان من رجال القرن السادس »(٢) .

واستمرت الجامعة النجفية في حركتها العلمية من بعد الشيخ الرائد شيخ الطائفة حتى اطل عهد ابن ادريس ، وقد موج الحركة العلمية في الحلة ونشطت الى حد كبير .

وكان عهد هذا المجدد ايذاناً بانتقال الحركة العلمية الى الحلة ، وقد تكاملت عناصر هذا الانتقال في اوائل القرن السابع الهجري .

---

(١) شذرات الذهب في اخبار من ذهب : ١٢٦ – ١٢٧ – ٤ طبع مصر .
(٢) ماضي النجف وحاضرها : ٤٠٥ – ٢ .

بين الطوسي وابن ادريس

ومحمد بن احمد بن ادريس الحلي ، من مشائخ الفقهاء في الحلة ، وسبط الشيخ الطوسي ، توفي سنة ٥٩٨ ﻫ.

وصفه ابن داود(١) : بأنه شيخ الفقهاء بالحلة متقناً في العلوم »(٢) . كما وصفه الحر العاملي(٣) : « وقد اثنى عليه علماؤنا المتأخرون ، واعتمدوا على كتابه ، وعلى ما رواه في آخره من كتب المتقدمين واصولهم »(٤) .

وقالت بعض المصادر : « ... وكان فقيهاً اصولياً بحتاً ، ومجتهداً صرفاً ، وهو أول من فتح باب الطعن على الشيخ (الطوسي) ، والا فكل من كان في عصر الشيخ او من بعده ، انما كان يحذو حذوه غالباً الى ان انتهت النوبة

(١) تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي : وصفته المصادر بالشيخ العالم الفاضل الجليل الفقيه المتبحر صاحب كتاب الرجال المعروف ، تلمذ على السيد احمد بن طاووس ، والمحقق الحلي ، ولد ٦٤٧ ﻫ .

(الكنى والالقاب : ٢٧٧ – ١)

(٢) رجال ابن داود : ٤٩٨ طبع ايران .

(٣) محمد بن الحسن بن علي المشغري : شيخ المحدثين ، وافضل المتبحرين العالم الفقيه النبيه المحدث المتبحر الورع الثقة الجليل ، صاحب المصنفات المفيدة ، ولد عام ١٠٣٣ ﻫ ، وتوفي ١١٠٤ ودفن في خراسان .

(الكنى والالقاب : ١٦٠ – ٢) .

(٤) امل الآمل : ٦٠ طبع ايران .

اليـــه »(١) .

وهذه الفقرة تلقي لنا ضوءاً على ما قام به هذا الشيخ المجدد بالنسبة لآراء الشيخ الطوسي وافكاره ، التي كادت تسيطر على الجامعة العلمية في النجف طيلة مائة عام او اكثر ، وتعيقها عن التجديد ، والتفاعل الفكري .

فاننا نجد بعض المصادر ترى ان المائة عام التي عاشتها الحوزة العلمية بعد الشيخ المؤسس ، والى حد ما كان عامل التقليد فيها واضحاً جلياً ومن جراء ذلك تحملت الجامعة اعباء الوراثة العلمية ، وفي خلالها كانت هالة من التقديس والاحترام تحوط آراء وافكـــار الشيخ الطوسي الرائد . بحيث كان من الصعب على احد ان ينالها بالاعتراض والنقاش ، او يخضعهـــا للتمحيص والتدقيق . وحتى ان اكثر الفقهاء الذين نشأوا بعد الشيخ كانوا يتبعونه في الفتوى تقليداً له لكثرة اعتقادهم فيه ، وحسن ظنهم به(٢) .

وقد وضح الحمصي(٣)— وهو ممن عاصر تلك الفترة — هذه الحقيقة بقوله : « ولم يبق للامامية مفت على التحقيق ، بل كلهم حاك »(٤) .

والحقيقة اننا على رغم ما نجده في بعض المصادر بان الفترة التي تلت وفاة الشيخ الطوسي من انشط العهود بالنسبة للحركة العلمية في الجامعة النجفية ، وان الوضع الدراسي قد بلغ أوجه وشدة عنفوانه في عصر ابي

---

(١) روضات الجنات — الخونساري : ٥٩٨ طبع ايران .

(٢) المعالم الجديدة : ٦٦ .

(٣) سديد الدين محمود بن علي بن الحسن الحمصي الرازي ، من اكابر علماء الامامية ، وصف بأنه علامة زمانه في الاصوليين من القرن السادس الهجري .

(الكنى والالقاب : ١٧٥ — ٢) .

(٤) المعالم الجديدة : ٦٦ — ٦٧ .

علي الطوسي ، وولده ابي نصر ، وابن شهريار .

ولكن في الوقت نفسه لم تتمكن المصادر من اعطائنا صورة واضحة من ملامح هذه الفترة بما يتعلق بازدهار الحركة الفكرية في الجامعة النجفية ، وتكاد تكون مظلمة ، والركود العلمي فيها اقرب الى الواقع من غيره .

بالاضافة الى ان المصادر تحجم عن ذكر وضعية الحركة العلمية في النجف بعد ابن شهريار الخازن ، وفي نفس الوقت نرى نجم ابن ادريس قد لمع في الحلة وبرز بعنف على مسرح النقد لآراء الشيخ الرائد ، وكان هذا البروز الدفعي الجريء قد حول الانظار الى الحركة العلمية التي تدور رحاها في الحلة ، وحتى تكاملت عناصر الانتقال في عهد المحقق الحلي (١) ، وذلك في اوائل القرن السابع.

« وهذه الحقيقة بالرغم من تأكيد جملة من علمائنا لها تدعو الى التساؤل والاستغراب ، لان الحركة الثورية التي قام بها الشيخ في دنيا الفقه والاصول ، والمنجزات العظيمة التي حققها في هذه المجالات كان من المفروض والمترقب ان تكون قوة دافعة للعلم ، وان تفتح لمن يخلف الشيخ من العلماء آفاقاً رحيبة للابداع والتجديد ومواصلة السير في الطريق الذي بدأه الشيخ . فكيف ولم تأخذ افكاره وتجديداته مفعولها الطبيعي في الدفع والاغراء بمواصلة

---

(١) ابو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيي بن سعيد الحلي : وصفه ابن داود فقال : المحقق المدقق واحد عصره ، كان ألسن أهل زمانه ، واقومهم بالحجة ، واسرعهم استحضاراً ولد سنة ٦٠٢ ، وتوفي عام ٦٧٦ هـ ودفن بالنجف .

(رجال ابن داود : ٨٣ والكنى والالقاب : ١٣٣ - ١٣٥ - ٣) .

السير ! »(١) .

وتشير بعض المصادر الاصولية الى عدة اسباب من المحتمل ان تفسر الموقف ، نلخصها بما يلي :

١ ــ ان الشيخ الطوسي بهجرته الى النجف انفصل عن حوزته الاساسية وانشأ حوزة جديدة حوله في النجف ، وتفرغ في مهجره للبحث وتنمية العلم ، وكان من الطبيعي ان لا ترقى الحوزة العلمية الى مستوى التفاعل المبدع مع التطور الذي انجزه الشيخ الطوسي في الفكر العلمي لحداثتها ، ولهذا لم يتسرب الابداع الفقهي العلمي من الشيخ الى تلك الحوزة التي كان ينتج ويبدع بعيداً عنها ، ولكي يتحقق ذلك التفاعل الفكري الخلاق كان لا بد ان يشتد ساعد الحوزة الفتية حتى تصل الى المستوى من التفاعل من الناحية العلمية فسادت فترة ركود ظاهري بانتظار بلوغ الحوزة الفتية الى ذلك المستوى .

٢ ــ أسند جماعة من العلماء ذلك الركود الى ما حظي به الشيخ من تقدير عظيم في نفوس تلامذته رفعه في أنظارهم عن مستوى النقد ، وجعل من آرائه ونظرياته شيئاً مقدساً لا يمكن ان ينال باعتراض ، او يخضع لتمحيص .

وقد بلغ من استفحال تلك النزعة التقديسية في نفوس الاصحاب أننا نجد فيهم من يتحدث عن رؤيا لأمير المؤمنين (ع) شهد فيها الامام بصحة كل ما ذكره الشيخ الطوسي في كتابه الفقهي « النهاية » !! وهو يشهد عن مدى تغلغل النفوذ الفكري الروحي للشيخ في اعماق نفوسهم .

---

(١) المعالم الجديدة : ٦٢ ــ ٦٣ .

٣ ــ والسبب الاخير يمكن ان يستنتج من حقيقتين تاريخيتين :

إحداهما: ان نمو الفكر العلمي والاصولي لدى الشيعة لم يكن منفصلاً عن العوامل الخارجية التي كانت تساعد على تنمية الفكر والبحث العلمي ، ومن تلك العوامل عامل الفكر السني ، لان البحث الاصولي في النطاق السني ، ونمو هذا البحث وفقاً لاصول المذهب السني كان حافزاً باستمرار للمفكرين من فقهاء الامامية لدراسة تلك البحوث في الاطار الامامي ، ووضع النظريات التي تتفق معه في كل ما يثيره البحث السني من مسائل ومشاكل ، والاعتراض على الحلول المقترحة لها من قبل الآخرين.

ثانيتهما : ان التفكير الاصولي السني كان قد بدأ ينضب في القرن الخامس والسادس ويستنفد قدرته على التجديد ، ويتجه الى التقليد والاجترار حتى ادى ذلك الى سد باب الاجتهاد رسمياً.

واذا جمعنا بين هاتين الحقيقتين ، وعرفنا ان التفكير الاصولي السني الذي يشكل عامل اثارة للتفكير الاصولي الشيعي ، كان قد اخذ بالانكماش ، ومني بالعقم ، استطعنا ان نستنتج بأن التفكير العلمي لدى فقهائنا الامامية قد فقد احد المثيرات المحركة له . الامر الذي يمكن ان نعتبره عاملاً مساعداً في توقف النمو العلمي »(١) .

وكيفما كان فان ابن ادريس فتح باب النقاش على مصراعيه ، وحمل بكل ما اوتي من مقدرة علمية على آراء جده لامه الشيخ الطوسي وبكل عنف. وكان ذلك سبباً لحملة شديدة عليه من قبل بعض الاعلام امثال العلامة

(١) المعالم الجديدة : ٦٢ – ٦٩ بتصرف .

الحلي(١) الذي وصمه بأنه شاب مترف عفى الله عنه . ونقده غيره نقداً لاذعاً ، كما رمي بقلة الادب .

ومع هذا فان الحملات القاسية التي شنها ابن ادريس على آراء الشيخ الرائد «كانت بداية خروج الفكر العلمي عن دور التوقف النسبي على يد هذا الفقيه المبدع ، إذ بث في الفكر العلمي روحاً جديدة ، وكان كتابه الفقهي «السرائر»(٢) إيذاناً ببلوغ الفكر العلمي في مدرسة الشيخ الى مستوى التفاعل مع افكار الشيخ ونقدها وتمحيصها» .

من النجف الى الحلة :

ولكن بوادر النشاط العلمي ، او التفتح الذهني للتفاعل مع آراء الشيخ . بدت تبرز بأجلى مظاهرها في اوائل القرن السابع الهجري ، وخاصة على مسرح التفكير الحلي ، والذي عبر عن اتساع كبير في الذهنية العلمية التي يتمتع بها الحليون في تلك الفترة ، ويمكن ان تكون طليعتها متجلية في الشيخ ابن ادريس ، ثم المحقق الحلي ، ثم العلامة الحلي . وامثالهم الكثيرين ممن حملوا راية العلم في الحلة ، واسسوا لها مجداً شامخاً .

واذا كان عهد ابن ادريس إيذاناً بانتقال الحركة العلمية الى الحلة ، ففي

(١) جمال الدين ابو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي ، انتهت اليه رئاسة الامامية في المعقول والمنقول والفروع والاصول ، صنف في كل علم كتباً ، فكان اعظم العلماء شأناً ولد سنة ٦٤٨ ، قرأ على المحقق الحلي ، كما قرأ على المحقق الطوسي ، وصار سبباً لتشيع السلطان محمد الملقب بشاه خدابنده ، توفي ٧٢٦ ودفن في النجف .

(الكنى والالقاب : ٤٤٢ – ٤٤٤ – ٣)

(٢) طبع هذا الكتاب في ايران .

عهد المحقق الحلي انتقل المركز العلمي الى الحلة تماماً ، واصبح مجلس المحقق – كما تحدده بعض المصادر – يضم قرابة اربعمائة مجتهد (١) .

واستمر التأجج العلمي ينير آفاق مدينة ابن ادريس طوال قرون ثلاثة ، ودام حتى اواخر القرن العاشر الهجري ، فقد عادت المركزية العلمية الى النجف ، وبقيت في الحلة حركة علمية بسيطة مفتقرة الى شيء من الدفع والتوسع .

وفي خلال هذه المدة ضمت الحلة بيوتات كبيرة علمية ، واعلاماً فذة عرفوا بالفضيلة والاجتهاد ، امثال : آل ادريس ، وآل شيخ ورّام ، وآل فهد ، وآل طاووس وآل نما ، وبني سعيد ، وبني المطير ، وبني معية وغيرهم من البيوتات العلمية (٢) .

ويعترضنا هنا سؤال وهو :

– عند انتقال المركز العلمي من النجف الى الحلة ، ففي خلال هذه الفترة هل بقيت النجف خالية من حركة علمية ، وقاحلة من اعلام فضلاء ؟

والجواب : ان ثمة حركة علمية بقيت فيها . ودليلنا على ذلك :

١ – ان الفاضل الرضي الاسترابادي (٣) ألف كتابه شرح الكافية في

---

(١) رجال الطوسي – المقدمة : ١٩ .

(٢) مقدمات : تفسير التبيان ، ورجال الطوسي ، وتلخيص الشافي .

(٣) محمد بن الحسن الرضي ، الفاضل الاسترابادي ، نجم الائمة ، وصفته المصادر بالعالم الفاضل المحقق المدقق ، من اعلام النحو ، سكن النجف ، وتوفي فيها عام ٦٨٦ هـ . له كتاب شرح الكافية لابن الحاجب .

(بغية الوعاة : ٥٦٧ – ١ وروضات الجنات : ٢٨٦)

هذه الفترة في النجف حينما أشار هو في كتابه المذكور بأنه من بركات الحضرة العلوية المقدسة وذلك عام ٦٨٣ هـ(١) .

٢ ــ تحدث ابن بطوطة (٢) ــ ضمن زيارته للنجف خلال عام ٧٢٧ هـ ــ عن مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة ــ على حد تعبيره ــ (٣) .

٣ ــ في هذه الفترة بنيت مدارس ثلاث لطلاب العلم والمهاجرين في النجف .

الاولى : بناها السلطان محمد خدابنده، او ابنه ابو سعيد (٤) . في القرن الثامن .

الثانية : بناها المقداد السيوري (٥) في القرن التاسع .

---

(١) شرح الكافية .

(٢) ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الطنجي ، كان سياحاً كثير الاسفار، وكان معاصراً لفخر المحققين ابن العلامة الحلي ، توفي بمراكش سنة ٧٦٩ هـ .
(الكنى والالقاب : ٢٢٢ – ١) .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ١٠٩ – ١ .

(٤) السلطان محمد خدابنده بن ارغوان ملك العراق وخراسان ، وعراق العجم ، واذربيجان جاوز الثلاثين من العمر ، قالت المصادر : بانه كان سنياً ثم لعبت بعقله الامامية فترفض وكان حسن الاسلام ، وابنه ابو سعيد علاء الدين بهادرخان من ملك العراق ايضاً راجع ترجمتهما في (تاريخ العراق بين الاحتلالين : عباس العزاوي :
٤٤٢ – ٤٤٧ و ٥١٦ – ١) .

(٥) الشيخ شرف الدين ابو عبد الله ، مقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الحلي الاسدي . من تلاميذ الشيخ الشهيد محمد بن مكي ، توفي عام ٨٢٦ هـ ودفن بمقابر المشهد المقدس الغروي ، له مؤلفات عديدة .
(مقدمة كنز العرفان : للشيخ اغابزرك الطهراني :
طبع النجف) .

الثالثة : بناها الشيخ ملا عبد الله(١) في القرن العاشر .

ولو كانت النجف خالية من حركة علمية في هذه الفترة ، لما شيدت فيها هذه المدارس العلمية .

كما ان المصادر الرجالية : تؤكد على وجود طبقة من الاعلام في النجف ضمن فترة الانتقال . نعرض عن ذكرهم لضيق المقام .

وان هؤلاء تعهدوا الجامعة النجفية في خلال هذه الفترة في ادارة دفتها وان كانت الزعامة العلمية كانت قد انتقلت الى الحلة .

وفي صدد تحديد الاسباب التي دعت الى انتقال الحركة العلمية وزعامتها الى الحلة ، ذكرت بعض المصادر ما يلي :

١ ــ لما اصاب طلاب العلم وعلماءها من الاذى لقلة المياه في النجف .

٢ ــ هجوم الاعراب المتكرر على النجف ، حيث ذاق النجفيون آنذاك الامرين من هؤلاء الاعراب .

٣ ــ غلاء النجف .

٤ ــ انتقال زعيم الحركة العلمية العلامة الشيخ ابن ادريس صاحب السرائر الى الحلة ، لانه كان حلياً »(٢) .

(١) المولى عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي الشاه ابادي الفاضل العالم الفقيه المنطقي الجامع الكامل ، وصفته المصادر بأنه علامة زمانه لم يدانه احد في العلم والورع ، توفي في أواخر دولة السلطان شاه طهماسب الصفوي في سنة ٩٨١ هـ .

(روضات الجنات : ٣٥٨) .

(٢) الدراسة في النجف ــ احمد مجيد عيسى ــ مجلة البيان : السنة الثانية ص ٧٣٢ .

إن هذه الاسباب قد تكون وجيهة من جهة ، ولكنها من جهة أخرى قد يعوزها الدليل فمثلاً لم يتأكد لدينا ان ابن ادريس كان من طلاب الجامعة النجفية ، ثم انتقل الى الحلة بعدها ، والظاهر ان ثقافته العلمية حلية صرفة . نعم ذكرت المصادر انه روى عن ابي علي الطوسي ، او ولده ابي نصر ، وان جده لامه الشيخ الطوسي ، لكن المصادر لم تذكر لنا انه تلمذ في المدرسة النجفية .

ولم نقتنع بأن الاسباب التي دعت الى انتقال الحوزة العلمية هي هذه النقاط التي تقدمت ، انما الذي يصلح للاعتقاد هو ان الحلة نبغ فيها ابن أدريس وأضرابه، وكانت من قبله تدار فيها حركة علمية ، وعند ظهور ابن ادريس موج الحركة ووجه الانظار اليه بحملاته القاسية على شيخ الطائفة الطوسي ، والمشتغلون يتبعون المبرز في عصره وقد حقق ابن ادريس هذه التبعية بنبوغه ولهذا اثر على حركة الجامعة النجفية وان لم يشلها تماماً .

الدور الثاني للجامعة النجفية

ويمكن ان يكون النصف الاخير من القرن العاشر الهجري هو العهد الذي استعادت فيه النجف مركزها العلمي ، بعد ان فازت الحلة بزعامة المركز العلمي مدة ثلاثة قرون .

ولقد حددت بعض المصادر زمن عودة الحياة العلمية بعهد المقدس الاردبيلي (١) ، يقول السيد حسن الصدر في هذا الصدد : « ثم عادت الرحلة الى النجف في زمن المقدس الأردبيلي ، فقوي ذلك ، واشتد الناس اليه من اطراف البلاد ، وصارت من اعظم مراكز العلم » (٢) .

ونقلت بعض المصادر : ان السبب في عودة الهيئة العلمية الى النجف « ان سحبت المياه اليها ، واهتم بايصالها كثير من السلاطين والعلماء

(١) المولى احمد بن محمد الاردبيلي : قال السيد نعمة الله الجزائراي : كان له من العلم رتبة قاصية ، ومن الزهد والتقوى والورع درجة قصوى ، وكان من سكان حرم مولانا امير المؤمنين (ع) . مؤلف كبير ، ومحقق عظيم ، توفي عام ٩٩٣ ودفن بالنجف .
(مستدرك الوسائل — الشيخ ميرزا حسين النوري : ٣٩٢ — ٣ طبع ايران) .

(٢) مجموعة السلاسل الذهبية — للسيد محمد صادق بحر العلوم . بحث (مراكز العلم للشيعة — للسيد حسن الصدر في آخر تكملة امل الآمل) . ص ٥٨٥ .

وغيرهم . فقد قام الصاحب عطاء الملك بن محمد الجويني سنة ٦٧٦ ﻫ (١) بحفر نهر التاجية (٢) ثم جاء بعده الشاه اسماعيل الاول (٣) الى النجف فأمر بحفر نهر الشاه سنة ٩١٤ ﻫ ، وتلاه الشاه طهماسب الصفوي (٤) ، فأمر بحفر الطهماسية (٥) نسبة اليه سنة ٩٨٠ ﻫ ، ثم حفر الشاه عباس عند

---

(١) الصاحب عطاء الملك : علاء الدين بن بهاء الدين محمد ، تقلد الوزارة في ايام هلاكو خان وايام الملك العادل ابي اقاخان بن هلاكو خان ، كان له السطوة والطول في الدولة ، وكان فاضلا مدحه الشاعر محمد بن علي العريضي فقال :

ولأنت وابن أبيك قد شيدتما وبنوكما بيتا فويق الفرقد
يبقى على مر الزمان وما دهى بيت يقل ذراه ستة اعمد

كان مولده سنة ٦٢٣ ﻫ وتوفي عام ٦٨٣ ﻫ .

(تحفة العالم - المرحوم السيد جعفر بحر العلوم : ٢٩١ - ١ طبع النجف . وتاريخ الكوفة : ١٩٢ هامش (١) .

(٢) نهر التاجية : مأخوذ من الفرات ويصل الى مسجد الكوفة ، ثم ينتهي الى النجف بذل الصاحب عطاء الملك ما يزيد على مائة ألف دينار ذهب ، واوصل الماء الى النجف عام ٦٧٦ ﻫ . وانما سمي بالتاجية لان تاج الدين علي بن امير الدين من فضلاء عصر علاء الدين كان المباشر له ، فاشتهر باسمه

راجع (تاريخ الكوفة : ١٩١ - ١٩٥ وتحفة العالم : ١٩١ : ١٩٣ - ١ وماضي النجف : ١٨٦ - ١٩١ - ١ -) .

(٣) هو أول ملوك الصفوية وموطد دولتها ، ولد في رجب سنة ٨٩٢ ﻫ . وقد تسنم الملك عام ٩٠٦ ﻫ ، وفي عام ٩١٤ دخل بغداد بعد ان فر واليها حينذاك باريك بيك الى الشام ، وملك العراق ، وكان يكرم علماء الشيعة ويخدم الروضات والعتبات المقدسة ، توفي بتبريز سنة ٩٣٠ وقيل سنة ٩٣١ . ومدة ملكه ٢٤ سنة .

(راجع تحفة العالم : ٢٧٧ - ٢٧٨ - ١ وماضي النجف : ١٩١ - ١) .

(٤) الشاه طهماسب الاول ابن الشاه اسماعيل الاول. ولد يوم الاربعاء عام ٩١٩ ﻫ ، في قرية شهاباباد من اعمال اصفهان وملك تسع عشرة سنة ، وكان جلوسه على سرير الملك سنة ٩٣٠ ﻫ ، وتوفي سنة ٩٨٤ ﻫ .

(تاريخ الكوفة : ١٩٥ ﻫ ٢) .

(٥) قال البراقي: عندما جاء الشاه طهماسب الصفوي الى النجف في حدود عام ٩٨٠ ﻫ أمر

وفوده الى النجف نهر المكرية (٣) سنة ١٠٣٢ هـ . هذا بالاضافة الى الاحتياطات التي عملت «كبناء الاسوار» لتقليل اثر الاعراب التخريبي ، والى ما قامت به الحكومة من الأعمال لغرض تقليل ذلك ، أو ابادته ، وكان هذا الانتقال في بحر القرن التاسع بعد ان لبثت في الحلة ما يقارب ثلاثة قرون » (٤) .

وليس من البعيد ان يكون عامل توفير المياه والامن في النجف سبباً لعودة الحياة العلمية في الجامعة النجفية بعد ان رحلت عنها ثلاثة قرون .

ولكن الذي يخال لنا هو ان الدوافع الرئيسية لبعث الحياة الفكرية او تنشيطها في هذه الجامعة يعود الى عامل سياسي وطائفي دفع الى بعث الحركة العلمية في النجف .

ذلك ان السلطة الجلائرية ، والايلخانية –والتي حكمتا بغداد زماناً ليس بالقصير– كانتا على قصد في احياء الحركة العلمية في الجامعة النجفية وجعلها قوة دفاعية للشيعة ، ومركزاً مهماً يقابل بغداد .

= بحفر نهر من الفرات الى النجف غير انه لم يوفق الى ذلك فقد وصل الى مكان معروف (بالنمرود) ووقف العمل فيه فنسب الى طهماسب وصحف بعد ذلك فسمي (طهمازية) .
(راجع تاريخ الكوفة : ١٩٥ – ١٩٦ وماضي النجف وحاضرها : ١٩٢ –١) .

(٣) نهر المكرية : وقد سماه البراقي بـ(نهر الشاه) . عند زيارة الشاه عباس الاول بن الشاه محمد خدابنده المولود في عام ٩٧٩ والمتوفى عام ١٠٣٧ هـ ، الى النجف لزيارة الامام امير المؤمنين علي عليه السلام سنة ١٠٣٢ أمر بتنظيف النهر الذي حفره الشاه اسماعيل الاول من الفرات سنة زيارته مرقد جده علي عليه السلام عام ٩١٤ ، حيث طم في زمن محاصرة الروم ارض النجف ايام السلطان سليم ، فحفر وعمر حتى جرى الماء فيه ودخل مسجد الكوفة .
(تاريخ الكوفة : ١٩٥ – ١٩٦ ، ماضي النجف : ١٩٣ – ١) .

(٤) الدراسة في النجف – مجلة البيان س٢ ص ٧٣٢ .

ففي بغداد حركة علمية سنية تدار من قبل السلطة الحاكمة حينذاك في العهد العباسي ، ذات عروق وإصالة ، والسلطتان المتقدمتا الذكر هما القوة المقابلة للخلافة ، كما كان الامر في عهد البويهيين .

ولهذا كان لهاتين السلطتين اثر في دعم جامعة النجف ، واهتمامهم بها كمصادر للأشعاع العلمي المعبر عن علم اهل البيت عليهم السلام .

وذهبت بعض المصادر الى ان المدة التي عاشتها الجامعة النجفية في دورها الثاني هو من عام ٧٥٠ – ١١٥٠ هـ . غير ان الدلائل تشير الى ان العهد بدأ في عهد المقدس الاردبيلي) الذي هو في القرن العاشر . وحتى نهاية القرن الثاني عشر حيث انتقلت الى كربلا – كما سيمر علينا – .

المظاهر العلمية لهذا العهد :

اما المظاهر العلمية لهذا العهد فتتلخص بما يلي :

أولاً – استمرار النمو العلمي في مجالاته : الفقهي والاصولي :

ففي البحث الفقهي تمثل بكتاب « مدارك الاحكام »(١) للسيد محمد بن علي الموسوي(٢) وقد جاء هذا الكتاب في شرح شرايع الاسلام في ثلاث مجلدات فرغ منه سنة ٩٩٨ هـ ، وهو من احسن الكتب الاستدلالية .

---

(١) طبع الكتاب في ايران .

(٢) السيد محمد بن علي بن الحسين بن ابي الحسن الموسوي الجبعي صاحب المدارك : « كان فاضلا متبحراً ماهراً محققاً مدققاً زاهداً عابداً ورعاً فقيهاً محدثاً كاملا جامعاً للفنون والعلوم جليل القدر ، عظيم المنزلة ، له مؤلفات عديدة من رجال القرن العاشر الهجري . توفي ١٠٠٩ هـ .
(الكنى والالقاب : ٣٥٧ – ٣٥٨ – ٢) .

حتى يظهر المرجح يستلزم تخصيص المرجح لكن لما كانت ذلك مقتضيا للخوض
في لفظ العام فلا يبعد تقريره بجواز التعبير بتقدير اختصاص التخصيص بموارده
المرجح على الفرق العموم بالشمول يكون فيه ترجيح لاحد الجانبين على الآخر فيجب
وجب التوقف أصل لا ريب في جواز تخصيص العام بمفهوم الموافقة وفي
جوازه بما هو حجة من مفهوم المخالفة خلاف والأكثرون على جوازه وهو الأقوى
لنا انه دليل شرعي عارض مثله وفي العمل به جمع بين الدليلين فيجب احتج المخالف
بان الخاص انما يقدم على العام لكون دلالته على ما يتناوله اقوى من دلالة العام عليه وهو
خصوص من المخالف والا فالخاص وجهة الأقوى ظاهرة وليس الامر هنا كذلك فان
المنطوق اقوى دلالة من المفهوم وان كان المفهوم خاصا فلا يصلح لمعارضته
فضلا عن ان يرجح عليه والجواب منع كون دلالة العام بالنسبة الى محل
الخاص اقوى من دلالة مفهوم المخالفة مطلقا بل الغالب ان اغلب صور العموم
التي هي حجة وكلاهما لا يقصر في القوة من دلالة العام على خصوصية الافراد
سيما بعد شيوع تخصيص العمومات أصل الاظهر جواز تخصيص
الكتاب بالخبر المتواتر وجهه ظاهر ايضا واما تخصيصه بالخبر الواحد
على تقدير العمل به فالاقرب جوازه مطلقا وبه قال العلامة وجمع من العلماء

صفحة من كتاب (المعالم) في الأصول وعليه حواش وتعليقات لبعض العلماء

وفي البحث الاصولي تمثل بكتاب « المعالم » الذي وضعه جمال الذين الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني(١) ، وقد وصفته الكتب المختصة: « بانه « مثل المستوى العالي لعلم الاصول في عصره بتعبير سهل ، وتنظيم جديد ، الامر الذي جعل لهذا الكتاب شأناً كبيراً في عالم البحوث الاصولية ، وحتى اصبح كتاباً دراسياً في هذا العلم تناوله المعلقون بالتعليق والتوضيح والنقد » (٢) . وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات في ايران .

وأهم تلك التعاليق على المعالم هو كتاب « هدايةُ المسترشدين » للشيخ محمد تقي الاصفهاني الذي بحث كتاب المعالم في مؤلف يعادله باكثر من عشر مرات .

واصبح هذان الكتابان من الكتب الدراسية في الجامعة النجفية ، ولم تكن حصيلة هذا الدور هذين الكتابين في مجال البحث الفقهي والاصولي فحسب . فهناك عدد كبير من الكتب التي وضعت في هذين المجالين لا يتسع المقام لذكرها .

ثانياً — وفي هذا الدور برز نشاط فكري عميق ، ونتاج علمي قيم نذكر منــــه :

في المنطق — ألف الملا عبد الله النجفي كتاباً اسمه « الحاشية » واصبح من الكتب الدراسية في الجامعة في علم المنطق . وقد طبع الكتاب عدة

---

(١) الشيخ جمال الدين ، ابو منصور الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني ، أمره في العلم والفقه والتبحر والتحقيق اشهر من ان يذكر ، ولد ٩٥٩ بجبع — لبنان ، تلمذ على يد جماعة من اهل الفضل والعلم ، وقصد النجف ، وتلمذ على المقدس الاردبيلي ، ثم عاد الى جبع وتوفي فيها عام ١٠١١ هـ . (الكنى والالقاب : ٣٥٤ — ٣٥٨ — ٢) .

(٢) المعالم الجديدة : ٧٦ .

طبعات .

في فقه القرآن والحديث – الف الشيخ فخر الدين الطريحي (١) كتاباً اسمه « مجمع البحرين » وقد طبع عدة طبعات في ايران .

في ايات الاحكام – ألف الشيخ أحمد بن اسماعيل الجزائري (٢) كتاباً اسمه « آيات الاحكام » طبع في ايران .

في التفسير – ألف الشيخ ابو الحسن الفتوني العاملي النجفي (٣) كتاباً اسمه « مرآة الانوار » طبع في ايران .

وفي العقائد والامامة – الف الشيخ المتقدم الذكر كتاباً اسماه (ضياء العالمين) يقع في ثلاثة أجزاء ضخام لم يكتب أوسع منه في هذا البحث . توجد نسخة بخطه الكريم في مكتبة آل الجواهري ، لا زال مخطوطاً .

---

(١) الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن احمد بن علي بن احمد بن طريح النجفي الرماحي . وصفه الشيخ القمي بـ « العالم الفاضل المحدث الورع الزاهد العابد الفقيه الشاعر الجليل ، قالوا : كان اعبد اهل زمانه وأروعهم ، توفي بالرماحية سنة ١٠٨٥ وله عدة مصنفات .
(الكنى والالقاب : ٤١٣ – ٢) .

(٢) الشيخ احمد بن اسماعيل بن الشيخ عبد النبي بن الشيخ سعد الجزائري الغروي من مشاهير العلماء ، حاز شهرة واسعة في التحقيق والتدقيق ، له آثار علمية عديدة في الفقه توفي سنة ١١٥١ هـ .
(ماضي النجف وحاضرها : ٨١ – ٨٤ – ٢) .

(٣) الشيخ ابو الحسن بن الشيخ محمد طاهر بن الشيخ عبد الحميد . المنتهي نسبه الى عبد الحميد الفتوني النباطي العاملي النجفي ، ولد باصفهان وعاش بها ، ثم هاجر الى النجف ، وصفه الميرزا النوري بـ « افقه المحدثين واكمل الربانيين الشريف العدل افضل اهل عصره ، وأطولهم باعاً . له آثار عديدة منها بالاضافة الى ما تقدم كتاب (الفوائد الغروية) في اصول الدين واصول الفقه ، وكتاب (الانساب ، ويعرف بلب الالباب) وغيرها توفي عام ١١٣٨ هـ .
(ماضي النجف وحاضرها ٤٣ – ٤٩ – ٣) .

في علم الرجال – ألف الشيخ حسن بن العباس بن الشيخ محمد علي البلاغي (١) كتاباً أسمه «تنقيح المقال في علم الرجال» (٢).

بالاضافة إلى كثير من الكتب الادبية. وهذه الثروة الفكرية المتنوعة كان لها اكبر الاثر في بلورة الذهنية في الجامعة النجفية في هذا الدور.

الحركة الإخبارية ومظاهرها :

ثالثاً – الحركة الاخبارية :

ظهرت في اوائل القرن الحادي عشر على يد المرحوم الميرزا محمد امين الاسترابادي (٣)، واستفحل امر هذه الحركة بعده، وبخاصة في اواخر القرن الحادي عشر، وخلال القرن الثاني عشر الهجري.

وكان اثر هذه الحركة «ان صدمت علم الاصول، وعارضت نموه،

(١) الشيخ حسن بن الشيخ عباس بن الشيخ محمد علي بن محمد البلاغي. كان من اكابر العلماء ومن مشاهير أهل الفضل مجتهداً محققاً رجالياً له اطلاع في اكثر العلوم الدينية، طويل الباع في الحديث واسع الخبرة بالفقه والاصول. من أهل التقوى والورع. له مؤلفات عدة. ومن رجال القرن الحادي عشر الهجري.

(ماضي النجف وحاضرها : ٦٧ – ٦٩ – ٢).

(٢) ذكر الشيخ جعفر محبوبة في (ماضي النجف وحاضرها : ٦٨ – ٢ هامش ٢) ما يلي : «تنقيح المقال «كتاب في الاصول»، وفي مقدمته ترجم جماعة لم يذكرهم الاسترابادي في رجاله الكبير. ورأيت نسخة منه في قم عند السيد شهاب الدين النجفي النسابه». كما نقل في ص ٦٨ بان صاحب الروضات نقل عنه، وفيه حواش كثيرة ذات فوائد رجالية».

(٣) المولى الميرزا محمد الاسترابادي الاخباري : اجازه كل من الشيخ حسن بن الشهيد الثاني صاحب المعالم، والسيد محمد صاحب المدارك، حيث استفاد منهما في النجف الاشرف انتقل الى المدينة ومكة وبقي فيها، واسس الحركة الاخبارية، وتوفي فيها عام : ١٠٣٣ هـ وقيل ١٠٢٦ هـ.

(روضات الجنات : ٣٣ – ٣٩).

وعرضته لحملة قوية » جمدته زماناً ، وان لم يتوقف نهائياً ، وكان على الجامعة النجفية باعتبارها المركز العلمي العام للشيعة ان تتلقى هذه الصدمة بكل صبر .

ولا بد ان نتساءل عن طبيعة هذه الحركة وبواعثها :

وبالرغم من ان المحدث الاسترابادي كان هو رائد الحركة الاخبارية فقد حاول ان يرجع بتاريخ هذه الحركة إلى عصر الائمة وان يثبت لها جذورا عميقة في تاريخ الفقه الامامي لكي تكتسب طابعاً من الشرعية والاحترام . فهو يقول : ان الاتجاه الاخباري كان هو الاتجاه السائد بين فقهاء الامامية إلى عصر الكليني والصدوق وغيرهما . من ممثلي هذا الاتجاه ، ولم يتزعزع هذا الاتجاه إلا في أواخر القرن الرابع وبعده حين بدأ جماعة من علماء الامامية ينحرفون عن الخط الاخباري ، ويعتمدون على العقل في استنباطهم ويربطون البحث الفقهي بعلم الاصول تأثراً بالطريقة السنية في الاستنباط ثم اخذ هذا الانحراف بالتوسع والانتشار .

ان البواعث النفسية التي دفعت الاخباريـــين وعلى رأسهم المحدث الاسترابادي الى مقاومة علم الاصول ساعدت على نجاح هذه المقاومة نذكر منها ما يلي :

١ ــ عدم استيعاب ذهنية الأخباريـــين لفكرة العناصر المشتركة في عملية الاستنباط ، فقد جعلهم ذلك يتخيلون أن ربط الاستنباط بالعناصر المشتركة والقواعد الاصولية يؤدي الى الابتعاد عن النصوص الشرعية والتقليل من أهميتها .

٢ ــ سبق السنة تاريخياً الى البحث الأصولي ، والتصنيف الموسع فيه ، فقد اكسب هذا علم الاصول إطاراً سنياً في نظر هؤلاء الثائرين عليه ، فاخذوا ينظرون اليه بوصفه نتاجاً للمذهب السني .

٣ ــ ومما أكد في ذهن هؤلاء الاطار السني لعلم الاصول ان ابن الجنيد ــ وهو من رواد الاجتهاد ، وواضعي بذور علم الاصول في الفقه الامامي ــ كان يتفق مع اكثر المذاهب الفقهية السنية في القول بالقياس .

٤ ــ وساعد على إيمان الاخباريين بالاطار السني لعلم الاصول تسرب اصطلاحات من البحث الاصولي السني الى الاصوليين الاماميين وقبولهم بها بعد تطوير ها ، وإعطائها المدلول الذي يتفق مع وجهة النظر الامامية . ومثال ذلك كلمة « الاجتهاد » اذ اخذها علماؤنا الاماميون من الفقه السني وطوروا معناها ، فتراءى للأخباريين الذين لم يدركوا التحول الجوهري في مدلول المصطلح ان علم الاصول عند اصحابنا يتبنى نفس الاتجاهات العامة في الفكر العلمي السني ، ولهذا شجبوا الاجتهاد ، وعارضوا في جوازه المحققين من اصحابه .

٥ ــ وكان الدور الذي يلعبه العقل في علم الاصول مثيراً آخر للأخباريين على هذا العلم نتيجة لاتجاههم ضد الاخذ بالعقل .

٦ ــ ولعل أنجح الاساليب التي اتخذها المحدث الاسترابادي وأصحابه لاثارة الرأي العام الشيعي ضد علم الاصول هو استغلال حداثة علم الاصول لضربه ، فهو علم لم ينشأ في النطاق الإمامي إلا بعد الغيبة ، وهذا يعني أن اصحاب الائمة وفقهاء مدرستهم مضوا بدون علم اصول ، ولم يكونوا بحاجة اليه . وما دام فقهاء تلامذة الائمة ــ من قبيل زرارة بن أعين ،

ومحمد بن مسلم ، ومحمد بن ابي عمير ، ويونس بن عبدالرحمن وغيرهم – كانوا في غنى عن علم الاصول في فقهم ، فلا ضرورة للتورط فيما لم يتورطوا فيه ، ولا معنى للقول بتوقف الاستنباط والفقه على علم الاصول (١) .

واذا كانت البواعث للحملات التي شنها الاخباريون قد اوجزت هنا بما تقدم ، فما هي طبيعة الحركة الاخباريه ؟ .

فالاخبارية تقول بمنع الاجتهاد في الاحكام الشرعية ، وتعمل بالاخبار الواردة عن النبي (ص) وعن اهل بيته ، وترى ان ما في كتب الاخبار المعروفة الاربعة (٢) عند الشيعة قطعي السند ، او موثوق بصدوره ، فلا حاجة الى البحث عن سندها ، كما ترى عدم الحاجة الى تعلم أصول الفقه ، وتسقط من أدلته دليل الاجماع ، ودليل العقل ، وتقتصر على القرآن ، والخبر ، فلذلك عرفت بالاخبارية أو الاخباريين ، وترى جواز تقليد الفقيه الميت ابتداءً خلافاً للأصولية ، وغيرها من الفوارق الثابته بينهما .

ولقد حصرت بعض المصادر الفروق بين الاصوليين والاخباريين في اربعين فرقاً ، وقالت مصادر اخرى : ان المهم منها تسعة وعشرون ، وان البقية ترجع إليها وهي : ان الاصوليين يقولون :

١ – إن المجتهدين يوجبون الاجتهاد عيناً أو تخييراً ، والاخباريون يحرمونه ويوجبون الأخذ بالرواية عن المعصوم عليه السلام .

٢ – يقول الاصوليون ان الادلة عندنا أربعة : الكتاب ، والسنة ،

(١) المعالم الجديدة : ٧٦ – ٨١ بتصرف .

(٢) الكتب الاربعة المشار اليها : الكافي للكليني ، ومن لا يحضره الفقيه – للشيخ الصدوق ، والتهذيب والاستبصار – للشيخ الطوسي . وكل هذه الكتب مطبوعة .

والاجماع ، ودليل العقل ، والاخباريون لا يقولون إلا بالأولين ، بل بعضهم يقتصر على الثاني .

٣ ـ إنهم يجوزون العمل بالظنون في نفس الحكم الشرعي ، والاخباريون لا يعولون إلا على العلم إلا أن العلم عندهم قطعي واقعي ، وعادي أصلي وهو ما وصل عن المعصوم عليه السلام ثابتاً ، ولم يجز فيه الخطأ عادة .

٤ ـ إنهم ينوعون الأحاديث الى الاربعة المشهورة ، والاخباريون إلى صحيح وضعيف .

٥ ـ إنهم يفسرون الاربعة بما ذكروه ، والاخباريون يفسرون الصحيح بالمحفوف بالقرائن التي توجب العلم بالصدور عن المعصوم عليه السلام ، والضعيف بما عدا ذلك .

٦ ـ إنهم يحصرون الرعية حينئذ في صنفين : مجتهد ، ومقلد ، والاخباريون يقولون الرعية كلها مقلدة للمعصوم عليه السلام ، ولا يجوز لهم الرجوع الى المجتهد بغير حديث صحيح صريح .

٧ ـ إنهم يوجبون تحصيل الاجتهاد في زمان غيبة الامام عليه السلام والأخذ عن المعصوم عليه السلام في زمن حضوره ، والاخباريون يوجبون الأخذ عنه مطلقاً وان كان بالواسطة .

٨ ـ إنهم لا يجوزون لأحد الفتيا ولا سائر الامور الحسبية إلا مع الاجتهاد ، والاخباريون يجوزونها للرواة عن المعصومين عليهم السلام المطلعين على أحكامهم .

٩ ـ إنهم يقولون : ان المجتهد المطلق عالم بجميع أحكام الدين بالملكة ،

والاخباريون يقولون : لا عالم بجميع أحكام الله الا المعصوم عليه السلام .

١٠ – إنهم يشترطون في درجة الاستنباط علوماً شتى أهمها عندهم علم اصول الفقه ، والاخباريون لا يشترطون الا المعرفة باصطلاحات أهل بيت العصمة عليهم السلام مع معرفة كون الخبر غير معارض بمثله ، ولا يجوزون الرجوع الى الأصول المأخوذة عن كتب العامة .

١١ – إنهم يعملون في مقام الترجيح بين الأخبار المتعارضة بكل ما أوجب الظن الأجتهادي ، والاخباريون لا يعملون الا بالمرجحات المنصوصة عن الائمة عليهم السلام .

١٢ – إنهم يعملون بجميع ظواهر الألفاظ المظنونة الدالة عندهم من الكتاب والسنة ، وبالعمومات والاطلاقات المستفادة منهما بحكم المظنة مثل عموم « أوفوا بالعقود » وقوله (ص) : « لا ضرر ولا ضرار في الاسلام » . وامثال ذلك فيجعلونها قواعد كلية يرجعون اليها في موارد الشكوك . والاخباريون لا يعملون إلا بما هو مقطوع الدلالة عندهم من الايات المحكمة ، والأحاديث الصريحة غير المشتبهة حالها وإن كانت من جملة العمومات .

١٣ – ان الغالب منهم يقولون بقاعدة التسامح في أدلة السنن والكراهة والاخباريون لا يفرقون بين الاحكام الخمسة .

١٤ – ان اغلبهم لا يجوزون تقليد الميت ، ولكن الاخباريين يجوزونه ،

١٥ – انهم يجوزون الاخذ بظاهر الكتاب ، بل يرجحونه على ظاهر الخبر والاخباريون لا يجوزون الأخذ الا بما ورد تفسيره عنهم عليهم السلام .

١٦ – إنهم يعتقدون بكون المجتهد مثاباً وإن أخطأ ، والاخباريون يقولون : بل هو مأثوم مطلقاً إذا حكم في شيء بغير خبر صحيح صريح .

١٧ – إنهم يعملون باصالة الاباحة أو البراءة فيما لا نص فيه ، والاخباريون يأخذون بطريقة الاحتياط .

١٨ – إنهم لا يجوزون أخذ العقائد من القرآن واخبار الاحاد بخلاف الاحكام الفرعية . والاخباريون يقولون بعكس ذلك .

١٩ – إنهم يجوزون الاختلاف في الاحكام الاجتهادية . ولا يخطئون من يقول بخلاف الواقع في المسائل الفرعية ، والاخباريون لا يجوزون ذلك ويفسقون من قال بالخلاف ، وان وافق اعتقاده بمقتضى اجتهاده .

٢٠ – إنهم لا يجوزون الرجوع الى غير المعصوم عليه السلام فيما خفي نصه والاخباريون يجوزون طلب الحديث ولو من عامي .

٢١ – إنهم لا يجوزون المصير الى القول الشاذ الذي لا قائل به ، وان كان عليه دليل واضح ، والاخباريون يتبعون الدليل دون القائل .

٢٢ – إنهم لا يطلقون الثقة إلا على الامامي العادل الضابط ، والاخباريون يكتفون في الوثاقة بالمأمونية من الكذب .

٢٣ – إنهم يقولون بوجوب إطاعة المجتهد مثل الامام عليه السلام ، والاخباريون لا يوجبونها .

٢٤ – إنهم يرجحون الدليل باصالة البراءة ، بخلاف الاخباريين .

٢٥ – إن اكثرهم يجوزون العمل بالاجماع المنقول ولو كان في كلمات

المتأخرين من الفقهاء بل ومن غيرهم اذا كان موثقاً . بخلاف الأخباريين .

٢٦ – إنهم لا يلتفتون في الاجماع المحقق الى مخالفة معلوم النسب ، والاخباريون لا يفرقون بين معلوم النسب ومجهوله ويقولون بعدم تحقق مثل ذلك فالاتفاق الذي نقطع بدخول قول المعصوم عليه السلام فيه ، فلا حجية للاجماع عندهم مطلقاً .

٢٧ – إنهم لا يعتقدون بصحة الكتب الاربعة : (الكافي ، ومن لا يحضره الفقيه والاستبصار والتهذيب) لان فيها الصحيح والموثق والحسَن ، والضعيف . بخلاف الاخباريين فانهم يرون أنّ جميع ما فيها صحيح .

٢٨ – إنهم يجوزون العمل بالاستصحاب مطلقاً ، والاخباريون لا يجوزونه الا فيما دلت عليه النصوص .

٢٩ – إنهم لا يجوزون تأخير البيان عن وقت الحاجة لقبحه ، والاخباريون بعضهم يجوزه مثل الفاضل الاستّرابادي في الفوائد المدنية المطبوع (١) .

وكانت هذه الحركة احدى مظاهر هذا الدور ، ولقد اخذت مأخذها عند الفريقين : الاصوليين منهم ، والاخباريين بحيث انتقلت الى دور المناظرات العلمية ، والطعن على الفريق الاخر ، وكانت حصيلة هذا الصراع الفكري بين الاصوليين والاخباريين مجموعة من التأليف القيمة ، والموسوعات الضخمة في الفقه والاصول وغيرهما من جوانب المعرفة المختصة بها جامعة النجف . وكان لها في اتجاه الدرس وتطويره شأن مشهود .

(١) دليل القضاء الشرعي – للسيد محمد صادق بحر العلوم : ٢٢ – ٢٦ – ٣ طبع النجف .

مركز الجامعة في نهاية هذا الدور :

ورغم هذا كله فالجامعة النجفية استمرت في اداء رسالتها ، حتّى اواخر القرن الحادي عشر للهجرة فقد قلت الهجرة إليها ، ووفود الطلاب ، وما ان اطل القرن الثاني عشر حتّى بدت فيه مظاهر الضمور ، ثم ما كادت تمر عليها فترة حتّى انتقلت منها الى كربلا .

ولو حاولنا ان نتقصى الاسباب التي دعت لهذا الانتقال ، فنرى ان بعض المصادر تعزوها الى سببين خارجيين ، وبعض المصادر ترجعها الى ثلاثة اسباب داخلية ، وهي :

الاسباب الخارجية :

أولاً ــ تصادم المملكتين الصفوية ، والعثمانية ، والصراع الدامي ، ــ وخاصة في العراق مما ترك الناس في انكماش شديد عن الهجرة الى العراق .

ثانياً ــ ضغط الدولة العثمانية على العلماء ورجال الدين بعد استيلائهم على العراق ، على العكس مما كان عليه الصفويون من تقدير العلم ، واحترام رجاله (١) .

اما الاسباب الداخلية :

١ ــ ما اصاب النجفيين من الوباء الذي انتشر آنذاك .

٢ ــ ما أصاب النجفيين من الاذى بسبب حادثة المشعشعين (٢) ،

---

(١) حديث الجامعة النجفية : ٣١

(٢) جاء في كتاب (العرب والعراق ــ للشيخ علي الشرقي : ١٤٣ طبع بغداد) ما يلي : ــ

وهجومهم على النجف .

٣ ـ انتقال زعيم الحركة العلمية الشيخ احمد بن فهد الحلي(٣) الى كربلا (٤) .

هذه العوامل المتعددة الخارجية منها ، والداخلية هي التي سببت انتقال المركز العلمي الى كربلا ، ورغم هذا كله فان النجف لم تعدم فيها الحركة العلمية ، وانما بقيت تواكب حركتها رغم ان الزعامة العلمية قد انتقلت الى كربلا .

ـ « في سنة ٨٥٨ هـ ، اعتزم المولى علي بن محمد المشعشع على تدويخ العراق وانتزاعه من يد المغول فهاجم واسطاً وقاومه اهلها ثم احتلوها » وبعد ان تم له ذلك رحل الى الحلة حيث قتل رجالها ، واحرق المدينة ، ونقل اموالها الى البصرة ثم رحل الى المشهد الغروي والحائري . تقول الرواية : ففتحوا له الابواب ودخل فأخذ ما تبقى من القناديل والسيوف ، وروونق المشاهد جميعها من الطوس والاعقاب الفضية والستور والزوالي ، وغير ذلك ، ودخل بالفرس الى داخل الضريح وامر بكسر الصندوق واحراقه فكسر ، واحرق وقتل اهل المشهدين من السادات وغيرهم ببيوتهم.
عن تاريخ الغياثي .

ونقل ابن شدقم في تحفة الازهار : ١١٥ ـ ٣ (« بأن المولى علياً كان غالي المذهب سافر الى العراق واحرق الحجر الدائر على قبة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ، وجعل القبة مطبخاً للطعام الى مضي ستة اشهر » .

وللسيد شبر حديث طويل في رد هذا الادعاء راجع

(تاريخ الشعشعين : ٥٣ ـ ٥٧ طبع النجف)

(٣) احمد بن محمد بن فهد الحلي الاسدي أبو العباس : الزاهد العالم العابد الصالح الورع صاحب المقامات العالية ، والمصنفات الفائقة ، يروى عن المقداد السيوري ، والشيخ علي بن الخازن الفقيه وغيرهما ، ولد سنة ٧٥٧ ، وتوفي عام ٨٤١ ودفن في جوار ابي عبدالله الحسين بكربلا قرب خيمكاه ، ومزاره معروف .

(الكنى والالقاب : ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ـ ١) .

(٤) الدراسة في النجف : مجلة البيان : س ٢ ص ٧٣٢ .

من النجف الى كربلا :

وكيفما كانت الاسباب والدواعي في نقل الحركة العلمية الى كربلا من عام ١١٥٠ ﻫ الى ١٢١٢ ﻫ فقد كانت الحركة العلمية فيها قد نضجت ، وقد تجلى هذا النضج والتعميق في مدرسة الاستاذ الوحيد البهبهاني (١) الاصولة وكذلك برز في نتاج العلامة الشيخ يوسف البحراني (٢) الفقهي ، والذي ظهر في كتابه الحدائق الذي يقع في عدة مجلدات وطبع عدة طبعات .

غير ان مدرسة الوحيد البهبهاني قد « افتتحت عصراً جديداً في تاريخ العلم ، والتي اكسبت الفكر العلمي في العصر الثاني الاستعداد للانتقال الى عصر ثالث » (٣) .

وعاشت المدرسة قرابة السبعين عاماً وهي تكاد تفتح افاقاً جديدة في الكيان العلمي الكربلائي ، كان له صدى حافل بالاكبار والتقدير .

ومن الجدير ان نستمع الى مصدر يحدثنا عن اثر هذه المدرسة العلمية

---

(١) المولى محمد باقر بن محمد اكمل الاصبهاني البهبهاني ، ولد سنة ١١١٨ ﻫ ، في اصفهان ، وقطن برهة في بهبهان ، ثم انتقل الى كربلا ، ونشر العلم هناك . صنف ما يقرب من ستين كتاباً ، وكان رئيس الحركة العلمية في كربلا في وقته توفي سنة ١٢٠٨ﻫ ، ودفن في الرواق الحسيني .

(روضات الجنات : ١٢٤ – ١٢٥)

(٢) يوسف بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن صالح بن احمد بن عصفور البحراني وصفته المصادر : بالعالم ، الفاضل ، المتبحر ، الماهر ، المتتبع ، المحدث ، الورع ، العابد من اجلة المشائخ المعاصرين ولد في قرية الدراز احدى قرى البحرين سنة ١١٠٧ ﻫ ، ثم انتقل الى كرمان ثم في شيراز وبعدها انتقل الى العتبات المقدسة ، حيث حط رحله في كربلا مدرساً وعالماً حتى توفي فيها عام ١١٨٧ ﻫ ودفن في الحائر الحسيني قريباً من الشهداء .

(روضات الجنات : ٧٤١ ٧٤٢) .

(٣) المعالم الجديدة : ٨٤ – ٨٥ .

ومدى ما نالته من اتساع في القابليات الفكرية الرائعة ، يقول المصدر :

« وقد قدر للاتجاه الاخباري في القرن الثاني عشر ان يتخذ من كربلاء نقطة ارتكاز له ، وبهـذا عاصر ولادة مدرسة جديدة في الفقه والاصول ، نشأت في كربلاء أيضاً على يد رائدها المجدد الكبير محمد باقر البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ ، وقد نصبت هذه المدرسة الجديدة نفسها لمقاومة الحركة الاخبارية ، وتأييد علم الاصول ، حتّى تضاءل الاتجاه الإخباري ، وقد قامت هذه المدرسة الى صف ذلك بتنمية الفكر العلمي ، والارتفاع بعلم الاصول الى مستوى أعلى ، حتّى ان بالامكان القول بان ظهور هذه المدرسة وجهودها المتضافرة التي بذلها البهبهاني وتلامذة مدرسته المحققون الكبار قد كان حداً فاصلاً بين عصرين من تاريخ الفكر العلمي في الفقه والاصول .

وقد يكون هذا الدور الإيجابي الذي قامت به هذه المدرسة فافتتحت بذلك عصراً جديداً في تاريخ العلم متأثراً بعدة عوامل :

١ ـ عامل رد الفعل الذي أوجدته الحركة الاخبارية ، وبخاصة حين جمعها مكان واحد ككربلاء بالحوزة الاصولية ، الأمر الذي يؤدي بطبيعته الى شدة الاحتكاك وتضاعف رد الفعل .

٢ ـ ان الحاجة الى وضع موسوعات جديدة في الحديث كانت قد أشبعت ولم يبق بعد وضع الوسائل ، والوافي ، والبحار (١) إلا ان يواصل العلم نشاطه الفكري مستفيداً من تلك الموسوعات في عمليات الاستنباط .

(١) هذه الكتب الثلاثة طبعت في ايران .

٣ ـ ان الاتجاه الفلسفي في التفكير الذي كان السيد حسين الخونساري المتوفى ١٠٩٨ هـ قد وضع إحدى بذوره الأساسية زود الفكر العلمي بطاقة جديدة للنمو ، وفتح مجالاً جديداً للابداع ، وكانت مدرسة البهبهاني هي الوارثة لهذا الاتجاه .

٤ ـ عامل المكان : فان مدرسة الوحيد البهبهاني ، نشأت على مقربة من المركز الرئيسي للحوزة ـ وهو النجف ـ فكان قربها المكاني هذا من المركز سبباً لاستمرارها ومواصلة وجودها عبر طبقات متعاقبة من الاساتذة والتلامذة ، الامر الذي جعل بامكانها ان تضاعف خبرتها باستمرار ، وتضيف خبرة طبقة من رجالاتها الى خبرة الطبقة التي سبقتها ، حتى استطاعت ان تقفز بالعلم قفزة كبيرة وتعطيه ملامح عصر جديد . وبهذا كانت مدرسة البهبهاني تمتاز عن المدارس العديدة التي كانت تقوم هنا وهناك بعيداً عن المركز وتتلاشى بموت رائدها »(١) .

اما بصدد الكشف عن حصيلة هذه الفترة العلمية في كربلاء فيكفي ان نشير الى :

١ ـ كتاب الحدائق ـ للمرحوم الشيخ يوسف البحراني وقد وقع الكتاب في عدة مجلدات ، وتحدثت عنه المصادر المختصة بانه كتاب جليل لم يصنف مثله جمع فيه جميع الاقوال والاخبار الواردة عن الأئمة الاطهار ، الا انه طاب ثراه لميله الى الاخبارية كان قليل التعلق بالاستدلال بالادلة الاصولية التي هي امهات الاحكام الفقهية ، وعمد الادلة الشرعية (٢) .

(١) المعالم الجديدة : ٨٥ ـ ٨٦ .
(٢) رجال المامقاني ٣٣٤ ـ ٣ .

٢ ـــ كتاب الرياض ـــ للسيد علي بن محمد الطباطبائي (١) ، وقد وصف بأنه « في غاية الجودة جداً بحيث لم يسبق له مثيل ، ذكر فيه جميع ما وصل اليه من الأدلة والاقوال على نهج عسر على من سواه بل استحال (٢) .

٣ ـــ كتاب الفصول ـــ للشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم الحائري (٣) ، وقد وصفه الخونساري بقوله : وكتابه هذا من احسن ما كتب في اصول الفقه واجمعها للتحقيق والتدقيق واشملها لكل فكر عميق ، وقد تداولته جميع ايدي الطلبة في هذا الزمان وتقبلته القبول الحسن في جميع البلدان (٤) .

ولسنا بصددان نحصي حصيلة هذه الفترة لندل القاريء على مدى القابلية العلمية التي تمتع بها قادة الفكر والعلم في كربلاء ضمن هذه الفترة ، انما نرسم له ملامح هذه الفترة من خلال النتاج المبرز فيها . ويكفي ان نرى ان للوحيد البهبهاني ، وهو استاذ هذه الفترة ورائدها ما يقرب من ستين كتاباً في الفقه والاصول ، والعقائد ، والرجال (٥) .

---

(١) علي بن محمد بن ابي المعالي الصغير ابن ابي المعالي الكبير الطباطبائي الحائري ابن اخت العلامة الوحيد البهبهاني ، تلمذ عليه وتربى في حجره ، ولد في الكاظمية سنة ١١٦١ هـ . صنف كتباً عديدة في الفقه ، ومع هذا فقد اشتهر في الاصول . وتوفي في حدود ١٢٣١ هـ ودفن بالرواق الحسيني بكربلا. (روضات الجنات : ٤٠٠) .

(٢) رجال المامقاني : ٣٠٧ ـــ ٢

(٣) الشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم المطهراني الرازي الفاضل المدقق المتوحد في عصره . توفي بأرض الحائر بعد سنين من توطنه فيها وتدريسه الفقه والاصول فيها واقامة الجماعة فوق الرأس من الحضرة المتعالية سنين متوالية حدود سنة ١٢٦١ هـ . له عدة مؤلفات . في الفقه والاصول . (مختصر من روضات الجنات : ١٣٢) .

(٤) روضات الجنات : ١٣٢ .

(٥) الكنى والالقاب : ٩٩ ـــ ٢ .

الدور الثالث للجامعة النجفية

ويمكن ان نطلق على هذا الدور «عصر الكمال العلمي» وهو العصر الذي افتتحته في تاريخ العلم المدرسة الجديدة التي ظهرت في اواخر القرن الثاني عشر على يد الاستاذ الوحيد البهبهاني، وبدأت تبني للعلم عصره الثالث بما قدمته من جهود متظافرة في الميدانين الأصولي والفقهي.

وقد تمثلت تلك الجهود في افكار وبحوث رائد المدرسة الاستاذ الوحيد واقطاب مدرسته الذين واصلوا عمل الرائد حوالي نصف قرن حتى استكمل العصر الثالث خصائصه العامة ووصل الى القمة (١).

وعادت النجف الى ميدانها العلمي كمركز أول — من بعد هذه الفترة — للحركة العلمية التي تمثل مدرسة الوحيد البهبهاني على يد تلميذه السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي. بعد ان عاشت زماناً وهي تتفاعل بتأثيرات المدرسة الفكرية في كربلا.

ولنا ان نسمي هذا العصر بعصر النهضة العلمية لكثرة من نبغ فيه من

(١) المعالم الجديدة : ٨٨

الفحول الكبار والعلماء ، ولكثرة تهافت الناس على العلم فيه ، وازدياد الطلاب (١) .

ولعل من أهم الخطوات التي مني بها هذا العصر ، وعلى يد زعيم الجامعة النجفية السيد بحر العلوم تنظيمه للقضايا والمشاكل التي تقتضيها طبيعة المجتمع ، كما يقتضيها سير الزعامة الدينية في النجف .

فمثلاً ركز الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ للتقليد والفتوى حتى قيل : إنه اجاز لاهله وذويه الرجوع في التقليد للشيخ جعفر الكبير تمشياً مع التنظيم والتركيز .

كما عين الشيخ حسين نجف المتوفى سنة ١٢٥١ هـ للامامة والمحراب ، فكان يقيم الجماعة في « الجامع الهندي » ويؤمه الناس — على اختلاف طبقاتهم — بارشاد من السيد بحر العلوم .

اما في القضاء والخصومات ، فقد خص لها الشيخ شريف محي‌الدين فكان يرشد اليه في ذلك ، علماً منه بمهارته في القضاء ، وتثبته في الدين ، وسعة صدره لتلقي الدعاوى والمخاصمات .

واضطلع هو — باعباء التدريس ، والزعامة الكبرى ، وادارة شؤونها العامة والخاصة (٢) .

وكان هذا التقسيم منه لأدارة شؤون النجف العامة يدل على وعي كبير في الذهنية القيادية الدينية ، والتي تبرز عصره بطابع يختلف عن

(١) جامعة النجف — مجلة المجمع العلمي : ٢٩٦ — م ١١

(٢) رجال السيد بحر العلوم ٤١ — ٤٢ .

العصور السابقة من حيث النضج والوعي .

وكانت مظاهر هذا الدور بارزة جلية في مجالي الفقه والاصول الى جانب بقية العلوم التي دللت النجف على اختصاصها بها . بالاضافة الى الطابع الادبي .

ففي حقل الفقه : نرى انه تطور في هذا الدور تطوراً محسوساً لما دخله من عنصري البحث والنقد ، ولما تحلى به من قابلية النقض والابرام ، والتعمق والتحليل ، وخاصة في ملاحظة الروايات من حيث السند والدلالة ، والفحص عن مدى وثوقها عند الماضين من العلماء الاعلام ، وعرض المسائل الفقهية حسب الأدلة الاجتهادية والفقهية ،

فالتجربة العلمية التي عاشتها جامعة النجف في دورها الثالث في حقل الفقه كان لها الاثر الكبير في ابراز عطاء ناضج يدل على سعة في الافق ، ووفرة في الاطلاع ، ولذا وصف « بدور التكامل والنضج » .

اما في حقل الاصول : فقد يكون من الواقع ان يطلق على هذا الدور « دور الكمال العلمي » فان المرحلة الجديدة التي دخلها علم الاصول كان « نتيجة افكار وبحوث رائد المدرسة الاستاذ الوحيد البهبهاني ، واقطاب مدرسته الذين واصلوا عمل الرائد حوالي نصف قرن حتى استكمل العصر الثالث خصائصه العامة ووصل الى القمة (١) » .

وما ان بلغ العهد بالمحقق الانصاري الشيخ مرتضى ، حتى اعتبر رائدا لأرقى مرحلة من مراحل الدور الثالث التي يتمثل فيها الفكر العلمي منذ

(١) المعالم الجديدة : ٨٨ .

اكثر من مئة سنة حتى اليوم(١) .

وعندما اطل القرن الرابع عشر الهجري لمع اسم المجدد الشيخ ملا محمد كاظم الخراساني الذي فتح آفاقاً جديدة للعلم ، وقدر له ولمن خلفه كالميرزا حسين النائيني ، والشيخ محمد حسين الاصفهاني ، والشيخ اقاضياء العراقي وغيرهم من اقطاب هذه المدرسة ان يرتفعوا الى القمة العلميــة ، والتي خلفت تراثاً ضخماً تستنير به الاجيال .



الزعيم الروحاني المجدد الشيخ ملا محمد كاظم الاخوند الخراساني

والى جانب هذين العلمين الرئيسيين فقد قدمت الجامعة النجفية عطاءً ثراً في مختلف العلوم سواء أكان لها مساس في علومنا الفقهية والاصولية او لهـا صلة بطبيعة النجف الادبية .

ولقد سبب ازدهار الجامعة النجفية الى كثرة المدارس الدينية في هذا الدور ، والتي نصطلح عليها في عصرنا الحديث بالاقسام الداخلية لطلاب العلوم بالاضافة الى كونها مقرات للتدريس والبحث .

وتكاثر المدارس يدل على ازدياد الهجرة الى طلب العلم ، وخاصة من البلاد النائية . ونتيجة لهذا التوسع في تكاثر الهجرة الى النجف اتسعت

(١) المعالم الجديدة : ٨٩ .

الاقسام الداخلية لتضم الطلاب المتغربين عن بلادهم ، وتحافظ عليهم ، وتهيء لهم المأوى والرواتب ، والمجال الاوسع في حياتهم الدراسية(١) .

ورغم تعرض النجف لهزات قوية وعنيفة في دورها الاخير سواءً الخارجية منها أو الداخلية ، أضف اليها الظروف الخاصة التي اظهرت قادة النجف من العلماء الاعلام بالموقف القيادي للزعامة السياسية والدينية ، ومن أجل مظـــاهر تلكم المواقف المشهورة ثورة العشرين ، ظلت سياسة البلد تدار من قبل رجال العلم ومجتهدي النجف وعلمائها بزعامة الامام الميرزا محمد تقي الشيرازي .

وتاريخ العراق السياسي يذكر هذه الحقيقة بكل اكبار ، ويؤكد على ان القيادة السياسية العامة كانت تلقي عصا ترحالها بيد اهل العلم بين آونة واخرى ، وكما هو الآن — من موقف الامام السيد محسن الحكيم .

وكانت هذه الهزات التي مرت الاشارة اليها عاملاً في تقليص نفوذ الجامعة او امتداد زعامتها تبعاً للتيارات السياسية .

وثمة عامل آخر كان له اثر في تقليص نفوذ هذا المركز العلمي ، وهو انتقال المرجعية من النجف في بعض الاحيان ، وفي فترات وجيزة ، وتنقلها بين كربلاء ، والكاظمية ، وقم ، وغيرها .

ولكن رغم هذه الفترات القصار التي كانت تتناوب بين النجف ، والمدن الاخرى وتنقل عنها المرجعية العامة في عهد قصير ، وعلى فترات متباعدة ظل هذا المعهد محافظاً على طابعه العلمي ، لا يتخلله ضعف أو وهن ،

... ...

(١) جامعة النجف — مجلة المجمع العلمي العراقي : ٢٩٦ — م ١١

فقد ادى رسالته العلمية على الوجه الاكمل .

ولقد قدر عدد المهاجرين وطلاب العلم في هذه الجامعة في دورها الاخير بحوالي خمسة آلاف طالب من مختلف الاقطار الاسلامية : كالهند ، وباكستان ، وايران وافغانستان ، وتركيا والتبت ، وبعض الدول الافريقية ، ولبنان ، وسوريا ، والاحساء والخليج ، وغيرها من الاقطار الاسلامية .

والدراسة في الجامعة النجفية مجانية من حين تأسيسها حتى يومنا هذا ، وبالاضافة الى ذلك تقوم (المرجعية الدينية العامة) وهي التي تمثل المرجع الاعلى للشيعة بتعيين رواتب شهرية لطلاب العلوم على اختلاف طبقاتهم ، وتخص المهاجرين منهم بزيادة نظراً لعدم وجود اي مورد آخر لهم في هذا البلد .

وتعتمد في مواردها المالية على الحقوق الشرعية من الاموال التي يدفعها المؤمنون من مختلف الاقطار ، وعلى بعض التبرعات من المحسنين ، وليس لهذه الجهات الدينية أي مورد حكومي ، ولا علاقة لها بالحكومات على اختلافها في شؤونها الخاصة والعامة ، مادية او غيرها .

*

معالم النهضة العلمية لهذا الدور :

اما بالنسبة لأبراز معالم النهضة العلمية لهذا الدور فيمكن تقسيم نتاجها الى عدة مراتب ، حسب التسلسل الزمني للمؤلفين — مع غض النظر عن اعتباراتهم العلمية .

ولقد حصل هذا الدور على مجموعة نفيسة في مختلف العلوم ولكننا

كتاب البيع

صفحة من كتاب (المكاسب) للشيخ الأنصاري

تبعاً لاختصاصنا في هذا البحث بالفقه والاصول ، فسنقصر عليهما بحثنا

المرتبة الأولى :

وتكاد تكون حافلة بالنتاج الفقهي ، وأهم هذه الحصيلة العلمية هي :

١ ـ كتاب (المصابيح) للسيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي المتوفى ١٢١٢ هـ ، وهو ما زال مخطوطاً ويقع في ثلاث مجلدات .

٢ ـ كتاب (مفتاح الكرامة) للسيد محمد جواد بن السيد محمد الحسيني العاملي النجفي المتوفى سنة ١٢٢٦ هـ ، طبع بمصر ودمشق ، يقع في ثماني مجلدات .

٣ ـ كتاب (كشف الغطاء) للشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناجي المعروف بكاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ ، مطبوع بايران في مجلد واحد .

٤ ـ كتاب (مقابس الانوار) للشيخ أسد الله التستري المتوفى سنة ١٢٣٤ هـ طبع بايران في مجلد واحد .

٥ ـ كتاب (مستند الاحكام) للمولى احمد بن المولى محمد مهدي النراقي الكاشاني المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ ، طبع بايران في مجلدين .

المرتبة الثانية :

١ ـ كتاب (جواهر الكلام) الشيخ محمد حسن بن الشيخ محمد باقر النجفي ، المعروف بصاحب الجواهر ، المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ ، وهو كتاب

صفحة من كتاب (جواهر الكلام) في الفقه للشيخ محمد حسن صاحب الجواهر

فقه استدلالي ، طبع عدة مرات في ست مجلدات .

٢ ــ كتاب (المكاسب) في الفقه ــ للشيخ مرتضى الانصاري المتوفى سنة ١٢٨١ هـ ، طبع بايران في مجلد واحد .

٣ ــ كتاب (الرسائل) في الاصول ــ للشيخ مرتضى الانصاري طبع بايران في مجلدة واحد .

٤ ــ كتاب (البرهان القاطع) في الفقه للسيد علي بن السيد رضا بحر العلوم المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ . طبع بايران في ثلاث مجلدات .

المرتبة الثالثة :

١ ــ كتاب (هداية الانام) في الفقه للشيخ محمد حسين الكاظمي النجفي المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ طبع منه في النجف ثلاث مجلدات ، واصله في سبع وعشرين مجلداً شرح فيها كتاب (شرائع الاسلام) للمحقق الحلي .

٢ ــ كتاب (مصباح الفقيه) للشيخ آغا رضا بن محمد هادي الهمداني المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ طبع في ثلاث مجلدات جزءآن في النجف ، والثالث في ايران .

٣ ــ كتاب (حاشية على رسائل الانصاري) في الاصول ــ للشيخ آغا رضا الهمداني ، طبع في ايران في مجلد واحد .

٤ ــ كتاب (بلغة الفقيه) في الفقه ــ السيد محمد بن السيد محمد تقي ابن السيد رضا بحر العلوم ، المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ ، طبع عدة طبعات في ايران في مجلد واحد .

ما ينبغي ان يكون النزاع فيه هو ما ذكرنا كما لا يخفى ثانيهما
في الظاهر ان المراد من الاقتضاء هيهنا الاقتضاء بنحو العلية
والتأثير لا بنحو الكشف والدلالة ولذا نسب الى الاتيان
لا الى الصيغة ان قلت هذا انما يكون كذلك بالنسبة
الى امره واما بالنسبة الى امر آخر كالاتيان بالمأمور به بالامر
الاضطراري او الظاهري بالنسبة الى الامر الواقعي فالنزاع
في الحقيقة في دلالة دليلهما على اعتباره بنحو يفيد الاجزاء
او بنحو آخر لا يفيده قلت نعم لكنه لا ينافي كون النزاع
فيهما كان في الاقتضاء بالمعنى المتقدم غايته ان العمدة في
سبب الاختلاف فيهما انما هو الخلاف في دلالة دليلهما
هل انه على نحو يستقل العقل بان الاتيان به موجب
للاجزاء ويؤثر فيه وعدم دلالته ويكون النزاع فيه صغرويا
ايضا بخلافه في الاجزاء بالاضافة الى امره فانه لا يكون
الا كبرويا لو كان هناك نزاع كما نقل عن ابي هاشم
ثالثها الظاهر ان الاجزاء هيهنا بمعناه لغة

صفحة من كتاب (كفاية الأصول) للملا الشيخ محمد كاظم الاخوند الخراساني

٥ ـ كتاب (كفاية الاصول) في الاصول ـ للشيخ محمد كاظم الخراساني المتوفى سنة ١٣٣١ هـ ، طبع عدة طبعات في النجف وبغداد وايران يقع في جزئين .

٦ ـ كتاب (العروة الوثقى) وملحقاتها للمرحوم السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ ، طبع عدة طبعات . في بغداد ، والنجف ، وايران .

المرتبة الرابعة :

ولقد تجلى نتاج هذا الدور في حقلي الفقه والاصول بالشروح الكثيرة لكتابي « العروة الوثقى » في الفقه ، و «كفاية الاصول » في اصول الفقه .

ففي الفقه : اصبحت « العروة الوثقى » مصدراً للبحوث والتعليقات فيما بعد وحتّى عصرنا الحاضر . وقد سجلت المصادر ما يزيد على العشرين شرحاً لهذا الكتاب .

وهذا الكتاب صار المحور للدراسة الخارجية (البحث الخارج) من حين ظهوره . وفي طليعة هذه الحصيلة من شروح هذا الكتاب (مستمسك العروة الوثقى) للامام السيد محسن الحكيم ، وقد طبع من هذا الكتاب حتّى الآن اثنا عشر مجلداً ، ويعتبر الكتاب الشرح الاول للعروة . وللبحث الخارج الذي يدور عليه التدريس اليوم .

اما بالنسبة للأصول ، فقد اصبحت «كفاية الاصول » هي القاعدة والاساس لبحوث الباحثين والمدرسين ، ولعل في مقدمة النتاج العلمي ، والذي هو في مقام الشرح والتعليق بحوث الميرزا حسين النائيني الاصولية

والذي خلف تراثاً ضخماً من بحوث اصولية مركزة على اقلام تلامذته والذين عليهم مدار الهيئة العلمية في الجامعة النجفية حتّى الآن ، امثال الامامين السيد ابي القاسم الخوئي ، والشيخ حسين الحلي ، وغيرهما من اقطاب هذه المدرسة الفكرية العلمية .

أسلوب الدراسة في الجامعة النجفية

لا يختلف اسلوب الدراسة في جامعة النجف كثيراً عن سائر الجامعات الاسلامية القديمة في نوعية التدريس ، انما تمتاز هذه الجامعة بطريقة تحصيل ملكة الاجتهاد في الفقه الذي تختص الامامية بفتح بابه .

وثمة اختلاف آخر : هو ان الطالب الديني في مرحلة دراسته في هذه الجامعة لا يفكر بان ينال شهادة ، او يجتاز عقبة امتحان رسمي ليحظى بوظيفة ، انما يفكر ويطلب العلم لنفسه .

ومن مميزات هذه الدراسة ، ان الطالب حر في اختيار المدرس ولم يسع المدرس التخلف بوجه — اذا كانت لديه فرصة من الوقت — ، ولم يكن هذا الدافع خوف السلطة الزمنية ، وضغطها على المدرس بالتخلف عن الاستجابة للتدريس انما هي طبيعة النجف الاشرف مبنية على هذا النهج ، فهو باستجابته يلبي دعوة الواجب الديني فقط . والتدريس في الجامعة النجفية بكل اقسامه مجاني لا يأخذ عليه المدرس اجراً ، ولا يتقاضى في سبيله راتباً ، انما عمله خالص لوجه الله سبحانه .

وتمر على الطالب ثلاث مراحل ليصل الى غايته المنشودة مرتبة (الاجتهاد) .

اولاً ـ الدراسات التمهيدية ، او مرحلة (المقدمات) (١) .

ثانياً ـ الدراسات الوسطى ، او مرحلة (السطوح) (٢) .

ثالثاً ـ الدراسات العليا ، او مرحلة (بحث الخارج) (٣) .

مراحل الدراسة :

المرحلة الاولى : دراسة المقدمات

وفي هذه المرحلة تكون الدراسة فردية على الاكثر ، وان كان من الممكن ان يشترك عدد من الطلاب في درس من دروس هذه المرحلة ، كما تتوفر للطالب حرية اختيار المدرس بالكتاب الذي يروم درسه ، وفي اي مكان او زمان يتفق عليه الاستاذ والتلميذ . وللطالب حرية النقاش مع استاذه ، ولكنه محدد بالقدر الذي يسعه افق الطالب وتفكيره ، والغرض من هذه الحرية التوجيه والتمرين على قوة الملاحظة .

ومدة الدرس اليومي من نصف ساعة الى ساعة حسبما يناسب الاستاذ والتلميذ والكتاب .

---

(١) المقدمات : من مصطلحات الجامعة النجفية ، ويراد بها الدروس الأولية للجامعة النجفية ، كالنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والمنطق .

(٢) السطوح : ويقصد بهذا المصطلح الدراسة التي تشمل متن الكتب الاستدلالية الفقهية والاصولية.

(٣) البحث الخارج : والمقصود من (البحث) المحاورة والمناقشة بين الطرفين ، وقد اطلق على المرحلة الاخيرة من الدراسة الدينية اسم (البحث) وذلك لتوفر الحرية في اعطاء الرأي ومناقشته ، والمؤاخذة على ايراد الاشكال والدفاع والاستدلال ، وتكون حجتهم موضع عناية الاستاذ والطلاب .

والمقصود بمصطلح (الخارج) الدروس التي يتلقاها الطلاب في المرحلة الثالثة ، وانها خارج نطاق الكتب يحضر فيها الاستاذ ، ويستمع الطالب دون كتاب .

اما المواد المقررة للتدريس في هذه المرحلة فهي :

النحو والصرف – وكتبهما : الاجرومية لمؤلفها عبد الله بن‌هشام ، وقطر الندى لابن هشام ، وشروح الفية ابن مالك، لابن الناظم، او ابن عقيل ، وابن هشام ، والاشموني .

وقد يستعاض عن الاجرومية ، وقطر الندى بكتاب النحو الواضح .

ويعتمد الطلاب الايرانيون على كتاب جامع المقدمات ، وصرف مير . ولغاية التوسع يتّبعون كتاب السيوطي في العربية ، وشرح الرضي ، والجامي .

ولغرض التوسع في العربية يدرس كتاب مغني اللبيب لابن هشام وشذور الذهب لابن هشام ، والكتاب لسيبويه ، وغيرهم .

البلاغة والمعاني والبيان – وكتبها :

المطول – للتفتازاني .

المختصر – للتفتازاني اختصر فيه تلخيص المفتاح .

جواهر البلاغة – للسيد احمد الهاشمي .

المنطق – وكتبه : حاشية ملا عبد الله النجفي ، والشمسية لقطب الدين الرازي ، والمنطق للشيخ محمد رضا المظفر ، وربما توسع الطالب فيدرس شرح المطالع .

اصول الفقه : وكتبه – المعالم للشيخ حسن بن زين الدين الشهيد الثاني واصول المظفر الجزءآن الاولان منه ، واصول الاستنباط للسيد علي نقي الحيدري ، وكتاب المعالم الجديدة للسيد محمد باقر الصدر ، الذي صدر

مطلقاً من المسمى بحسب ما بقي واستحق بمقدار ما مضى والفرق بين هذه المسألة وما مر في المسألة السابقة أن الإبطال هنا عرض ودافع وهناك من قبله أو شرط .

فصل

الإجارة من العقود اللازمة (١) . لا تنفسخ إلا بالتقايل أو شرط الخيار لأحدهما أو كليهما إذا اختار الفسخ . نعم الإجارة المعاطاتية جائزة (٢) . يجوز لكل منهما الفسخ ما لم تلزم بتصرفهما ، أو تصرف أحدهما فيما انتقل إليه .

(مسألة ١) يجوز بيع العين المستأجرة قبل تمام مدة الإجارة . ولا تنفسخ الإجارة به (٣) . فتنتقل إلى المشتري مسلوبة المنفعة مدة الإجارة . نعم للمشتري مع جهله بالإجارة خيار فسخ البيع (٤) ، لأن نقص المنفعة عيب (٥) . ولكن

فصل

(١) بلا خلاف ، بل عليه الإجماع محكي ، ويشهد له غير واحد من النصوص ، مضافاً إلى عمومات اللزوم .

(٢) بناء على تمامية الإجماع على عدم لزوم المعاطاة إلا بملزم من الملزمات المذكورة في محلها .

(٣) بلا خلاف ولا إشكال ، ويشهد له جملة من النصوص .

(٤) كما صرح به جمع كثير ، بل عن الغنية الإجماع عليه .

(٥) لأن [illegible]

صفحة من (العروة الوثقى) وعليها شرح الإمام السيد محسن الحكيم

حديثاً (١) .

الفقه : وكتبه – تبصرة العلامة الحلي ، مختصر النافع ، للمحقق الحلي شرائع الاسلام للمحقق الحلي ، وقد تدرس بعض الرسائل العملية كالعروة الوثقى للسيد كاظم الطباطبائي ، ووسيلة النجاة للسيد ابي الحسن الاصفهاني ، ومنهاج الصالحين للسيد محسن الحكيم الطباطبائي .

وربما ينضم الى هذا كله دراسة علم الكلام ، والعلوم الرياضية ، وبعض العلوم الادبية : كعلوم العروض ، والقافية ، والبديع ، والنصوص الادبية ، وهذا كله حسب رغبة الطالب ، واستعداده في المشاركة بهذه المعارف وما الى ذلك .

ومدة هذه المرحلة من ثلاث الى خمس سنوات .

المرحلة الثانية : دراسة السطوح :

وهي دراسة متن الكتب الموضوعة في الفقه الاستدلالي ، واصول الفقه ويتبع فيها محاكمة الآراء ومناقشتها بحرية كاملة ، وعلى الأكثر تجري هذه المرحلة على اسلوب الحلقات ، حيث يجتمع أكثر من طالب واحد في مجلس احد المدرسين المعروفين ويختلف عدد الطلاب في كل حلقة حسب اختلاف المدرس وتفوقه في اسلوب التدريس ، وسعة اطلاعه ، كما ان الحرية مطلقة للطالب في اختيار الكتاب والدرس .

واهم الكتب المقررة لهذه المرحلة هي :

في الفقه : (شرح اللمعة الدمشقية) للمرحـوم زين الدين الشهيد الثاني ،

(١) يدرس هذا الكتاب في كلية اصول الدين ببغداد .

والمكاسب للمرحوم الشيخ مرتضى الانصاري ، وقد يدرس كتاب (رياض العلماء) للسيد علي الطباطبائي ، وكتاب (مسالك الافهام) لزين الدين العاملي الشهير بالشهيد الثاني .

في الاصول : القوانين – للقمي ، الفصول للحائري ، كفاية الاصول للشيخ محمد كاظم الخراساني ، رسائل الشيخ مرتضى الانصاري ، الجزء الثالث من اصول الشيخ محمد رضا المظفر ، وللتوسع يقرأ الطالب الاصول العامة – دراسة للأصول مقارنة – للسيد محمد تقي الحكيم – طبع حديثاً (١) .

وهناك مراجع اخرى أوسع دائرة وبحثاً لا يستغني عنها الطالب الباحث واذا انتهى الطالب من هذه المرحلة باتقان استحق أن يسمى (مراهقاً) (٢) .

ولما كانت كتب السطوح كلها استدلالية فان دراستها والاستفادة منها توسع ذهن الطالب ، وتمنحه مقدرة خاصة لإقامة الدليل ، اوردّ البراهين والدعاوى .

وقد ينضم الى هذه المرحلة دراسة علم الكلام ، والحكمة ، والفلسفة الالهية ، والتفسير والحديث ، واصول الحديث ، واحوال الرواة .

ومدة مرحلة (السطوح) عادة من ثلاث الى ست سنوات ، وقد تزيد احياناً عن ذلك .

المرحلة الثالثة – بحث الخارج :

وهي المرحلة التي يحضر فيها الطالب دروس كبار العلماء المجتهدين

---

(١) يدرس هذا الكتاب في الصف المنتهي في كلية الفقه في النجف الاشرف كما يدرس في معهد الدراسات الاسلامية العليا – جامعة بغداد – قسم ماجستير الشريعة .

(٢) مراهق : مقارب لدرجة الاجتهاد .

في الفقه والاصول ، وهذه هي آخر مراحل الدراسة التي قد يوفق فيها الى بلوغ درجـــة الاجتهاد وهي اعـــلى درجة ، وبها امتياز هذه الجامعة الاسلامية في اساوب التدريس وفي حرية المناقشة والرأي ، وفي درجتها العلمية العالية .

تتكون هذه المرحلة عادة في دورات يتولاها كبار العلماء المجتهدين ، ويبتدىء المدرس منهم بدورة بحوث أصولية ، او فقهية يلقيها بشكل محاضرات يومية فيشرح المسألة شرحاً وافياً بعرض الاقوال من مختلف المذاهب الاسلامية ، ومناقشة الآراء فيها ، وأدلتها المختلفة ، ويختار ما ينتهي اليه رأيه مع الدليل ، ولكل مدرس طريقة خاصة في اسلوب البحث ، وسعة المنهج ، والاسس العلمية التي يعتمدها .

وهذه الدورات لا تكون الا جماعية يحضر فيها عدد كبير ، وجم غفير من الطلاب وذلك تبعاً لشهرة المدرس في تفوقه العلمي ، ودقة منهجه ، واسلوب تدريسه ، وقد سميت هذه المرحلة (بحث الخارج) نظراً الى ان التدريس فيها لا يعتمد على رأي خاص ، ولا على كتاب معين الا ما قد يتخذ على سبيل تسهيل المراجعة على الطلاب او التحضير قبل الدرس .

وللطلاب في هذه الدورات كامل الحرية في المناقشة ، وابداء الرأي في اثناء المحاضرة وبعدها ، وقد يكون كثير من طلابها مراهقين للاجتهاد في انفسهم .

وميزة هذه الدورات عمق البحث ودقته ، وسعة أفقه ، والحرية الكاملة في نقد الآراء ومناقشتها مهما كان صاحبها ، وبهذا الاسلوب يغذى الطلاب

ليتمكنوا من الاعتماد على آرائهم ، والثقة بنفوسهم حيث يرجع اليهم الناس ، وتقلدهم الامة في امورها .

الى هذا النهج الدراسي يعزى السر في تطور الدراسات الفقهية والاصولية في جامعة النجف على مر القرون ، ومن يقرأ كتاباً في الفقه واصوله لاحد اعلام القرنين الرابع والخامس مثلاً ، ثم يقرأ كتاباً فيها لأحد اعلام هذا القرن يلمس مدى التطور الذي بلغه البحث في هذا الشأن .

والطلاب الذين في حلقات الدروس الخارجية ، يحضرون عدة سنوات ، او دورة كاملة في الفقه او الاصول ، ثم يعرضون كتاباتهم ، وتقريراتهم على الاستاذ ، واذا ما حازت الرضا والقبول يمنحه الاستاذ شهادة كتابية ، يقال لها (اجازة الاجتهاد) وعندما يحصل الطالب على هذه الاجازة يصبح (مجازاً) وفي ذلك الوقت يكون قد بلغ مقام الاجتهاد ، وقد صار باصطلاح العلماء (مجتهداً) (١) .

وقد قسمت بعض المصادر درس الخارج الى ثلاث مراتب :

ـ ادناها : ان يحضر قوم فرغوا من السطوح درساً يسير على عناوين كتاب من كتب التدريس ، ويتعهد الاستاذ ببيان مطلب الكتاب بايضاح من دون تقيد بعبارة الكتاب ، ويضيف الى مطالب الكتاب المناقشات التي ناقش العلماء فيها صاحب الكتاب وقد يقبلها وقد يردها . وقد يضيف اليها مناقشات أخرى . وهو في الوقت نفسه يحاول تصحيح ما في الكتاب ، الا اذا كان فساده بمكان من الوضوح . وذلك لان الطلاب اعتادوا الايمان بما في الكتاب . ثم بما يقوله الاستاذ .

(١) جامعة النجف ـ مجلة المجمع العلمي العراقي : ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ـ م ١١ بتصرف .

وأوسطها : ما مر باضافة ما في كتب التدريس الاخرى، او ما في بعض الكتب المهمة مثلاً : يكون عنوان الدرس الجزء الثاني من الكفاية ، فيتعهد الاستاذ ببيان ما فيها، مع ما في الرسائل، مع ما في تقريرات درس (النائيني) مثلاً ، ثم يحاكم آراءهم ، ثم يختار .

وأعلاها : وهو المرتبة الاخيرة ، وذلك بأن يشرع الاستاذ في مسائل العلم على نهج خاص به ، ترتيباً وتبويباً، وتحقيقاً، وتنميقاً ، فانه يحرر المسألة من تلقاء نفسه ، ويشير الى جهاتها وأقوالها بحسب ما يراه من استحقاقها للايجاز والاطناب ، ويذكر النظريات ويلغي الادلة الضعيفة ، ويناقش باقي الادلة ، وينتهي الى رأي جديد، ومطلب ناضج قد يختلف مع كثير من آراء متقدميه (١) .

وللمجتهد الحق في ان يصنف في احكام الدين كتاباً يسمى : (الرسالة) طبقاً لاجتهاده — أي بحثه واستنباطه — او ان يكتب الحواشي ، ويصادق على رسائل العلماء السابقين ، ويفتي في الاختلافات والاشتباهات والاشكالات التي تفرض لاتباع المذهب — اي المقلدين — بمعنى انه يبدي رأياً وحكماً يأخذ به المقلدون فيعملون بمقتضاه .

كما انه يخلف اساتذته في التدريس الخارجي ، ويتسنم مرجعية المسلمين في التقليد وادارة الشؤون العلمية ، والاجتماعية ، والاقتصادية لجامعة النجف ، وباقي الحوزات العلمية الدينية في العتبات المقدسة ، بعد تأهيله لذلك بواسطة الشهرة الساحقة للطلبة من اهل العلم ، او شهادة اثنين عادلين

(١) جامعة النجف في عصرها الحاضر — الشيخ محمد تقي الفقيه — ١١٦ — ١١٧ — طبع صور الحديثة — لبنان .

من كبار العلماء في حقه .

والشيء الذي يجب ان نشير اليه قبل ختام هذا الفصل هو (لغة التدريس) والتدريس بصورة عامة في النجف الاشرف باللغة العربية ، وباللغة الفصحى طبعاً ، وهذه اللغة تتماشى في كل مراحل التدريس .

اما الطلاب الاجانب : كالايرانيين ، والافغانيين ، والهنود ، والتبتيين والنكر ، وغيرهم ، فانهم يتلقون الدروس السطحية باللغة العربية ، ثم يترجمها اساتذتهم بلغاتهم .

اما دروس الخارج فالطابع العربي هو البارز عليها ، اللهم الا بعض الشواهد ، او شرح المصطلحات ، زيادة للتوضيح ، فقد تكون غير اللغة العربية لها مجال في هذا الموضوع .

أشهر الكتب الدراسية في جامعة النجف

لم تقتصر الجامعة النجفية على كتاب محدود يدرسه الطالب في علم من العلوم ، فللطالب ان يتوسع ويقرأ ويدرس اي كتاب شاء ، ويرغب فيه ، ويستطيع ان يتفهمه وينسجم معه . ولكن هناك كتباً مشهورة في نطاق الحوزة العلمية تداول عليها المشتغلون والمحصلون ، فأصبحت بحكم التـــداول والاستمرارية هي المعروفة دون غيرها ، ولشهرتها نذكرها : .

في النحو :

١ ــ كتاب (قطر الندى ، وبل الصدى) لمؤلفه عبد الله بن يوسف ابن احمد بن هشام المتوفى سنة ٧٦١ هـ ، من ائمة العربية ، طبع عدة مرات .

وهذا الكتاب يدرسه الطالب في المرحلة الاولى من تعليمه ، وهو يلم بجميع ابواب النحو بصورة مختصرة .

٢ - كتاب (الفية ابن مالك) ارجوزة في النحو في الف بيت ناظمها محمد بن عبد الله بن مالك الطائي المتوفى ٦٧٢ هـ ، احد ائمة النحو طبعت ، ولقد شرحها جمع من أئمة النحو كابن هشام ، والاشموني ، وابن عقيل ، وابن الناظم بدر الدين محمد المتوفى سنة ٦٨٦ هـ ، ويتميز شرحه بغزارة المادة ، وتعقيد العبارة ، واختارته الجامعة النجفية لثروته العلمية لانه يوسع ذهن الطالب .

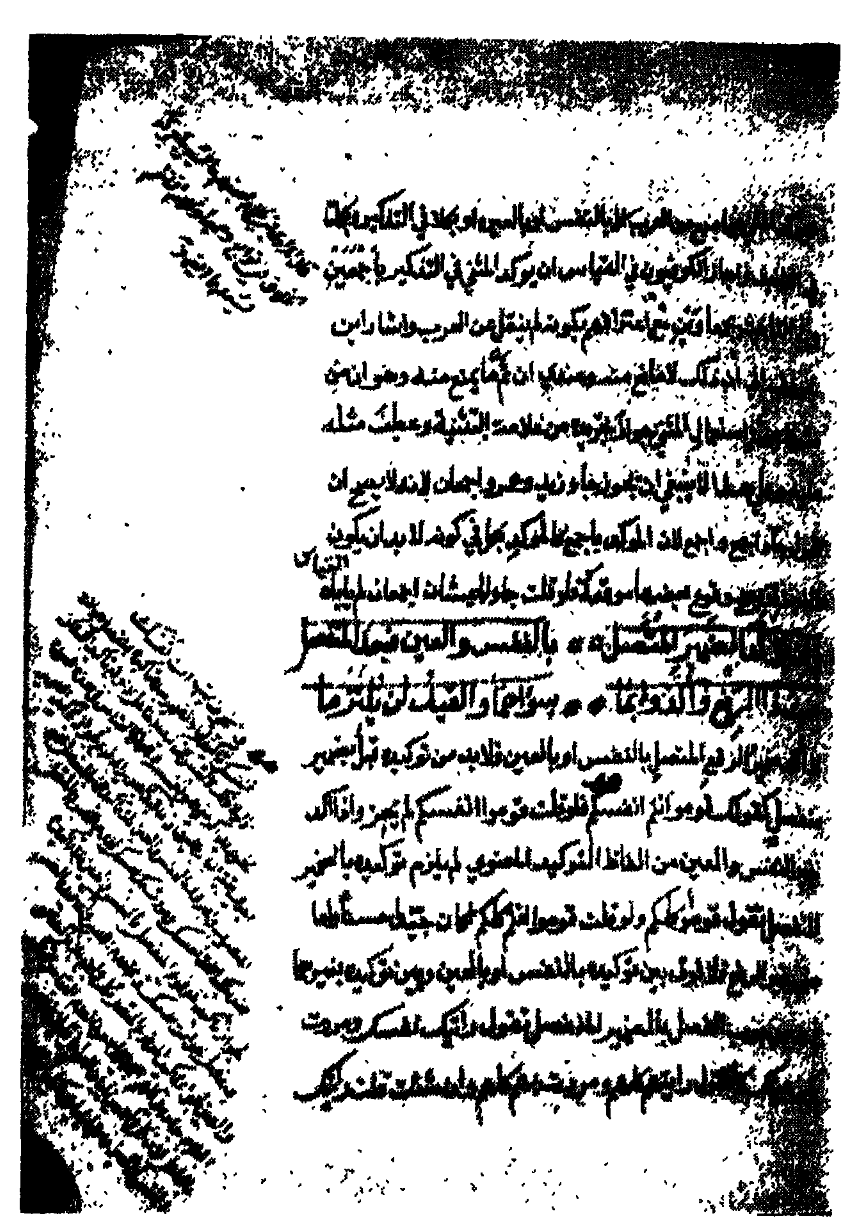
٣ - كتاب (مغني اللبيب) لمؤلفه ابن هشام - صاحب كتاب قطر الندى - المتقدم الذكر وهو كتاب واسع الجوانب يقع في مجلدين اشبه بالقاموس للمصطلحات النحوية ، وهذا الكتاب يدرسه الطالب في المرحلة الاخيرة لدراسته النحوية بغية التوسع.

في البلاغة :

١ - (المختصر) لمؤلفه مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١ هـ من ائمة العربية ، والبيان ، والمنطق ، اختصر بهذا الكتاب تلخيص المفتاح ،

واغلب الطلاب يكتفون بهذا الكتاب عن (المطول) لانه اخصر . طبع عدة طبعات .

٢ - (جواهر البلاغة) لمؤلفه السيد احمد بن ابراهيم الهاشمي من رجال القرن الرابع عشر الهجري ، وضع هذا الكتاب بصورة مبسطة ليسهل تناوله على الطلاب . وقد بحث في البلاغة ، والمعاني والبيان ، والبديع .



صفحة من كتاب (ألفية ابن مالك) في النحو لمحمد بن مالك الجياني الأندلسي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ والشرح لولده بدر الدين وقد اخترنا هذه النسخة التي يعود تأريخها الى ما قبل ٤٠٠ سنة على سبيل النموذج للكتب القديمة ، والكتاب مطبوع عدة طبعات .

في المنطق :

١ –كتاب (الحاشية في المنطق) لمؤلفها الملا عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي ، المتوفى سنة ٩٨١ هـ ، من المختصين بعلم المنطق طبع في طهران .

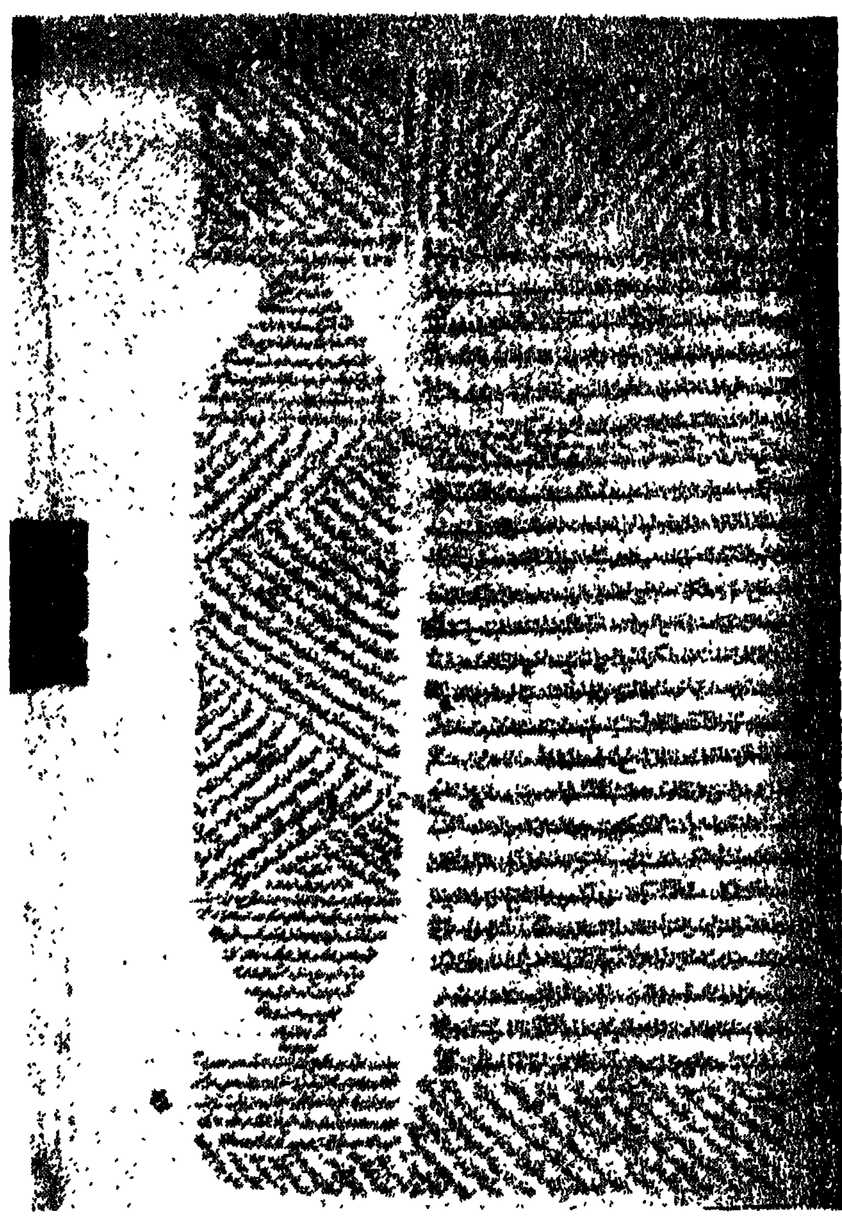
٢ –كتاب (المنطق) للشيخ محمد رضا المظفر –عميد كلية الفقه في النجف الاشرف سابقاً– يقع في ثلاثة اجزاء؛ كتبه لطلاب الكلية وعند طبعه تداولته ايدي طلاب الجامعة باعتباره اسلس عبارة ، واكثر اختصاراً من الحاشية وقد طبع مرتين في النجف وبغداد .

في الفقه :

١ – (مختصر النافع) لابي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي المعروف بالمحقق الحلي ، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ . طبع هذا الكتاب ثلاث طبعات واحدة منها في القاهرة قدمه احمد حسن الباقوري وزير الاوقاف السابق للعربية المتحدة ، يقع في مجلد واحد . يتميز بعبارة بسيطة من غير تعقيد لخص فيه كتاب «شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام» الذي يعتبر متناً من المتون الحية الى الآن . وهو مرتب على أربعة اقسام : العبادات ، والعقود ، والايقاعات ، والاحكام .

٢ –كتاب (شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام) لنفس المؤلف المتقدم الذكر ، وهو يقع في مجلدين ، فقه استدلالي طبع في ايران ، وفي بيروت .

٣ –كتاب (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) لمؤلفه زين الدين



صفحة من كتاب (شرائع الإسلام) في الفقه للمحقق
أبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلي

ابن نور الدين علي بن احمد العاملي الجبعي المعروف بالشهيد الثاني المقتول سنة ٩٦٥ هـ ، يقع في مجلدين شرح المؤلف اللمعة الدمشقية للشهيد الاول محمد بن الشيخ جمال الدين بن مكي النبطي العاملي الجزيني المقتول سنة ٧٨٦ هـ . والكتاب من المصادر الفقهية الاستدلالية الرائعة . طبع عدة طبعات وآخرها في مصر .

٤ ـ (المكاسب) للمجدد الشيخ مرتضى بن محمد امين التستري الانصاري المتوفى سنة ١٢٨١ هـ ، وهو كتاب فقه استدلالي جليل في نواحي المعاملات طبع الكتاب عدة طبعات في ايران وبغداد .

ومراتب هذه الكتب حسب التسلسل المذكور فالطالب يبدأ في المختصر وعند اتمامه ينتقل الى الشرائع ، ثم إلى اللمعة ، ثم إلى المكاسب ، وبذلك يكون قد اكمل دورة فقهية كاملة .

في اصول الفقه :

١ ـ كتاب (معالم الاصول) الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد الثاني المتوفى سنة ١٠١١ هـ ، حوى الكتاب ابواب الاصول بصورة مختصرة ، وقد طبع عدة طبعات في ايران ، ويدرسه الطالب عندما يبدأ في علم الاصول ويقع في مجلد واحد .

٢ ـ كتاب (قوانين الاصول) للميرزا ابي القاسم بن محمد حسن الجيلاني القمي المتوفى سنة ١٢٣١ هـ ، تناول فيه أبواب الاصول بصورة تفصيلية ويقع في مجلد كبير طبع بايران . ويأتي بالمرتبة الثانية للطالب المبتدىء .

٣ ـ كتاب (كفاية الاصول) للمحقق الشيخ الملا محمد كاظم الخراساني

الشهير بالاخوند المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ . يقع في ثلاثة أجزاء ، ووصف كتابه بانه صار كتاباً نهائياً لمدرسة الاصول لما حوى من تحقيق وتدقيق فكري عال في علم الاصول . طبع في ايران وبغداد عدة طبعات .

٤ ـ كتاب (الرسائل) للشيخ مرتضى الانصاري المتوفى سنة ١٢٨١ هـ من اهم الكتب الاصولية يقع في مجلد واحد عبر بحق عن الفكر العلمي الذي تمثل في هذه المرحلة من النضج الذهني ، والعمق والسعة .

وهذان الكتابان (الكفاية والرسائل) بالمرتبة الاخيرة يتناولهما الطالب الديني فاذا اكملهما فقد اكمل دورة اصولية عامة .

٥ ـ (اصول المظفر) لمؤلفه الشيخ محمد رضا المظفر المتوفى سنة ١٣٨٣ هـ يقع في ثلاثة اجزاء وهي محاضرات القاها مؤلفها على طلاب كلية الفقه في النجف الاشرف بصورة منظمة تناول فيها بحوث الاصول باسلوب خال من التعقيد ، وعندما صدر الى عالم الظهور ، اخذ طلاب الجامعة النجفية بدراسته للمميزات التي يتمتع به .

هذه هي اشهر الكتب المقررة للتدريس في الجامعة النجفية ، وعندما نذكر هذه الكتب فليس معناه ان هذه المجموعة هي الاول والآخر ، انما هناك عدد من المؤلفات القيمة في جميع العلوم التي مرّ ذكرها ، ولكنها اما ليست بالمستوى الفكري للجامعة ، او انها غير متعارفه لعمق بحوثها وعدم تمكن الطالب من استيعابها .

محلات الدراسة في النجف

لم تتقيد جامعة النجف بمحل واحد للدراسة ، انما نراها تتخذ من الجوامع والمدارس (الاقسام الداخلية) والصحن الشريف مكاناً للتدريس. ومن أجل تنوير الباحث نعطي صورة موجزة عن هذه المرافق التدريسية :

آ ــ الصحن الشريف :

لم يكن اتخاذ الصحن الشريف الحيدري مكاناً للتدريس حديثاً ، انما يرجع تاريخه الى العهد البويهي ، حينما بناه عضد الدولة البويهي فبنى غرفاً للصحن ،

ولقد اعتاد طلاب العلم ان يعقدوا في هذه الغرف والايوانات الحلقات التدريسية ، وربما تعدى الى ساحة الصحن نفسه(١) .

ب ــ الجوامع (المساجد) :

في النجف جوامع كثيرة قديمة العهد ، منتشرة هنا وهناك ، ولقد اتخذ طلاب العلوم الدينية من بعضهـــا مركزاً للتدريس والبحث ، ونأتي على ذكر اهمها :

(١) اقرأ في بحث المدارس من هذا الجزء الشرح الكافي عن مدرسة الصحن .

١ — مسجد عمران : وهو المسجد المنسوب الى عمران بن شاهين (١) ، وهو من اقدم المساجد النجفية، وابعدها صيتاً ، ويمكن ان ندعي انه كان من قديم الزمان مركزاً للتدريس فهو يقع في مدخل الصحن الحيدري من جانب باب الطوسي ، ويرجع عهده الى اواسط القرن الرابع الهجري . ويعقد الآن فيه بحث الامام السيد محسن الحكيم .

٢ — مسجد الخضراء : وينسبه البراقي الى علي بن المظفر ، وهو من المساجد القديمة البعيدة العهد ، وموقعه شرقي الصحن بالقرب من الجهة الشمالية ، وله باب من الصحن الحيدري ، كما له باب من الشارع العام .

وقد اتخذ مقراً للتدريس والبحث ، ويعقد فيه الآن بحث الامام السيد ابي القاسم الخوئي .

٣ — مسجد الشيخ الطوسي : وهو من المساجد القديمة ، كان داراً لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، وبعد وفاته عام ٤٦٠ أوصى ان يجعل مسجداً من بعده ، ويعتبر هذا الجامع مركزاً للعلم والتحصيل في

---

(١) عمران بن شاهين : رأس الامارة الشاهينية بالبطحية ، ومؤسسها أصله من الجامدة — من اعمال واسط (، ينتسب الى بني سليم ، كان عليه دم وهرب الى البطائح ، فاحتمى بالآجام يتصيد السمك والطير . ورافقه الصيادون ، والتف عليه اللصوص ، ولم يتمكنوا منه ، ثم كثر جمعه واستفحل امره ، فأنشأ معاقل وتمكن أمره وعجزت عنه حكومة واسط ، واستولى على الجامدة ، وامتد سلطانه في نواحي البطائح ، فجهز له معز الدولة جيشاً من بغداد سنة ٣٣٨ ﻫ ، فهزمه عمران ، ونشبت بينه وبين معز الدولة معارك انتهت بالصلح على ان تكون إمارة البطحية لعمران . وحاول معز الدولة وابنه بعده ان يخضعاه فضعفا ، واستمر أميراً منيع الجانب ، مدة اربعين سنة . من بدء خروجه ، ومات على فراشه ، عام ٣٦٩ ﻫ وتوارث بنوه الامارة من بعده ، ولم تطل مدتها قال السيد ابن طاووس : وبنى الرواق المعروف برواق عمران في المشهدين الغروي والحائري على مشرفهما السلام له موقف مع عضد الدولة راجع قصته في

(فرحة الغري : ١٢٦ — ١٢٨ وترجمته في الاعلام : ٢٣٣ — ٥) .

كل ادواره ، ويقع في محلة المشراق من الجهة الشمالية من الصحن في اول شارع الطوسي اليوم ، وبازائه مقبرة السيد محمد مهدي بحر العلوم .

٤ ــ مسجد الهندي (١) : واسس هذا المسجد في اوائل القرن الثالث عشر الهجري في عصر الشيخ حسين نجف الكبير ، ومن حين تأسيسه اتخذه طلاب العلوم الدينية مركزاً للدرس ، يجتمع فيه اكثر اهل العلم ، وتعقد فيه عشرات الحلقات لفضلاء العصر . بالاضافة الى بحث الامام السيد محمود الشاهرودي ويقع في آخر سوق البزازين الواقع قبلة الصحن الشريف ، وله باب اليوم على شارع الرسول .

٥ ــ مسجد الشيخ مرتضى : ولم يكن هذا المسجد بالمرتبة الاولى غير انه من حين تعميره حتى الآن اتخذ محلاً للتدريس والتحصيل، فلقد اسس - بايعاز من الشيخ مرتضى الانصاري المتوفى سنة ١٢٨١ هـ ، وقد اتخذه الامام السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي مركزاً لدرسه ، ثم اتخذه الامام السيد عبد الهادي الشيرازي مقراً لبحثه ، واليوم يلقي فيه الامام الخميني درسه .

هذه هي المساجد التي كانت ، وما زالت مركزاً للتدريس ، والابحاث الخارجية المهمة ، وهنالك عدد من المساجد غير رئيسية قد اتخذت للبحوث الصغيرة ، كمسجد الرأس الذي يقع في الصحن الحيدري تحت الطاق ، ومسجد الصاغة والذي يقع في آخر سوق الصاغة من السوق الكبير ، كذلك مسجد آل الجواهري ، والذي يقع في محلة العمارة وكذلك مسجد العلامة

(١) جاء في هامش صفحة ١١٧ — ١ من ماضي النجف وحاضرها في سبب تسمية هذا المسجد الهندي بانه كان والسوق المجاور له لعائلة ثرية هندية تقطن النجف عرف منها ميرزا علي أنور الملقب بالفل الهندي .

الشيرازي المتوفى سنة ١٣١٢ هـ ، وكان محلاً لدرس الزعيم الروحاني السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي قبل هجرته إلى سامراء ، الى غير ذلك من المساجد الكثيرة التي تعقد فيها الحلقات الخاصة للدرس .

جـ — المدارس :

وهذا مرفق ثالث ، اتخذ منه المدرسون مقراً لحلقاتهم الدراسية ، وان كثيراً من هذه المدارس اليوم تعتبر بمثابة قاعات للمحاضرات والتدريسات الى جانب كونها اقساماً داخلية ومنازل للطلاب من الغرباء او الذين لم تتوفر لهم في بيوتهم غرف للمطالعة والدرس .

اهم المصادر التي اعتمدها الكاتب

١ — فرحة الغري
٢ — الكنى والالقاب
٣ — رجال العلامة الحلي
٤ — رجال الماقمقانى
٥ — من لا يحضره الفقيه
٦ — رجال النجاشي
٧ — ماضي النجف وحاضرها
٨ — تاريخ الكوفة للبراقي
٩ — يتيمة الدهر للثعالبي
١٠ — الاعلام للزركلي
١١ — حديث الجامعة النجفية
١٢ — رجال الطوسي
١٣ — خصال الصدوق
١٤ — البداية والنهاية لابن كثير
١٥ — مرآة الجنان
١٦ — الصادق — للمظفر
١٧ — الامام الصادق والمذاهب الاربعة للشيخ اسد حيدر
١٨ — نزهة القلوب للمستوفي

١٩ ـ تفسير التبيان للشيخ الطوسي
٢٠ ـ نظرات في الذريعة ـ للدكتور مصطفى جواد
٢١ ـ دمية القصر
٢٢ ـ الدرجات الرفيعة
٢٣ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي
٢٤ ـ النجوم الزاهرة لابن تغري
٢٥ ـ طبقات الشافعية للسبكي
٢٦ ـ كشف الظنون
٢٧ ـ المنتظم لابن الجوزي
٢٨ ـ لسان الميزان لابن حجر
٢٩ ـ المعالم الجديدة للسيد محمد باقر الصدر
٣٠ ـ تلخيص الشافي ـ المقدمة
٣١ ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة للشيخ اغابزرك
٣٢ ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب
٣٣ رجال ابن داود
٣٤ ـ أمل الآمل
٣٥ ـ روضات الجنات
٣٦ ـ بغية الوعاة
٣٧ ـ رحلة ابن بطوطة
٣٨ ـ تأريخ العراق بين احتلالين
٣٩ ـ تحفة العالم للسيد جعفر بحر العلوم
٤٠ ـ دليل القضاء الشرعي للسيد محمد صادق بحر العلوم
٤١ ـ تاريخ الشعشعيني
٤٢ ـ رجال السيد بحر العلوم
٤٣ ـ جامعة النجف في عصرها الحاضر للشيخ محمد تقي الفقيه

مدارس
النجف القديمة والحديثة

كتبـــه

محمد الخليـــلي

عضو جمعية الرابطة العلميـــة
في النجف الاشرف



مدارس النجف القديمة والحديثة

لا يستبعد ان يكون تأريخ قيام المدارس في النجف يبتدىء مع تأريخ الدراسة وان لم تكن لهذه المدارس بناية خاصة تسمى باسمها ، ويكفي في ذلك أن يكون اجتماع بقصد تلقي الدرس ، والوعظ ، والمناقشة ، والانشاد ، وهذا ما كان يحدث في الاسواق كسوق عكاظ ، وسائر اسواق العرب ، ومسجد النبي في الحجاز ، وكسوق المربد في البصرة ومسجد علي في الكوفة ، وقد اشتهر هذا المسجد في الكوفة على غرار شهرة مسجد النبي في المدينة ، بما استمع فيه المستمعون من آراء وافكار ، وخطب ، وموعظة ، ودرس ، وما أخرج من الفحول في مختلف العلوم ، والفنون ، وعلى هذا كان قيام أول مدرسة نجفية مرتبطاً بقيام اول دراسة للعلوم اللسانية والعقلية والروحية في النجف وتأريخ هذه المدرسة قديم جداً ، فكم من معاهد أدبية توارثت الحركة الفكرية معهداً بعد معهد مثل (عاقولا) الواقعة حول الكوفة او هي الكوفة في الزمن القديم .

لقد كانت (عاقولا) مدرسة سريانية ، وبقيت الى عهد الرومان في العراق وقد انتقلت اليها دراسات يونانية ، ولما اندرست (عاقولا) نهضت الحيرة . فكانت واجهة كبرى للادب ، ترى فيها الكثير من الافكار المبثوثة

بين العاصمة الحيرة وما حولها من الديارات ، وانتقل ما في الحيرة الى الكوفة ثم انتقل ما في الكوفة الى النجف (١) .

وأول ما نزل عليّ (ع) في العراق نزل الكوفة ، ونزل مسجدها لا قصورها كما فعل غيره من الولاة ، وقد اتخذ مسجد الكوفة مصلى له ، ومعبداً ومدرسة يدرس ويخطب ويقضي فيه بين الناس ، وقد تخرج من هذه (المدرسة) المدرسة العلوية أو مدرسة الكوفة الكبرى امثال (ابي الاسود الدؤلي) و (عبد الله بن عباس) حبر الأمة ، وقد قام بعد علي (ع) في التعهد بمدرسته اولاده واحفاده حتى جاء دور الامام الصادق (ع) وعلى قلة استيطان الامام الصادق (ع) بالكوفة فقد تخرج عليه علماء كثيرون حتى ألف الحافظ ابو العباس ابن عقدة الهمداني الكوفي كتاباً في اسماء الرجال الذين رووا الحديث عن الامام الصادق فذكر ترجمة أربعة آلاف شيخ (٢) .

واذا عرفنا سعة العلوم الاسلامية في الكوفة وشهرتها بالفنون الادبية اتضحت لنا قيمة مدرسة الكوفة التي انتقلت الى النجف وانتقل معها ما حملت الكوفة من الافكار المتبلورة بالدراسات السريانية والعربية والروحية الاسلامية وهي وان لم تكن مدارس على نمط هذا العصر من حيث البناء والمكان فهي مدارس على نمط عصرها من حيث الاجتماع في المساجد او الساحات او الاسواق والاستماع والمناقشة والمباهلة الادبية والقراءة والكتابة .

أما متى بنيت هذه المدارس بمثل هذه الهياكل المشتملة على الغرف والابهاء لسكنى الطلاب فليس من وسيلة الى تعيينه تعييناً مضبوطاً ذلك لان هـــذه

---

(١) الأحلام للشيخ علي الشرقي ص ٤١ .
(٢) حديث الجامعة النجفية — لمحمد رضا شمس الدين ص ٧ — ٨ .

المدارس لم تكد تشيد ويقف عليها الواقفون بعض الاوقاف للانفاق عليها ثم يمر عليها بعض الزمن ويتقادم العهد حتّى تتلف الاوقاف ، او يستبد بها البعض ، فلم يعد هنالك من ينفق عليها وتتهدم ولا يعود لها اثر او بعض أثر ، ثم تذوب بين البيوت وتصبح من الاملاك المشاعة بين الناس فلا يعرف عنها أحد شيئاً .. ! !

وهنالك عدة ادلة يستنبط منها القارىء ان عدداً كبيراً من المدارس كان قد شيد في النجف ثم اضمحل .

يقول ابن بطوطه الذي زار النجف في سنة ٧٣٧ هـ ، وهو يصف الاسواق « ... ثم سوق العطارين ثم باب الحضرة حيث القبر الذي يزعمون (كذا) انه قبر عليّ عليه السلام وبإزائه المدارس والزوايا ، والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشاني وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه اشرق ونقشه أحسن » . .

ثم يقول : « ويدخل من باب الحضرة الى (مدرسة عظيمة) يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم ، ومن تلك (المدرسة) يدخل الى باب القبة ... الخ (١) ».

وليس من شك ان عدداً من المدارس كان قد شيد في النجف ثم اندثر باندثار البيوت ولم يصلنا من اخبار هذه المدارس إلا ذكرها عرضاً وفي اثناء الرحلات كما ورد في رحلة ابن بطوطة ، وكما ذكر زين العابدين الشيرواني في عرض ذكره لما أسسه السلطان محمد خدابنده ، وابنه ابو سعيد ، من أبنية وعمارات في النجف وقد عد من تلك العمارات احدى المدارس ، وغير

---

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٩ .

ذلك مما وجد مشروحاً على هوامش الكتب من اسماء المدارس ، ونحن نثبت هنا ما وقفنا عليه بطريق التتبع والبحث في الكتب وما وقفنا عليه بطريق السماع الموثوق بصحته ، أو ما وقفنا عليه بطريق المشاهدة والعيان من المدارس القديمة التي لم يبق لها اليوم غير الاسم ، والمدارس التي لم تزل قائمة ، او المدارس الحديثة التي لم يتطرق لها بعد تأريخ النجف الثقافي الحديث .

الحياة المدرسية لسكان المدارس الدينية

لكل مدرسة من مدارس النجف الدينية القديمة منها والحديثة انظمة خاصة تعينها صيغة الوقف ، لان جميع هذه المدارس قد شيدت من الموقوفات التي وقفها العلماء ، او المحسنون على طلاب الدين ، ولكل مدرسة شروط خاصة يقبل بموجبها اسكان الطلاب في غرفها .

وأغلب سكان هذه المدارس من الغرباء الذين يؤمون النجف بقصد الدراسة ووصول مرتبة الاجتهاد وقد يقضون فيها عشرات السنين حتى يبلغوا المرام ويعودوا الى بلدانهم مزودين بالاجازات التي يمنحها لهم اساتذتهم من المراجع الروحانية الكبرى .

ومنذ الف سنة والنجف مزدحمة بالطلاب الذين يأتون اليها من مختلف الاصقاع ، كالهند ، والتبت ، والافغان ، وبلوجستان ، وتركستان ، وقفقاسية ، وايران ، وافريقيا الشرقية ، ولبنان فضلاً عن المدن العراقية .

وحين يقبل الطالب في المدرسة يعطى غرفة فيها وتكون هذه الغرف في بعض المدارس مفروشة ومجهزة بالكهرباء وذات منح نقدية تمنح للطالب في كل شهر او في كل موسم ، وموائد تقام على حساب المدرسة في اوقات

معينة وذلك تبعاً لامكانية المدرسة ، واوقافها ، وازمانها اذ ان عدداً من المدارس ليس لها مثل هذه الامتيازات ولا بعضها .

يقول السماوي في (عنوان الشرف) عن هذه المدارس :

فبعضها تكون ذات راتب
ينفق في الشهر لكل طالب
وبعضها في الجمعات تجلو
مائدة والباقيــات تخلو (١)

الشيخ احمد الطرفي
أحد أساتذة مدرسة الجامعة في النجف

ولبعض الطلاب في مختلف المدارس مخصصات يومية من الخبز يتناولها من الخباز ، وراتب شهري تدفعه له المراجع الدينية كلاً حسب مؤهلاته ، وحسب امكان المرجع الديني الذي يساعده .

والبعض من هؤلاء الطلاب يأتون النجف وهم مزودون بجميع ما يحتاجون اليه فيستأجرون بيوتاً مستقلة ويأتون معهم بعائلاتهم واطفالهم ويعيشون عيشة لا تشوبها شائبة من الاحتياج بفضل امكانية ذويهم ، وآبائهم الذين ينفقون عليهم بسخاء ، ويمطرونهم بالحوالات فلا يحتاج مثل هؤلاء سكنى المدارس إلا اذا قصد منهم أحد الانعزال عن



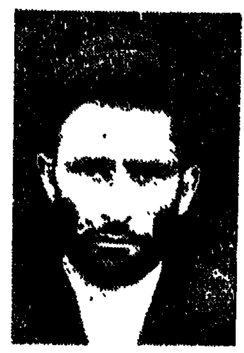
الشيخ نزيه محمد البعلبكي
من طلاب بعلبك في النجف

(١) عنوان الشرف ج ١ ص ٥٩ .

البيت تهرباً من ضوضاء الاطفال وزيارات العائلات ، وان اغلب الذين ينزلون البيوت المستقلة وينفقون على انفسهم انفاق الموسرين هم الطلاب الايرانيون والترك والاذربايجانيون .


الشيخ غلام محمد التبتي
من طلاب التبت في النجف

والطالب في المدرسة لا يفيد غير السكن للانصراف الى الدرس حين لا يتسنى له محل آخر يضمن مثل هذا السكن الهادىء المعد للبحث والدرس والتتبع ، ومعظم طلاب هذه المدارس هم من الذين لم يتزوجوا بعد ، ولم تخل هذه المدارس من طلاب نجفيين الى جانب الطلاب الغرباء ممن لا طاقة له على توفير مثل هذا الجو في بيته سواء كان متزوجاً او غير متزوج ، لان معظم المدارس لا تفرق بين الطالب الغريب وغير الغريب ، على ان هنالك مدارس خاصة ببلد معين كمدرسة (الايرواني) الخاصة بالترك من الطلاب ومدرسة (العامليين) الخاصة بالطلاب اللبنانيين على الاكثر ، ومدرسة (الهندي) الخاصة بالطلاب الهنود .


السيدجود السيدمحمودالجوادي
من طلاب الباروك في النجف

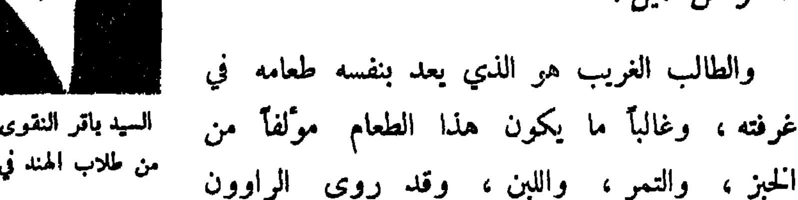
أما الدروس فيتلقاها الطالب في خارج المدرسة في اكثر الاحيان وفي الاماكن التي يتخذ منها الاستاذ محلاً للدرس كالصحن الشريف ، او الجوامع ، او المساجد ، فالطالب حر في اختيار استاذه ، واخذ الدروس داخل المدرسة او خارجها ، لأن الدراسة في هذه المدارس ليست على مستوى واحد لتتألف منها صفوف ، فالمدرسة ذات الغرف الستين مثلاً

قد يسكنها ستون طالباً وكل منهم في مراحل مختلفة ومستويات متباينة من الدرس والتتبع .

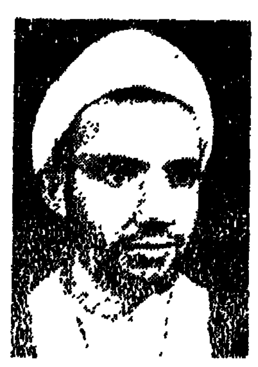


السيد باقر النقوى الهندي
من طلاب الهند في النجف

ولكل طالب مفتاح يفتح به باب المدرسة متى جاء ، وحين يغلق باب الحرم في المشهد المقدس ليلاً يكون الطلاب غالباً قد أموا مدارسهم ، وترى معظم الغرف في هذه المدارس مضاءة الى وقت متأخر من الليل .



والطالب الغريب هو الذي يعد بنفسه طعامه في غرفته ، وغالباً ما يكون هذا الطعام مؤلفاً من الخبز ، والتمر ، واللبن ، وقد روى الراوون روايات كثيرة عن عدد من كبار العلماء النابغين الذين عاشوا في مثل هذه المدارس على الخبز وحده ، وكثير منهم من كان يطوي اليوم واليومين دون ان يحصل على قوت يومه ملتذاً بالصبر ، والفناء فيما هو فيه من التتبع . ولقد القى الدكتور زكي مبارك خطاباً مرة في جمعية الرابطة العلمية في النجف مشيراً الى مثل هؤلاء الطلاب ، وقال انه سبق له ان عاش نظير عيش الطلاب النجفيين ، لانه لم يكن لديه ما يشتري به الرغيف الحار ، فكان يكسر كسر الخبز اليابس بيديه ، وأقسم في خطابه ان هذه الكسر قد جرحت مرة اصابعه ، وهو يعالج كسرها فسال منها الدم ومع ذلك فقد كان يمشي في الدرس والمطالعة كما مشى طلاب النجف منذ مئات السنين حتى



الشيخ خليل الشيخ جليل مشكيني
من الطلاب الأذربايجانيين
في النجف

الآن .. !!

ولطلاب العلم وسكان هذه المدارس عطلة يومين في الاسبوع وعطل أخرى في مواسم زيارات العتبات المقدسة فيقضون فيها هذه العطل بأنواع من الالعــاب البريئة ، واكثر مسارح متنزهاتهــم تكون في الكوفة بين البساتين اذ يصحبون معهم بعض القطع من السجاد او البسط الخفيفة وديواناً أو ديوانين من الشعر ويفترشون البساتين والحدائق وينصبون (سماور) الشاي ويفتحون ديوان الشعر ويبدؤون بالتقفية ، وفي الصيف ينتحون بعيداً عن الناس وينزلون النهر سابحين ، وبين هؤلاء الطلاب عدد غير قليل من مهرة السباحين .



الشيخ حسين الأو- ي
من طلاب الأفغان في النجف

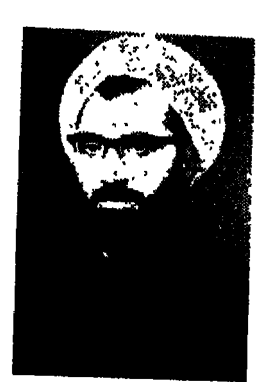
ولم تقتصر رياضة ارواحهم على تقفية الشعر بل يعمدون الى نظم الشعر ودخول المباراة وحل الاحاجي الشعرية والفكرية كما لم تقتصر رياضة ابدانهم على السباحة ، وانما يعمدون الى ترويض ابدانهم بكل صنوف الرياضة من ركض وقفز وغير ذلك من الرياضات البريئة وكل هذا يفعلونه بعيداً عن انظار الطبقات الاخرى .



الشيخ فضل الله كريمي
من طلاب طهران في النجف

ومن امتع الرياضات عندهم زيارة المراقد المقدسة مشياً على الاقــدام فكانوا يقطعون الطريق بين النجف وكربلا في ليلتين ولا يزيد متاعهم على أربعة او خمسة ارغفة من الخبز وشيء من التمر .

وفي كربلا يحل بعضهم ضيفاً على بعض اصدقائه من طلاب المدارس هناك كما يحل هذا البعض من طلاب كربلا ضيوفاً عليهم عند زيارتهم النجف .



الشيخ أحمد القوجاني
من طلاب قوجان في النجف

وفي امسية كل يوم ثلاثاء يقصد جمع غير قليل من هؤلاء الطلبة كما يقصد غيرهم مسجد الكوفة ومسجد السهلة وهما على مسافة تسعة كيلومترات فيسهمون في اداء طقوس من الصلاة والادعية بقصد الاستتابة ثم ليغيروا بذلك الجو الخانق الذي يحيط بهم ولينشطوا من عقال هذا الدرس الذي لا ينتهي .

وفي الاعراس العامة ، ومجالس الفاتحة التي تقام للشخصيات الكبيرة والمآتم الحسينية مجال واسع للتنفيس عن انفسهم سواء باسهامهم في نظم الشعر تهنئة أو تعزية لوجه الشعر وللتسلية والمباراة ليس غير ، او بحضورهم هذه المجالس العامة ليستمتعوا بما يسمعون أو بمن يجدون من رفاقهم الذين تلهيهم دروسهم عن الالتقاء بهم في غير هذه المناسبات .

الشيخ علي كوراني
من الطلاب السوريين في النجف

وهكذا كانت بالاجمال حياة هذه الطبقة من طلاب العلم ، وسكان المدارس ، ولم تزل تجري على هذه الوتيرة مع شيء من الفروق القليلة .

هندسة المدارس العلمية الدينية :

لقد روعي في هندسة المدارس العلمية في النجف طبيعة البلد فكان لا بد من حساب (للسراديب) في اغلب ابنية المدارس وتقوم هذه السراديب في جهة واحدة من عمارة المدرسة او جهتين او الجهات الثلاث او الجهات الاربع من العمارة ينزل اليها بواسطة سلالم ، وتسمى بالسراديب الفوقانية في مصطلح النجفيين ، وفي بعض المدارس الاخرى سراديب تقام تحت السراديب الفوقانية وهي ما تسمى بالسراديب (نيم سن) والكلمة فارسية معناها منتصف (السن) والسن طبقة من الرمل المتحجر ينحت فيه الناحت سرداباً آخر ، وهنالك من السراديب ما هو أعمق من (النيم سن) ويسمى بسرداب (السن) ويحفر (للسن) أو (للنيم سن) في وسط المدرسة حفيرة على هيئة متوازي الاضلاع بقطر مترين أو أقل من ذلك وفي عمق عشرين متراً أو أقل من ذلك لينفذ هذا الحفر من متوازي الاضلاع الى وسط السرداب بقصد ايصال النور وسحب الماء البارد الى الاعلى كما تحيط بالسراديب من اطراف اعاليها شبابيك لنفوذ النور والهواء ، فضلاً عن عدد من المنافذ الهوائية المتصلة من اعلى سطح العمارة بالسراديب الفوقانية وهي التي تسمى (بالبخاريات) ثم تبنى هذه السراديب في الغالب بالآجر وتزخرف وقد تترك سراديب السن على حالها وهي منحوتة من طبقة السن التي تشبه الصخور



الشيخ غلام علي الأصفهاني
من طلاب اصفهان في النجف



السيد سجاد علي نكري
من الطلاب النكريين في النجف

أو تزين جدرانها بالآجر وقد تزين الجدران وارض السراديب بالكاشاني كما هو الحال في مدرسة السيد كاظم اليزدي .

وكثيراً ما تفتح في السراديب منافذ تتصل ببئر المدرسة اذ المفروض ان يكون في كل بيت وفي كل عمارة بئر ماء تتصل بالبئر المجاورة لها وهذه تتصل ببئر أخرى . وهكذا حتى تتجمع المياه في بئر كبيرة تستمد مياهها من نهر الفرات عن طريق قناة تجلب الماء من مناطق تسمى (بابو فشيكه) وقد قيل ان هندسة بناء السراديب في البيوت وفي المدارس قد انتقلت الى النجف من مدينة شوشتر لان طبيعتها تحاكي طبيعة النجف وتأريخ حفر السراديب في شوشتر قديم جداً وعلى اننا لا نعرف مبلغ صحة هذه الرواية في انتقال تصميم السراديب الى النجف من شوشتر فلسنا نستبعد ذلك .

الشيخ جعفر الهندي
من طلاب الهند الشمالية في النجف

ويتحول السكن في الصيف في وسط البيت او وسط المدرسة الى هذه السراديب وتتم فيها المطالعة وتناول طعام الغداء والقيلولة وقد تمسي في بعض ليالي الصيف عند اجتياح العواصف الرملية المدينة ملاذاً للطلاب يقضون فيها الليل نياماً .



الشيخ محمد التقوي
من طلاب كناباد في النجف

وحين يراد بناء المدرسة تقام في كل ركن من اركانها القواعد الاساسية في اعماق مناسبة من السرداب وتقام اساطين واعمدة ترتفع من الاعماق حتى تبلغ سطح

الدار فتوصل هنالك بين اسطوانة واخرى بطبقات تبنى بالاجر ويتألف من هذه الطبقات المتصل بعضها ببعض سقف السرداب وقد تعمل في هذا السقف من الزخرفة والاشكال الهندسية بالآجر ما يستلفت النظر .

وهنا يأتي دور الطابق الارضي او الطابق الاول كما يسميه البعض بعد ان يكون السرداب قد تم بناؤه . والدور الاول او الطابق الاول الذي يقوم على اسس السرداب عبارة عن عدة غرف تقام في الجوانب الاربعة اذ ان اغلب المدارس تكون مربعة الشكل او مستطيلة ، تاركة وسط المدرسة فارغا لتؤلف صحناً واسعاً كثيراً ما اقيم في وسطه حوض ماء كبير ، وتبنى الغرف غرفة الى جنب غرفة حتى تستوعب الجهات الاربع وتكون مساحة كل غرفة تتراوح بين ٢ ــ ٢,٥٠ متراً مربعاً او ٢ ــ ٣ متراً مربعاً وامام كل غرفة ايوان صغير في الغالب وهو مسقف بسقف مسنم ومزين بزخرفة من الآجر او الكاشاني فيستقل كل طالب بغرفة من هذه الغرف وايوانها المستقل .

وعلى هذه الوتيرة يجري بناء الطابق الثاني فوق الطابق الاول مع فارق بسيط تقتضيه المصلحة وهو ان الغرف من الطابق الثاني تكون بدون أواوين لان هذه الاواوين من الاعلى تتحول الى ممر عام يخترقه الطالب في طريقه الى غرفته .

ومن الطابق الثاني يرقى الطالب بواسطة السلالم الى سطح المدرسة الواسع .

هذه بالاجمال هندسة المدارس التي دخلت النجف مع دخول الصفويين . أما المدارس التي بنيت اخيراً وفي السنين القريبة فقد تغيرت هندسة البناء فيها تغييراً كبيراً كما تبدلت مواد البناء ولم يعد الآجر والجص والخشب هو المقوم الاول في البناء وانما صار للسمنت و (الكونكريت) والحديد الاهمية

الكبرى في تشييد المدرسة وزاد عدد الطوابق من طابقين الى ثلاثة او اربعة ، وتبنى هذه الغرف متصلة بعضها ببعض في الجهات الاربع كما هو الحال في البناء القديم ولكن كثرة الشبابيك والنوافذ من اهم مميزات المدارس العلمية الحديثة .

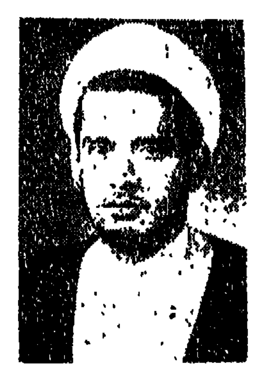
وقد روعي في تصاميم المدارس الجديدة بناء قاعة للدرس والمحاضرات وبناء مكتبة خاصة ، وتخصيص مسجد للصلاة بالاضافة الى الحمامات والمغاسل الحديثة مما لم يكن لها وجود في ابنية المدارس القديمة .

أما المدارس الحكومية فلها طراز خاص يختلف عن طراز المدارس الدينية فهي لا تلتزم بالبناء في جميع اطراف الساحة وانما تتخذ جانباً واحداً تبنى فيه الغرف متقابلة على الغالب يفصل الصفين المتقابلين ممر عريض وهكذا يكون الطابق الثاني ، او أنها تبنى صفاً واحداً من الغرف وتقيم الطابق الثاني على نسقه وتخص جوانب من البناء لقاعة المحاضرات والمختبرات وتبعد عنها المغاسل في جانب آخر من المدرسة وفضلاً عن هذا فان هندسة البناء في المدارس الحكومية للعلوم الحديثة ليست متقاربة في التصميم مثل هذا التقارب الملحوظ في هندسة المدارس الدينية حتى ليكاد يكون لكل مدرسة عصرية شبه تصميم مستقل يفرضه موقع المدرسة وحاجتها .

ما قبل القرن العاشر الهجري

١ ـ مدرسة المقداد السيوري (السليمية)

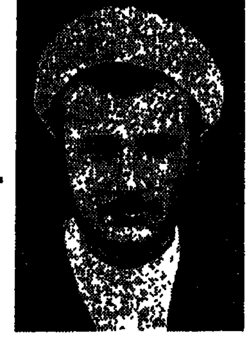
تقع هذه المدرسة في سوق المشراق احدى محلات النجف الاشرف مقابل مسجد الصاغة المعروف . ويقول الشيخ جعفر محبوبه « ان الذي يظهر من خطوط بعض طلابها على بعض كتبهم المخطوطة انها كانت مسكونة بالطلاب الدينيين في اوائل القرن التاسع الهجري فقد شوهد على كتاب (مصباح المتهجد) المخطوط للشيخ الطوسي وكان عند المغفور له المرزا حسين النايئي ما نصه : «كان الفراغ من نسخه يوم السبت ١٢ جمادي الاولى سنة ٨٣٢ على يد الفقير الى رحمة ربه وشفاعته عبد الوهاب بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن السيوري الاسدي بالمشهد الشريف الغروي على ساكنه السلام وذلك في مدرسة المقداد السيوري (١) » .



الشيخ غلام عباس الزنكباري
من طلاب افريقيا الشرقية
في النجف

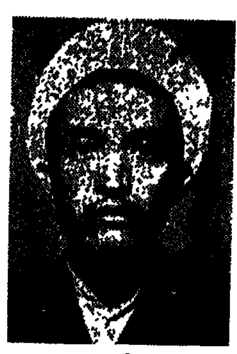
(١) ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ٨٥ .

وهذه المدرسة باقية حتى اليوم وقد تغير اسمها وصارت تعرف اليوم باسم المدرسة السليمية نسبة الى بانيها الثاني (سليم خان الشيرازي) فإنها تهدمت بالاهمال فعمرها هذا المحسن سنة ١٢٥٠ فنسبت اليه » اه .



الشيخ احمد محمود طراد
من الطلاب العامليين (جبل عامل)

وقد دخلناها فوجدناها مدرسة صغيرة لا تتجاوز مساحتها (١٠٠) متر مربع ، وشاهدنا ستة حوانيت قد اقتطعت منها ليصرف ريعها على ما تحتاجه من كهرباء وماء واجور خادم ، واصلاحات اخرى . والمنقول انه كان لها اوقاف ما لبثت ان اغتصبت وقد كتب على بابها الخارجي بالقاشاني انها عمرت (اصلحت) بهمة السيد ابي القاسم (الوكيل السابق) في سنة ١٣٤٠ هـ وهذا هو آخر تعمير لها .



الشيخ علي أيوب العارفي
من طلاب الأفغان الشمالي

أما غرفها فعشر وأما عدد طلابها فاثنا عشر وكلهم من المهاجرين الواردين من الخارج .

والسيوري الباني الأول لهذه المدرسة هو الشيخ جمال الدين ابو عبد الله المقداد بن عبد الله ابن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الاسدي الحلي الفحص صاحب كتاب (كنز العرفان) في فقه القرآن وهو من أجل تلامذة الشهيد الاول وفخر المحققين. وقد توفي سنة ٨٢٨ في عام الفراغ

من بناء المدرسة وعليه فإن هذه المدرسة التي بقيت حتى اليوم وان كانت قد تغيرت معالمها عدة مرات لتعتبر من أقدم مدارس النجف .

مدرسة الشيخ عبدالله

تعتبر مدرسة الشيخ عبد الله من أقدم المدارس التي وصلنا خبرها والتي يعود تأريخ وجودها الى منتصف القرن العاشر الهجري وقد عرفت بكونها معهداً مهماً يقصده طلاب العلم من كل مكان ويتلقون فيه علومهم والشيخ عبدالله هذا هو المعروف بالملا وصاحب (الحاشية) في المنطق وهو الكتاب الذي تجيء قراءته بعد الفراغ من الفية ابن مالك في سلسلة الدروس القديمة .



السيد محمد الحسيني
من طلاب سيستان في النجف

والشيخ عبد الله هو ابن شهاب الدين اليزدي وهو جد اسرة الملالي وهي أسرة نشأ فيها غير واحد من العلماء وكان منهم من جمع بين حكومة النجف وسدانة الحرم المقدس . وقد كان الشيخ ملا عبد الله من ألمع العلماء وقد كانت مدرسته اشهر مدرسة علمية عرفت في زمانها ، أما موقعها فقد كان في محلة المشراق . ويقول الشيخ جعفر محبوبة عن هذه المدرسة ان بعض المتتبعين للآثار من النجفيين قد عينوا موقعها من هذه المحلة وهي الآن دار لبعض السادة الاشراف وكانت معرساً لاهل العلم في أيـــام المقدس الاردبيلي (رض) ومن كان بعده من العلماء(١) .

(١) ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ٨٦ .

أما كيفية بناء هذه المدرسة وما قبلها من المدارس فأغلب الظن انها تختلف عن ابنية المدارس التي استحدثت بعدها لما قد دخل بعد ذلك على المدارس من هندسة جديدة وريازة خاصة جاء بها الصفويون لان اغلب البيوت كانت تتألف من طابق واحد قبل القرن العاشر الهجري وان اكثر سقوفها كانت عبارة عن طبقات معقودة تملأ أعالي زواياها من السطح بالتراب ، وتفتح في وسط سطح الغرفة فتحة صغيرة لينزل النور منها وذلك لقلة الشبابيك والكوى . وليس من البعيد ان يكون بناء المدارس يومذاك فيما يشابه هذه الابنية ولم يزل في النجف بيت يرجع تأريخه الى القرن الرابع الهجري والى العصر البويهي على ما يروي الراوون وهذا البيت واقع في شارع آل الحلو من محلة العمارة وكان ذات يوم مقراً للمطبعة العلوية وقد سكنه بعد ذلك آل الجزائري ، وهو جد محكم بحيث قد يتعذر قبول رجوعه الى ذلك التأريخ على رغم ان هندسة بنائه من حيث القبب والسقوف متصفة بالصفات المتعارفة في ذلك العصر .



السيد علي نقي قاضي پور
من طلاب اردبيل في النجف



الشيخ غلام حيدر كلكتي
من طلاب الباكستان في النجف

وحين جاء الصفويون ووسعوا بناء الصحن الشريف وأقاموا أول مدرسة حديثة في الصحن تغيرت هندسة المدارس منذ ذلك الحين كما بدأت تتغير هندسة البيوت تبعاً لذلك التغيير .

ما بعد القرن العاشر الهجري حتى اليوم

مدرسة الصحن الشريف الأولى
أو المدرسة الغروية

مدرسة الصحن الشريف الاولى والمدرسة الغروية يغلب على الظن انهما اسمان لمدرسة واحدة وقد تأسست في اوائل القرن الحادي عشر الهجري وقبل مدرسة الصحن الكبرى وكان ابتداء تخطيطها مع تخطيط الصحن الشريف الاول . وينسبها (البراقي) الى الشاه عباس الصفوي الاول ، وموقعها في الجهة الشمالية من الصحن وبابها من الايوان الثاني بعد الايوان الاول من الصحن الشريف . وقال الشيخ جعفر محبوبة « وقد ايد هذا حصول بعض المخطوطات المعتبرة التي خطها بعض طلابها بايديهم على كتبهم بعد اكمال نسخها مثل كتابة الشيخ يوسف بن عبد الحسين النجفي الشهير (بالصلينباوي) سنة ١٠٦٩ على أحد كتبه ، ومثل الشيخ ابراهيم بن عبد الله بن موسى المغربي في استنساخه لكتاب (مشيخة الاستبصار) في نفس السنة و نفس المدرسة ورأيت ايضاً نسخة من الاستبصار في آخرها ما نصه :

كتبه فرج الله فياض الجزائري النجفي سنة ١٠٤٣ في المدرسة الرواقية

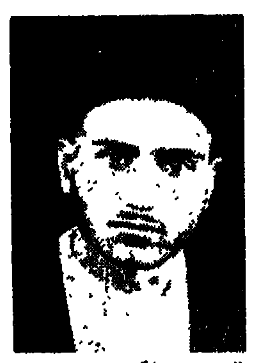
بكنف القبة الغروية والظاهر انها هي هذه المدرسة »(١).

وهكذا بقيت هذه المدرسة عامرة بطلابها الى سنة ١٢٨٦ هـ حيث عينتها الحكومة التركية مدرسة خاصة بطلاب العلوم الدينية الذين يعفون بعد الامتحان من خدمة الجندية حسب قانونهم العسكري.



الشيخ حكمة الموصلي
من طلاب العراق الشمالي (الموصل)

ولم تزل هكذا حتى اوائل القرن الرابع عشر فقد استغنت عنها الحكومة وهجرت فتهدمت جدرانها واغلق بابها وجعلت مخزناً لبعض اثاث الصحن، ولوازم خدام الحرم الى ان تولى تعميرها السيد هاشم زيني فعمرها من جديد وذلك في سنة ١٣٥٠ هـ وجعلها دار ضيافة ومنزلاً للزوار الذين يفدون الى زيارة النجف، وليس لهم مأوى، وخرجت بذلك عن صفتها المدرسية الى ما يسمى دار ضيافة.



السيد عبد الكريم ابو شامة
من طلاب العراق الجنوبي (الحيرة)

وجاء عنها في ارجوزة (السماوي) بعد ذكر مدرسة الصحن الكبرى قوله:

ثم التي في الجانب الشمالي
وبابها في الصحن ذي العلالي
وهذه صيرت الآن محل
للزائرين حين وفد العلم قل (٢)

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ٨٦.
(٢) عنوان الشرف ج ١ ص ٥٩.

وقد ارخ بناءها الجديد الشيخ محمد علي اليعقوبي بقوله :-

حزت يا هاشم زيبي رتبـــةً
لم يحزها ابداً من قد سلف
دارك الخلد غـــداً إذ ارخوا
(شدت للزوار داراً بالنجف)
١٣٥٠ هـ

وارخها السيد مهدي الاعرجي بقوله :

رئيس نحاة الندى هاشـــم الم تر اعرابه مستبينا
فمذ شاد ارخت (دار النوال بناها على الفتح للزائرينا)
١٣٥٠ هـ

مدرسة الصحن الكبرى

هذه اول مدرسة شيدت على طراز من الهندسة المعمارية الصفوية من حيث بناء الغرف وتزيينها بالكاشاني وهي البناية التي يتألف اليوم منها صحن الامام علي بن ابي طالب (ع). وقد كانُ هذا الصحن اصغر مساحة يوم تصدى لبنائه الشاه عباس الصفوي الاول في اوائل القرن الحادي عشر ، وحين زار النجف الشاه صفي حفيد الشاه عباس الاول الصفوي قام بشراء مساحات اخرى من الارض وهدم الجدران ووسع بها مساحة الصحن ، ثم بناه في طابقين فخمين فبنى في كل ضلع من ضلعي الصحن الشرقي والشمالي خمس عشرة غرفة ، وامام كل غرفة ايوان زينه بالكاشاني . اما الضلع الغربي والجنوبي فقد بنى في كل منهما اربع عشرة غرفة وامام كل غرفة ايواناً على نفس

الطراز من الضلعين الشرقي والشمالي ثم اقام الطابق الثاني على الطابق الاول بنفس الطراز والنقوش الكاشانية وكل هذه الاضلاع قد قامت على ارتفاع واحد ومستوى واحد وقد خص الطابق بطلاب العلم . وكان تأسيس هذا البناء يرجع الى سنة ١٠٤٢ هجرية وقد تناقل الناس الاحاديث عن كثير من الطلاب الذين سكنوا هذه الغرف وكانوا من المتفوقين في العلوم .

يقول الشيخ السماوي عن مدرسة الصحن هذه في ارجوزته :

وفي الغري لذوي العلوم   مدارس معلـومة الوسوم
مشيدة في حجرات وغرف   من اربع الجهات صفاً فوق صف
ومن ثلاث واثنتين وجهة   او حجرات افردت للترفهة
اشهرها (مدرسةالصحن) السني   قد بنيت للدارسين اذ بني (١)

ثم ما لبثت ان توسعت حركة المدارس في النجف فانتقل الطلاب من مدرسة الصحن وتركت الغرف في هذه المدرسة خالية يشغل بعضها اليوم من لهم ارتباط بخدمة الصحن الشريف .

مدرسة الصدر

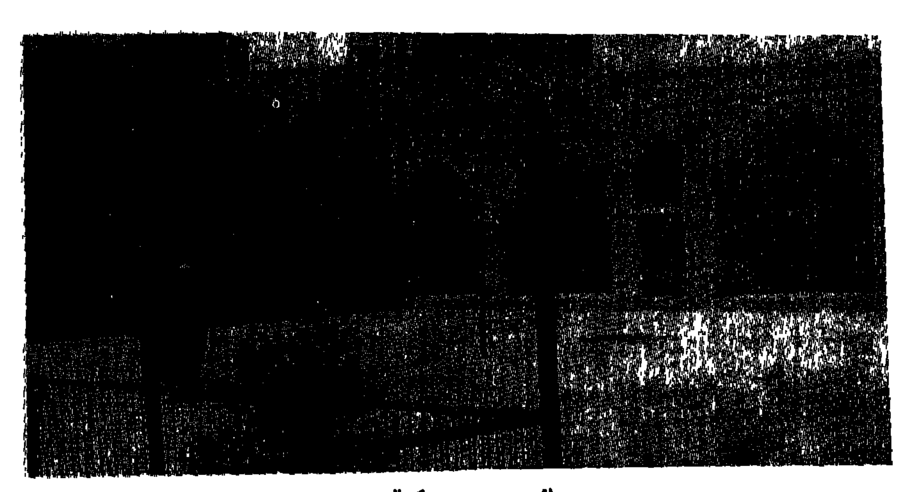
هذه المدرسة من المدارس الواسعة وموقعها في السوق الكبير وهو السوق الطويل المستقيم المتصل بالصحن الشريف ابتداء وبباب البلد القديمة وهي المسماة (ساحة الامام) اليوم انتهاء ، وتعد من المدارس القديمة وتحتوي على ما يزيد على (٣٠) غرفة في طابق واحد ومساحتها مع ملحقاتها من

---

(١) عنوان الشرف في وشي النجف ج ١ ص ٥٨ .

مساجدها ومقبرة موسسها ومطبخها الواسع المعد للطبخ في بعض المناسبات العامة تربو على (٩٠٠) متر مربع .

أسسها المحسن الكبير الصدر الاعظم نظام الدولة الحاج محمد حسين خان العلاف الاصفهاني وزير السلطان فتح علي شاه القاجاري بعد اكمال بناء سور النجف (السادس) وهو الاخير وذلك في سنة ١٢٢٦ ﻫ وقد احصيت مصاريف بنائها مع بناء السور في ذلك العصر فكانت (٩٤) ألف تومان أشرفي ، والاشرفي يساوي يومذاك وزن الليرة الذهبية العثمانية . وهذه المدرسة منذ ذلك اليوم حتى هذه الساعة مزدحمة بطلاب العلوم الدينية وفضلاء المحصلين . وكان قد اوقف لها موسسها موقوفات تقوم ببعض مقتضيات سكانها ، وخصص للطلاب اطعاماً مستمراً في ليالٍ معينة من الاسبوع والشهر والسنة . والصدر هذا هو جد الاسرة المعروفة في النجف (بآل نظام الدولة) وقد آل بعض جوانب هذه المدرسة اليوم الى الانهدام فتبرع لاصلاحها بعض ذوي الخير على يد الحاج الشيخ نصر الله الخلخالي وقد شرع بهدم



جانب من مدرسة الصدر

الجانب الشمالي منها على ان يشرع بالجانب الآخر بعد اتمام بناء هذا الجانب وهكذا حتى يتم تشييدها من جديد .

مدرسة المعتمد أو مدرسة الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

موقعها في محلة العمارة وبجنبها من جهة القبلة المسجد المعروف بمسجد الشيخ موسى ، وفي جهة الشرق مقبرة الشيخ الكبير الشيخ جعفر صاحب كتاب (كشف الغطاء) وابنائه الاعلام . ان ساحة هذه المدرسة والمسجد والمقبرة كلها من موقوفات (امان الله خان) وهو أحد الامراء الايرانيين وقد وقفها على الشيخ الكبير في الثلث الاول من القرن الثالث عشر ليعمل بها ما شاء فاقتطع الشيخ منها للمدرسة ما يربو على ٨٠٠ متر مربع لبناء المدرسة .

قال صاحب ماضي النجف : «حدثني المعمر الحافظ العالم السيد عبد الحسن الدزفولي عن العلامة السيد حسين آل بحر العلوم (رض) ان معتمد الدولة وهو المحسن الكبير (عباسقلي خان) وزير محمد شاه القاجاري المتوفى في ايران سنة ١٢٤٩ هـ بعث بأموال كثيرة على يد العلامة الشيخ مهدي بن الشيخ علي آل كاشف الغطاء ليعمل صندوقاً فضياً على قبر امير المؤمنين عليه السلام ، فعمله وزاد من المال شيء فبنى به هذه المدرسة» على هذه الساحة الموقوفة على الشيخ الكبير ، والمعروف ان الذي بنى هذه المدرسة هو الشيخ موسى بن الشيخ جعفر الكبير على ما عرفنا واخذت هذه المدرسة بحظ وافر من العمران وكانت زاهية بأهل الفضل حتى اوائل القرن الرابع عشر ، ثم تهدمت لقلة العناية بها وسقطت سقوف غرفها ، وسد بابها وأصبحت غير صالحة للسكن حتى تصدى لها الامام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء وجدد عمارتها وهي اليوم آهلة بالسكان من طلاب العلم ، وصارت

تسمى بمدرسة الامام كاشف الغطاء وهي من جهة القبلة ذات طابقين في كل طابق خمس غرف وامام كل غرفة ايوان في الطابق الارضي وممر عريض امام غرف الطابق الثاني ، أما عكس القبلة فغرفتان كبيرتان وفوقهما السطح ، وفي الغرب على الارض غرفتان واربع غرف فوقهما فيكون المجموع (٢٦) غرفة . اما جانب الشرق ومنه شروع الباب ففي يسار الباب غرفة واحدة لادارة المدرسة وتقابل الباب غرفة كبيرة للمطالعة وفي داخلها المكتبة العظيمة العامرة وهي مدفن الشيخ علي والد الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، وقد اتخذ منها الامام داراً للمكتبة .

أما عدد طلابها فيقارب الثلاثين طالباً ومعيشتهم كسائر طلاب العلم في النجف يقوم بها العلماء الاعلام .



جانب من مدرسة كاشف الغطاء ويرى الإمام والى جانبه

السيد جعفر بحر العلوم ، والشيخ محمد جواد الجزائري ، والشيخ قاسم محيي الدين

وكان الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء قد اتخذ جانباً من هذه المدرسة ديواناً يجلس فيه للناس صباحاً ومساءً و في أيام الصيف كان صحن المدرسة يفرش بالسجاد ويجلس الشيخ فيجلس رواد مجلسه وزواره في صف على طول اضلاع الساحة ومن جهاتها الاربع .

ومن هذه المدرسة صدرت كل الفتاوى السياسية ، والشرعية ، والرسائل الادبية التي كتبها الشيخ ، ولذلك كان لهذه المدرسة تأريخ حافل في صفحات تأريخ العراق السياسي فضلاً عن التأريخ الديني ، وقد اعتاد الامام كاشف الغطاء ان يشير الى هذه المدرسة في كل ما كان يصدر منه من فتاوى ورسائل فيقول : صدر من مدرستنا بتأريخ كذا ...

المدرسة المهدية

تقع هذه المدرسة في محلة المشراق احدى محلات النجف مقابل مقبرة الحجة السيد مهدي بحر العلوم وشيخ الطائفة الشيخ الطوسي مجاورة لمدرسة (القوام) .

أسسها وشيدها الشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر الكبير صاحب (كشف الغطاء) في عام ١٢٨٤ هـ بأموال كثيرة ارسلت اليه من بلدة (قره‌داغ) في آذربيجان كما بنى مثلها في كربلا وهما معروفتان باسمه .

ان ارض هذه المدرسة البالغة مساحتها ما يقارب (٧٠٠) متر مربع كانت في السابق مركزاً (سرايا) لسادن الروضة . وحاكم البلد يومذاك وهو الملا يوسف الشهير ، ولما توفي باعها ورثته للشيخ محمد بن الشيخ علي كاشف الغطاء فبناها دارين ، وبعد وفاته بيعتا على الشيخ عبد الحسين الطهراني

ثم اشتراها منه الشيخ مهدي كاشف الغطاء المذكور سنة ١٢٨٤ . وفي نفس السنة بناها مدرسة ذات طابقين وعدد غرفها ٢٢ غرفة يسكنها نحو ٣٠ طالباً

وفي سنة ١٣٦٥ هـ اشرفت على الانهدام فتولى الاهتمام ببنائها الشيخ محمد علي ابن الشيخ عبد الكريم آل كاشف الغطاء ، واعاد تعميرها بمساعدة السيد ابي الحسن الاصفهاني فعادت مأهولة بأهل العلم . وقد اخرجت هذه المدرسة عدداً من فحول أهل العلم والادب . ومن طلبتها الشيخ صالح الجعفري وهو أحد اساطين الشعر والادب اليوم .

مدرسة القـــوام

مدرسة شهيرة عامرة مساحتها (٧٠٠) متر مربع تقع في محلة المشراق مجاورة للمدرسة المهدية ومقابلة لمقبرة العلمين شيخ الطائفة الطوسي والسيد بحر العلوم . وتعرف ايضاً بالمدرسة الفتحية نسبة الى بانيها (فتح علي خان الشيرازي) قوام الملك وقد تم بناؤها سنة ١٣٠٠ هـ . وكانت تحتوي على ٢٦ غرفة ، في صف واحد غير ان « طرف الشمال » منها الذي كان ذا طابقين قد آل الى الانهدام فتصدى لتعميره الشيخ نصرالله الخلخالي على نفقته ونفقة بعض المحسنين وهو اليوم مشغول بتشييدها لاحيائها من جديد .

وقد كانت لها الى زمن قريب اوقاف كثيرة تصرف على طلابها شهرياً وسنوياً ، وكانت في جانبها ساحة يلج اليها الداخل من ممر باب المدرسة وقد اعدت هذه الساحة للطبخ والطهي في بعض المناسبات وخصوصاً في ليالي رمضان والمحرم . وقد انقطع واردها اليوم فانقطع الاطعـــام ، ورأينا على جبهة بابها ابياتاً عربية ومطعمة بالفارسية وفيها ثلاثة تواريخ عن تأسيس هذه المدرسة منها :

يا من بنى هذا الاساس المتين
إنا فتحنا لــك فتحاً مبــين

بعهد خاقــان فلك بــاركاه
ناصر دين خسرو ايــران زمين

تاج الســلاطين سراج الملوك
والعروة الوثقى وحبل المتين ..الخ

سألت عن تأريخ هذا البنــاء
فقيل لي أضف الى : « الغين شين »

مدرسة الايرواني

مدرسة شهيرة معروفة واقعة في محلة العمارة بجنب دار الزعيم الروحاني السيد ابي الحسن الاصفهاني ، وهي ذات طابقين تشتمل على تسع عشرة غرفة وفي جنب بابها في الطرف الشمالي مقبرة مؤسسها الحاج مهدي الايرواني الذي شادها على يد الشيخ ملا محمد الايرواني على ارض مساحتها نحو (٣٠٠) متر مربع . وقد كمل بناؤها في سنة ١٣٠٧ هـ ثم أوقفها بأمر الشيخ الايرواني وجعل توليتها بيد الفاضل ، ثم من بعده بيد انجاله واولاده على التعاقب . وعدد طلابها ٢٤ طالباً جلهم من الاتراك . وقد خصها لسكنى الطلاب الاتراك فقط ولا سيما أهل (ايروان) وذلك لسبب حادث وقع أمام الباذل على بنائها ، وهو ان هذا الباذل كان عند الشيخ الايرواني حين جاءه طالب تركي وشكا اليه ما لقي من معاملة طلاب المدرسة التي يسكنها حتى طردوه منها . وهنا هاجت اريحية هذا المحسن وفي الحال أمر بشراء هذه الدار وبناها مدرسة للاتراك .

أما معيشة طلابها فهي مما تنفقه عليهم المراجع الروحانية من رواتب وخبز واحياناً مما يصل لوكيل المدرسة من الحقوق الشرعية لانفاقها على سكانها من الطلاب الاتراك . أما عدد طلابها فهم عشرون طالباً في الوقت الحاضر . وقد كانت لهذة المدرسة شهرة في احدى معارك الزكرت والشمرت اذ كان كاظم صبي قد اتخذ منها قلعة احتمى بها في المعركة وهاجم منها آل السيد سلمان في مذبحة دارت الدائرة فيها على الشوافع من انصار آل السيد سلمان .

مدرسة المرزا حسن الشيرازي

شيدت هذه المدرسة على ارض لا تزيد مساحتها على (١٢٠) متراً مربعاً وبناها المرجع الروحاني الكبير السيد مرزا حسن الشيرازي نزيل سامراء وذلك سنة ١٣١٠ هـ . وقد انفق على بنائها أحد أثرياء الهند والمقلدين للسيد الشيرازي ، وهي واقعة بجنب (باب الطوسي) من ابواب الصحن الحيدري الشريف من جهة الشمال والمتصلة من جهة الجنوب بجدار الصحن .

والمدرسة صغيرة ذات طابقين بنيت في الطابق الثاني منها ثمان غرف يسكنها عدد من طلبة العلوم الدينية وفي الطابق الارضي شيدت مقبرة الامام الشيرازي وفيها حوض وسيع بني خصيصاً لوضوء المصلين والزائرين الذين يفدون للزيارة من باب الطوسي .

مدرسة الحاج مرزا حسين الخليلي الكبرى

مدرسة واسعة الساحة تبلغ مساحتها (٦٠٠) متر مربع وموقعها في رأس شارع السلام في محلة العمارة ، وفي جوار مرقد الشيخ خضر شلال . وتعرف عند العامة بمدرسة القطب لان مؤسسها الحاج ميرزا حسين الخليلي

كان قد اشتراها من صاحبها السيد علي القطب ، وكانت قيصرية في ايام القطب يشغل حوانيتها الخياطون . وقد اشتراها الشيخ الخليلي بمال معتمد السلطنة (اميربنج) وقد كمل تشييدها سنة ١٣١٦ هـ وفي نفس السنة اجريت وقفيتها . وقد شاهدت في بعض المجاميع الخطية تأريخاً لعام تكميل تعميرها لم يذكر فيه اسم المؤرخ الناظم وهو :

دار علوم لذوي التحصيل عمرها الحسين ذو التبجيل
قد قيل لما كملت ارخ (لها معهد علم شاده الخليلي)
١٣١٦ هـ

وفي جهة الجنوب الشرقي من المدرسة عمر امير تومان صمصام الملك العراقي المقبرة الشهيرة باسم مقبرة الخليلي ، وهي المقبرة التي دفن فيها ايضاً هذا المعمر الى جانب الشيخ الخليلي ، ثم شاد الجهات الثلاث الاخر من المدرسة مجد الدولة جهان كيرخان . وهي ذات طابقين من جهاتها الاربع وعدد غرفها (٥٠) غرفة مبنية بالكاشاني وفي هندسة سداسية ، وفيها سرداب يدور حول جهاتها الاربع .



جانب من مدرسة الخليلي الكبري

أما باب المدرسة فهو من جهة الشمال الشرقي على الشارع المعروف بشارع السلام. وقد استخرجت من الجانب الشرقي ثمانية دكاكين وقفت على مصاريفها الضرورية من كهرباء وماء واجور خدم ، وعدد طلابها اليوم (٨٥) طالباً .

وقد انشئت فيها مكتبة عامرة للطلاب فيها من الكتب القيمة ما يربو على (١٠٠٠) كتاب وكانت لهذه المدرسة مكانة مرموقة في المجتمع اذ كانت عامرة بالفضلاء والعلماء المبرزين يوم كان مؤسسها الخليلي المرجع الروحاني الكبير ، ولا تزال تضم نخبة من الفضلاء والادباء وهم يصدرون من هذه المدرسة سلسلة شهرية بعنوان (مختارات اسلامية) تتضمن فلسفة الفكرة الاسلامية والبحوث الدينية باقلام كتابهم ويشرف عليها السيد عبد الكريم القزويني . ولهذه المدرسة تأريخ حافل في مختلف القضايا الدينية والسياسية فقد كانت محل اجتماع العلماء كلما كان يجد ما يستوجب ذلك . وقد احتفل بها العلماء سنة ١٢٢٧ في ٢ رجب عند خلع محمد علي شاه القاجاري ونصب ابنه أحمد شاه مكانه . واشترك في هذا الاحتفال الايرانيون والعثمانيون فكان احتفالاً تأريخياً مشهوداً . (١)

وقد كان وقفها في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣١٦ كما يحكيه صك الوقفية المختوم بخواتيم علماء عصره كالاخوند الملا محمد كاظم الخراساني ، والسيد محمد كاظم اليزدي ، والشيخ محمد طه نجف ، وغيرهم من مشاهير العلماء (٢) وقد اخرجت هذه المدرسة اعلاماً في الفقه والشعر والادب وكانت لهم شهرة كبيرة منهم الشيخ محسن شرارة ، وعباس الخليلي ، واحمد الصافي النجفي ، ومحمد علي الحوماني

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ٩٣ .
(٢) المصدر السابق .

مدرسة البخاري

تقع في محلة الحويش ملاصقة لمدرسة الاخوند الكبرى وتبلغ مساحتها (٣٠٠) متر مربع قام بتعميرها محمد يوسف البخاري وهو من اصحاب الوزير (خان ميرزا) وقد بنيت على يد الشيخ كاظم البخاري، وفرغ من تشييدها سنة ١٣١٩ هـ. ثم آلت الى الانهدام حتى كادت تغلق، فتداركها الحاج غلام الكويتي الشيرازي، ووصى بأن تبنى من ثلثه بعد وفاته. وهكذا فعل ورثته واعانهم على اكمالها بعض المحسنين الآخرين فكمل بناؤها من اطرافها الثلاثة عدا الطرف الشمالي منها وهي تحتوي اليوم على (١٩) غرفة من طابقين، وفي الطرف الآخر من الجنوب قاعة للاجتماع والدرس وفيها مكتبة صغيرة خاصة بالطلاب وهي جديدة الانشاء. اما تجديد بنائها فقد تم سنة ١٣٨٠ هـ. وعدد طلابها (٤٠) طالباً اذ يسكن في كل غرفة طالبان او ثلاثة لان بعضهم يحضرون في الغرفة للدرس والمطالعة فقط، ويذهبون ليلاً الى دورهم الخاصة. والمدرسة هذه مبنية من الحديد والكونكريت اليوم وعلى الطراز الحديث من هندسة المدارس الجديدة.

مدرسة الشربياني

من المدارس الشهيرة في النجف الاشرف لما ضمت من الفضلاء والعلماء البارزين في الحوزة العلمية، وهي واقعة في محلة الحويش في آخر الشارع من مدرسة السيد محمد كاظم اليزدي والمعروف سابقاً (بشارع المنود).

وكان الشيخ محمد المعروف بالفاضل الشربياني قد اختطها في سنة ١٣٢٠هـ، ثم شادها من تبرعات أصحابه ومقلديه التجار الاتراك في ابان زعامته

الدينية ، وهي ذات طبقة واحدة لا تتجاوز غرفها العشرين غرفة وقد اصبحت لتقادم عهدها شبه متداعية وتحتاج الى تعمير وترميم ومع ذلك فانها لم تزل مسكونة من قبل عدد من الطلاب .

مدرسة الخراساني الكبرى

مدرسة وسيعة ذات مكانة في المجتمع العلمي لما ضمّت من أهل العلم والفضل ؛ تقع في محلة الحويش وفي الشارع المبتدي بالساحة المعروفة (بفضوة الحويش) والمنتهي بباب سور البلد القديم المسمى (بباب السقائين) مساحتها (٧٣٠) متراً مربعاً ذات طابقين وغرفها (٤٨) غرفة ، وكلها معمورة بالطلاب وعددهم يناهز (١٠٠) طالب وفي كل غرفة طالبان يسكنها احدهما نهاراً للتدريس والبحث والثاني ليلاً للمطالعة والنوم ، وفي الطابق الثاني من الشرق مكتبة عامرة تقدر كتبها بنحو (٢٠٠٠) كتاب مع بعض المخطوطات الاثرية القيمة .

وفي زواياها الاربع ساحات صغار فيها عدد من الغرف الصغيرة وجدرانها محلاة بالقاشاني الثمين ، وقد اسست سنة ١٣٢١ هـ وكان المنفق على عمارتها الوزير الكبير للسلطان عبد الاحد البخاري بأمر من الملا كاظم الخراساني المرجع العام في عصره والمتوفى سنة ١٣٢٩ هـ .

وقد أرخ بناء هذه المدرسة بعض شعراء عصره كما هو مكتوب على بابها بقوله :

مدرسة (الكاظم) قد أرخوا (اساسها على التقى والرشاد)

١٣٢١ هـ



مدرسة الاخوند الكبري وقد جللها السواد بمناسبة يوم عاشوراء

وكان من اشهر طلاب هذه المدرسة في العقد الرابع من هذا القرن هو السيد ابو القاسم الخونساري العالم الكبير في الفلك والرياضيات وكان جميع الطلاب يقصدونه لتلقي العلوم الرياضية منه ، وكان يتلقى على ما نقل الناقلون عدداً كبيراً من الرسائل من مختلف الجهات يسألونه فيها عن حل بعض المسائل الرياضية وقد وضع قاعدة سهلة لمعرفة قابلية القسمة على العدد ٧. وقد ادركناه كهلاً لا يقل تضلعه بالرياضيات عن تضلعه بالفقه والاصول .

ومن اشهر طلاب هذه المدرسة السيد كاظم وهو ممن حصل على شهادة الدكتوراه في القانون من السوربون وجاء الى النجف للحصول على شهادة الاجتهاد، فاستعانت به المدرسة العلوية في النجف لتدريس الفرنسية وكان من انبغ اساتذة الفقه .

مدرسة الخليلي الصغرى

مدرسة صغيرة مساحتها (٢٣٠) متراً ذات طابقين وعدد غرفها (١٨) غرفة محكمة البناء عدا الجانب الغربي منها فانه لا غرف فيه. ولكل غرفة من الغرف السفلية في الطابق الاول ايوان صغير. اما الغرف العلويات فأمامها ممر مسقف ، وعند مدخل المدرسة غرفة صغيرة وهي مقبرة الباذل لتعميرها بأمر الحاج مرزا حسين الخليلي وهو المرزا محمد علي خان الكركاني . وموقعها في محلة العمارة في الشارع الذي يبتدىء بدار الامام الشيخ محمد رضا آل ياسين وينتهي بدار الامام السيد محسن الحكيم. ويجاورها من طرف الشرق الخانقاه الذي كان قد عمره السيد محمد كاظم اليزدي ووقفه للزائرين. وقد شيد اليوم مدرسة بعد ان انتفت الفائدة المطلوبة منه بسبب كثرة الفنادق والمساكن .

وقد كان ابتداء تأسيس هذه المدرسة سنة ١٣٢٢ هـ وكانت التولية بيد أولاد الشيخ الخليلي على التعاقب. واليوم يتولاها نجله الشيخ محمود الخليلي وقد انشئت فيها مكتبة صغيرة لاستفادة الطلاب على قدر حاجة الدرس والبحث والمطالعة .

وقد ارخ عام تأسيسها بعض شعراء عصره بقوله :

وبيت معارف شاد الخليلي
لاهل العلم اذ كان العميدا
ولما تم حط الفضل فيه
فأرخنا (لاهل الفضل شيدا)

١٣٢٢ هـ

وكان من فحول طلابها الشيخ حسين الزين العاملي والشيخ حسين مروة ،

وهو شيخ بلغ الاجتهاد ومع ذلك ظل ملازماً سكنى هذه المدرسة .

مدرسة القزويني

تقع هذه المدرسة في محلة العمارة وفي سفح التل المعروف (بالطمة) وبالقرب من مسجد (الهندي) الشهير والـــذي يذكره المعمرون في النجف ان هذا التل مجموع من الاتربة التي نقلت من الصحن الشريف عند بنائه وتعميره والقيت هنا حتى صارت تلاً وبقيت حيث هي وقد سميت بالطلمة .

وهذه المدرسة اسست على ارض مساحتها تزيد على (٣٠٠) متر مربع وذلك في سنة ١٣٢٤ هـ وكان الباذل على تعميرهـــا الحاج محمد آغا الامين القزويني ــ وهو من البيت المشهور باسم (الكروري) وكانت ارضها قبل ذلك خاناً للمسافرين والزوار وقيل انها كانت مفخراً للكيزان .

وهي مؤلفة من طابقين ، في الطابق الاول منها (١٥) غرفة أقيمت على سقف السراديب الممتدة في اطراف العمارة دون ان يكون لها ايوان امامها كسائر المدارس . والطابق الثاني الاعلى وفيه (١٨) غرفة وامام هـــذه ممر يحوطها من جميع جهاتها الاربع وقد عمر الجانب الجنوبي منها الذي كان قد اشرف على الانهدام محسن من أهل الكويت . واحدث في وسط هذا الجانب ومقابل باب المدرسة مكتبة رأينا فيها ما يناهز (٧٠٠) كتاب ، وكان تأريخ تجديد بنائها من قبل هذا المحسن الكويتي في سنة ١٣٨٤ . وقد وقف عليها الباذل اراضي زراعية في ايران ليصرف ريعها سنوياً على الطلاب وبعض حاجياتها الضرورية وفي نية بعض تجار قزوين الذين زاروا النجف ان يجددوا تعمير باقي جهاتها .

مدرسة البادكوبي

مدرسة عامرة بطلاب العلوم في محلة المشراق وفي الشارع المنتهي شرقاً بساحة الامام مقابل مدرسة الغري الاهلية والممتد الى الغرب حتّى ينتهي بالثلمة في طرف العمارة وهو المسمى (بشارع زين العابدين) وبازائها من جهة الغرب مسجد كبير شيده معمر المدرسة الحاج علي نقي البادكوبي في حدود سنة ١٣٢٥ ه عندما زار النجف ومكث فيها مدة تقارب السنة .

وهي ذات طابق واحد وغرفها لا تتجاوز ٢٨ غرفة. وفي جنبها الشرقي ساحة صغيرة بمساحة (١٠٠) متر مربع بنيت فيها ثمان غرف اخرى في طابقين ولها طريق واسع يوصلها بهذه المدرسة. وكل هذه الغرف يسكنها طلاب بخاريون من أهل بخارى وبادكوبيون اتراك من قفقاسية على الاغلب وعددهم اكثر من عشرين طالباً.

وفي سنة ١٣٨٣ ه هدمت الحكومة المحلية ما يقارب النصف من هذه المدرسة عندما احدثت شارع (زين العابدين) المذكور ولم يبق من غرفها اليوم سوى (١٦) غرفة يسكنها مثل هذا العدد من الطلاب بعد ان بني للمدرسة جدار حاجز عن الشارع . وقد بقيت هذه المدرسة على قدمها من حيث البناء .

مدرسة الآخوند الوسطى

تقع هذه المدرسة في محلة البراق على شارع (الصادق) الحديث والممتد من شارع دورة الصحن الى خارج البلد من (ساحة الامام علي) ويفتح بابها من شارع آل الاعسم وهي من المدارس العامرة بأهل العلم معبدة الساحة

بالرخام ومنقوشة الجدران بالكاشي مساحتها (٤٢٠) متراً مربعاً ذات طابقين وعدد غرفها (٣٦) غرفة وطلابها حوالي ٦٠ طالباً ولها سرداب تحت الطبقة الاولى وفيه ثلاثة حمامات ولها مكتبة في الطابق الثاني وعدد كتبها نحو (١٣٠٠) كتاب. وقد سميت الوسطى لأنها متوسطة المساحة بين المدرسة الكبرى والصغرى. وهذه المدارس الثلاث للزعيم الملا كاظم الخراساني عمرها وقام بمصاريفها الوزير البخاري (استانقلي بلك) وزير السلطان البخاري عبد الاحد الذي عمر مدرسة السيد محمد كاظم اليزدي. اما سنة تأسيسها وتعميرها فهي سنة ١٣٢٦ هـ وقد ارخ ذلك الشيخ ابراهيم اطيمش بقوله وهو مكتوب على بابها بالكاشاني:

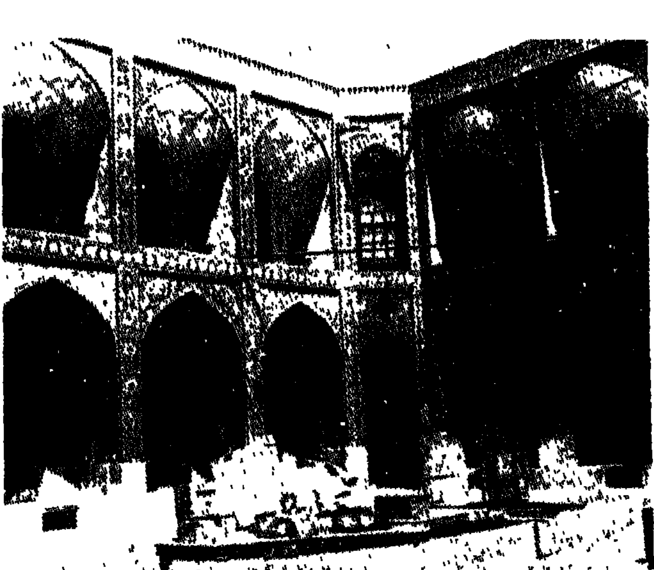
هذي مدينة علم وباب سر العوالم
للعلم شيدت فأرخ (لمعدن العلم كاظم)
١٣٢٦

وقد اكتسبت هذه المدرسة شهرة كبيرة بمن سكنها من رجال العلم وبمن خرجت من العلماء والمجتهدين، وقلما توفرت الشروط الكاملة للطلاب المجدين كما توفرت لطلاب هذه المدرسة. ومن طلابها الذين سكنوها ودرسوا فيها كان الشيخ نصر الله الخلخالي القائم اليوم بالانفاق على اكثر المدارس الدينية وطلابها في النجف.

مدرسة السيد كاظم اليزدي

هذه المدرسة من اشهر المدارس في النجف الاشرف عمارة، وزخرفة، وفخامة، تقع في محلة الحويش وفي الشارع الواقع بين شارع الرسول في الشرق وسوق الحويش في الغرب وقد بنيت بناء بديعاً وفي هندسة رائعة

كانت في وقتها ولا تزال حتى اليوم مضرب المثل . ارضها مبلطة بالرخام الصقيل وجدرانها مكسوة بالحجر الكاشاني البديع. وفيها من فن الهندسة والريازة ما جعلها محط انظار السواح والزائرين ، وتحتوي على (٨٠) غرفة في طابقين. وامام كل غرفة ايوان صغير كهندسة سائر المدارس المشيدة في النجف الاشرف منذ العصر الصفوي ، ولها عدة سراديب محكمة جميلة باردة الهواء. وارض هذه السراديب والجدران مكسوة بالحجر الكاشاني ، وتعتبر هذه السراديب المبنية طابقاً فوق طابق من اغرب العمارات وافخمها تحت الارض . يزورها في كل سنة عدد من السواح فيعجبون بهذه العمارة القائمة تحت الارض. أسسها وعمرها بأمر الامام السيد محمد كاظم اليزدي الوزير البخاري (استانقلي) الذي عمر مدرسة الاخوند الوسطى على ارض مساحتها (٧٥٠) متراً مربعاً . وقد ابتدأ بتعميرها سنة ١٣٢٥ ﻫ واكمل بناءها في سنة ١٣٢٧ ﻫ وعندما كمل تشييدها فضل من الاموال التي ارسلها الوزير المذكور لتعميرها مبلغ كبير اشتروا به نصفاً من حمامين ، وأحد عشر دكاناً وفندقاً من سوق الخلخالي بقضاء الكوفة ، كما ابتيعت لها أيضاً سبعة حوانيت اخرى



ركن من أركان مدرسة اليزدي

وخان هو الآن معمل لاستخراج الدبس من التمور مع ساحة كبيرة خلف هذا المعمل في سوق الكوفة المتوسط . وقد اوقفت كلها عليها على ان تصرف وارداتها في شؤون المدرسة من ماء وكهرباء وما تحتاجه من الاصلاحات . وقد كان المباشر لتعميرها والساعي في ادارتها وتنظيمها السيد محمد اليزدي نجل الحجة السيد محمد كاظم اليزدي ، وقد اسس فيها بعد اكمالها مكتبة عامرة بالمصادر المهمة وبعدد من المخطوطات القيمة .

وقد أرخ بناءها بعد الاكمال بعض الادباء وكتب التأريخ بالكاشاني على جبهة الباب وهو :

قد ابهج المصطفى وعترته   بذا وقالوا شيدت دعائمنا
يا طالبي فقهنـــا وحكمتنا   دونكم هذه معالمنـــا
مدارس الدين ارخوا (لكم   جددها للعلوم كاظمنا)

وقال الشيخ علي المازندراني مؤرخاً ايضاً :

أسسها بحر العلوم والتقى
محمد الكاظم من آل طبـــا
وفي بيوت اذن الله اتى
تأريخها (لكن بحذف ما ابتدا)

أي بحذف الواو التي ابتدأت بها الآية ، فان التأريخ يزيد مع الواو ستة بحساب الجمل لدى المؤرخين ولذلك اشار المؤرخ الى حذف الواو ليصح التأريخ .

ومن سكان هذه المدرسة شيخ جاء النجف طالباً للعلم من ايران وهو

شاب لم يبلغ الثامنة عشرة فمكث في النجف ستين سنة ولم ينل الاجتهاد. وقد توفي في اوائل العقد الرابع من هذا القرن وكان مضرب المثل للمتأخرين في الدراسة .

مدرسة الهندي

مدرسة اقيمت على ارض مساحتها (٦٠٠) متر مربع في محلة المشراق بجنب دور اسرة آل كمونه خدمة الروضة الحيدرية الشهيرة ، مدخلها في دربية ضيقة طويلة يقع بابها في آخرها وهي مؤلفة من طبقة واحدة ومجموع غرفها (٢٢) غرفة. وطرفها الجنوبي متصل بمدرسة القوام المتقدمة الذكر . وقد آلت الى الانهدام فأصلحها الامام السيد محسن الحكيم قريباً وانما عرفت بمدرسة الهندي لان المحسن ناصر علي خان أحد أهالي (لاهور) من ملحقات بنجاب الهندية كان قد اشتراها وشيدها مدرسة للهنود سنة ١٣٢٨ هـ وعدد طلابها اليوم لا يتجاوز (٣٨) طالباً .

مدرسة الآخوند الصغرى

موقعها في محلة البراق. وفي الشارع المشهور بشارع (صدتوماني) وهي صغيرة مساحة ارضها (٢١٠) امتار مربعة ذات طبقة واحدة وفيها (١٢) غرفة فقط ، امام كل غرفة ايوان صغير .وعدد طلابها (٢٠) طالباً اكثرهم افغانيون . عمرها وشاد بناءها الحاج فيض الله البخاري خازندار الوزير خان ميرزا وقد كمل تعميرها في عام ١٣٢٨ هـ .

مدرسة السيد عبد الله الشيرازي

تقع هذه المدرسة في الجادة الخامسة من شارع الرسول الاعظم في محلة الجديدة احدى محلات النجف الحديثة مساحتها (٧٢٥) متراً مربعاً وتحتوي على (٢٤) غرفة؛ وهي ذات طابقين من جهة الجنوب فقط وعدد طلابها (٣٠) طالباً وفيها مكتبة على رغم صغرها تكفي طلابها. وموقع هذه المكتبة في الطابق العلوي ولا يتجاوز عدد كتبها فعلاً (٨٠٠) كتاب وهي خاصة بالطلاب لغرض الدرس والمطالعة، ولها نظام داخلي خاص بسير طلابها.

أسسها وسعى في تعميرها السيد عبد الله الشيرازي عام ١٣٧٢ هـ من تبرعات المحسنين وذوي الثراء من محبي الخير ولا سيما الايرانيين. أما نفقات طلابها ومعيشتهم فيجريها المؤسس نفسه وبعض المراجع العالية من العلماء في النجف الاشرف.

مدرسة البروجردي الكبرى

تقع هذه المدرسة التي تضافر على هندستها وبنائها ابداع الفن الايراني والفن الهندي في محلة البراق وفي الشارع المتوسط بين سوق التجار وشارع الدورة المحيط بالصحن الشريف في الطرف الشرقي من الصحن. ومساحتها (٧٠٠) متر مربع ذات اربعة طوابق. اما الطابق الاول فهو السرداب الواسع والمحتوي جانب منه على ثلاثة حمامات صيفية. واما غرفها فعددها اثنتان وستون غرفة وكلها في الطابق الثاني والثالث والرابع دون ان يكون لكل غرفة ايوان كغيرها من المدارس الاخرى. وعند مدخل المدرسة ساحة صغيرة في طابقين. اما العلوي ففيه عدد من الغرف والطابق الارضي فيه



أحد أركان مدرسة البروجردي وترى صورته معلقة في الطابق الثاني

غرف للخدم ومداخل للسرداب وسلم للطبقة الثانية وكل غرفة مؤثثة بالسجاد الايراني الذي حيك خصيصاً لها في ايران ، ولهـا في الطابق الاول قاعة محاضرات كبيرة ، وصالة للصلاة والبحث والتدريس كما ان لهـا في الطابق الثاني مكتبة عامرة منظمة احسن تنظيم وحافلة بالكتب القيمة العلمية والفقهية وبعض المخطوطات القديمة ، وعدد كتبها نحو (٨٠٠٠) كتاب. وعدد طلابها (٦٠) طالباً يسكن كل طالب في غرفة واحدة ويشترط في قبوله فيها ان يكون من متوسطي الدراسة الدينية وبشهادة يحملها من أحد الاعلام ، وان يكون مجرداً من العائلة. وهؤلاء الطلاب كانوا يتقاضون مرتباً شهرياً كل بحسب درجته العلمية في زمن مؤسس المدرسة الامام السيد حسين البروجردي. ويعين اليوم السيد أحمد الخونساري القاطن بطهران لكل طالب

من طلابها ديناراً واحداً في كل شهر ، وتدفع المراجع العالية من العلماء مخصصات اخرى لهؤلاء الطلاب .

وقد كان تأسيسها سنة ١٣٧٣ هـ . والمباشر المشرف على بنائها هو الشيخ نصر الله الخلخالي، وهو نفسه المتولي عليها الآن بالاشتراك مع السيد محمد حسن البروجردي نجل الامام البروجردي فيقومان بتنظيم امورها وادارة شؤونها. وقد ارخ عام اكمالها الشيخ محمد تقي الجواهري ذاكراً اسم المؤسس والمباشر اذ قال :

وجامعة بجنب الطهر شيدت
لترعاها من الكرار عين
فأرخها (على التقوى بناء
بنصر الله اسسها حسين)

وأرخها السيد موسى بحر العلوم بقوله وقد كتبت بالحجر الكاشاني داخلاً

هذه مدرسة شيدت لمن طلب العلم ومن ادى فروضه
اسسته يد أعلى مرجع زاده الله من الجاه عريضه
للحسين بن علي اجرها جبر الله به الحق مهيضه
وعن الصادق قد ارختها (طلب العلم كما جاء فريضه)

وأرخها السيد محمد الحلي بقوله :

وعظيم قد سمت اعماله فغدت تجلب للناس الرشادا
كيف لا يسمو لدى الله وقد شاد للعلم وللدين العمادا
سيد عم البرايا نفعه فلذا عظمه الناس وسادا
ان يفز بالفخر تاريخي (له فحسين معهد التدريس شادا)

مدرسة العامليين

تقع هذه المدرسة في محلة الجديدة التي بجدثت في جانب خان المخضرات وقد اسست على ارض مساحتها (١٥٠٠) متر مربع تحتوي على (٤٠) غرفة؛ منها سبع عشرة غرفة على جانبي مسلك باب المدرسة في شرقها وغربها. وفيما بين كل صفين من الغرف صالون وسيع ، ثم بعد هذه المجموعة ساحة كبيرة؛ وفي مقابل هذين الجناحين من الغرف المذكورة بنيت حديثاً غرف اخرى وعددها ٢٣ غرفة غير انها لم تسكن بعد اذ لم تكمل تماما. وفي هذا البناء الجديد ايوانان واسعان شمالي وجنوبي، وقاعة كبيرة تحتها سرداب بمساحة (٢٠٠) متر مربع ، كما بنيت فيه مكتبة وصالون للمطالعة وغرفة لادارة المدرسة .

اما طلابها فعلاً فعددهم (٢٦) طالباً واكثرهم عامليون من جبل عامل بلبنان .

وكان الساعي في انشائهـــا وصاحب الفكرة الاولى هو الشيخ محمد تقي الفقيه العاملي، فانه بعد استشارة اخوانه العامليين وموافقتهم على شد ازره رفعوا ذلك الى السيد محسن الحكيم، فأقرهم عليه وتبرع لهم اولاً بمبلغ (١٥٠٠) دينار حين شرع في بنائها بعد شراء الارض سنة ١٣٧٧ هـ . ثم ذهب فريق من العامليين في وفد الى الكويت وجمعوا لها من تبرعات المحسنين هناك مبلغاً وافراً ساعدهم على تشييدها وما زالوا يسعون في اكمالها . ومتوليها اليوم هو صاحب الفكرة المؤسس الشيخ الفقيه ووكيله في النجف هو الشيخ العسيلي . أما نفقات هؤلاء الطلاب فهي من المراجع الدينية وبعضها من اهاليهم في جبل عامل .

المدرسة الطاهرية

مدرسة كبيرة الساحة تبلغ مساحة ارضها (٣٠٠٠) متر مربع تقع في الجادة (١٣) من شارع الرسول الاعظم وهي في ركن تحيط بجوانبهـا الاربعة جادات واسعة .

اسسها السيد عبد الله الشيرازي بعد اشادة مدرسته الاولى وكان ذلك في عام ١٣٧٧ وبنى فيها حتى الآن (١٤) غرفة واسكن فيها ١٤ طالباً ولا يزال يجد في اكمالها . وقد اسماها (بالطاهرية) نسبة الى جده السيد طاهر الشيرازي .

مدرسة البروجردي الصغيرة

تقع هذه المدرسة المشيدة على ارض مساحتها (٣٥٠) متراً مربعاً في رأس سوق العمارة الصغير . الذي ينتهي بشارع دورة الصحن مقابل باب الصحن المسمى (بالباب السلطاني) نسبة الى السلطان ناصر الدين شاه القاجاري الذي فتحه عند زيارته للنجف الاشرف وقد كانت داراً معروفة باسم (بيت القاضي) ذات طابقين تشبه في هندستها مدرسة البروجردي الكبرى وعدد غرفها (٢٠) غرفة وطلابها اربعون طالباً. وفي كل غرفة يسكن اثنان من الطلاب، وقد تبرع بشراء ارضها وتعميرها السيد هاشم البهبهاني بأمر من الامام الحاج آغا حسين البروجردي، كما عين لكل طالب فيها ديناراً واحداً شهرياً مشترطاً في نظامها الداخلي ان لا يكون الطالب رب عائلة أو رب دار في البلد . وقد كان اكثر سكانها من الباكستانيين. ثم عين السيد هاشم لكل غرفة من غرفها سجادة ايرانية على قدر مساحة الغرفة . وجعل المتولي عليها الشيخ نصر الله الخلخالي . وقد كان تأسيسها في عام ١٣٧٨ هـ وأرخها الخطيب

السيد علي الهاشمي بقوله . وقد كتب التأريخ بالحجر الكاشاني على الجبهة المقابلة للداخل :

معهد علم بالغري شـــاده
الهاشمي هاشم بن أحمـــد
باسم فقيه العصر موئل الورى
سيدنا (الحسين) فخر المقتدي
نادى بـــه رائد ارباب الهدى
ارخ (لقد شيد خير معهد)
١٣٧٨

مدرسة الرحباوي

تقع هذه المدرسة في محلة الجديدة في الركن الذي هو عند ملتقى شارع المدينة وشارع الهاتف؛ مساحتها (١٠٠٠) متر مربع وبابها من جانب الشمال من شارع المدينة .

اسسها صاحبها الحاج عباس محسن ناجي الرحباوي النجفي سنة ١٣٧٨ ه باسم الحسينية أولاً، ثم رجح له ان يبني فيها غرفاً لطلاب العلوم لتكون اكثر نفعاً واعم فائدة فبناها في طابق واحد وجعل في جانبيها الشرقي والغربي اثنتي عشرة غرفة اسكن فيها ما يزيد على العشرين طالباً. ثم ابتنى في الجنوب حسينية بمساحة (٢٠٠) متر مربع وخصها باقامة مأتم الحسين في الاوقات المناسبة على ان تكون في عين الوقت قاعة محاضرات ومصلى للطلاب .

ثم عيّن لها اوقافاً يصرف ريعها في حاجاتها الضرورية وان اوقافها هذه :

ستة حوانيت من خارجها مع دار صغيرة في جانبها .

ويشرف عليها اليوم نفس مؤسسها الحاج عباس ولها وقفية ونظام للمتولي وللطلاب .

مدرسة الجوهرجي

اسس الحاج محمد صالح الجوهرجي في محلة المناخة في شارع المدينة في النجف الاشرف مسجداً واسعاً كبيراً وبجنبه حسينية ثم اخرج منها (١٢) دكاناً وبنى في جوارها حماماً للرجال باسم (حمام الكوثر) وجعل هذه المنشآت كلها وقفاً للمسجد والحسينية غير انه رأى اخيراً ان الانفع والاصلح للوقف وادامته ومنعاً لتضرر المجاورين من وجود الحمام وتسرب مياهه الى اسس دورهم ان يزيل الحمام ويضيف مساحته الى الحسينية مع قسم من ارض ملكه المجاور وهكذا فعل واعاد بناء المسجد بأقوى مما كان وجعله حرماً وجعل الساحة (حسينية) وحرم المسجد

صفحة من الطابق الثاني والمكتبة في مدرسة الجوهرجي

هذا واقع في الطابق السفلي من الساحة ، وشيد على القسم الباقي المحيط بالمسجد والحسينية من الجهات الاربع خمسين حانوتاً وبنى في الطابق العلوي فوق الحوانيت المذكورة مدرسة لطلاب العلوم الدينية تتألف من اثنتين وخمسين غرفة وكلها اليوم مسكونة بالطلاب وقد بنى لهم حماماً عصرياً في الطابق الثالث ثم وقف جميع هذه المنشآت وقفاً خيرياً يصرف واردها على لوازم المسجد ، والحسينية ، والمدرسة ، والمكتبة ، والمقبرة ، في اجور ماء ، وكهرباء وخادم ، وقراءة قرآن ، وامامة المسجد وما تحتاج المكتبة من راتب الناظر والامين الى غير ذلك .

وقد أرخ عمارة مسجدها محمد جواد مطر بابيات مكتوبة بالكاشاني على جبهة بابه وهي :

صالحٌ ما اسس مسجداً هنا ... إلا وفي الجنة بيتاً أسّسا

فقلت في التأريخ (زده انه ... لمسجد على التقى تأسّسا)

٣ ــ سنة ١٣٨٢ هـ

مدرسة جامعة النجف الدينية

اسست هذه المدرسة في محلة (حي السعد) احدى محلات النجف الواقعة على طريق (الكوفة والنجف) وشيدت على ارض مساحتها (٥٠٠٠) متر مربع وقد شرع في بنائها في سنة ١٣٧٦ هـ واستمر التعمير حتى سنة ١٣٨٢ هـ .

وقد كانت فكرة تأسيسها والقيام بتنفيذ هذا المشروع تعوذ للسيد محمد اسولو ي الشهير (بكلانتر) ، اما الباذل على تعميرها فهو المحسن الحاج

محمد تقي اتفاق الطهراني وقد انفق عليها من خالص ماله وليس من الحقوق الشرعية وارصد لها مبلغ (١٥٠) الف دينار عراقي ، اما ما انفق عليها من الضروريات والكماليات بعد اكمالها فقد كان كثيراً جداً، وقد اشتريت ارض المدرسة ، وعمرت وسجلت بالطابو باسم المباشر السيد محمد كلانتر .

اما نفقاتها الحالية ونفقات طلابها فانها تجري من نفس المؤسس ومن بعض تبرعات المحسنين ، وفي نية المؤسس ان يوقف لها ولاعاشة طلابها موقوفات من املاك واراض زراعية تدر عليها وعليهم سنوياً ما يضمن لها ولهم سد الحاجة كما عين للطلاب نظراً لبعدها عن الصحن وحوزات التدريس في داخل البلد سيارة ذات (٢٤) مقعداً تحمل الطلاب من المدرسة الى الصحن ثم تعود بهم الى مدرستهم كل يوم صبحاً وعصراً وليلاً .

وهذه المدرسة تحتوي على (٢٠٨) غرف للسكن قائمة في ثلاثة طوابق عدا الطابق الارضي الذي هو عبارة عن سردابين يقعان تحت بناية العمارة ، وثلاثة سراديب واسعة اخرى تقع تحت صالوناتها وفيها مرافق واسعة للطبخ والغسيل .

اما الطابق الاول فمنه مدخل المدرسة وعلى يمين الداخل الى المدرسة شيدت مكتبة بمساحة (٢٢٥) متراً مربعاً في طابقين . وقد وضعت قماطر الكتب في الطابق العلوي ، واما المساحة السفلى فهي للمطالعين يجلسون على كراسٍ ومناضد خاصة اعدت لراحتهم ، وعلى يسار الداخل يقع مسجد الجامعة البالغة مساحته (٢٢٥) متراً مربعاً اعد لاداء الصلوات الخمس والتدريس ، والبحث والحفلات الدينية الخاصة ، وبجانب هذا المسجد غرفة لقلم الجامعة تقع تحتها مقبرة خاصة للمؤسس وعائلته وللمتولي الفعلي السيد محمد كلانتر وحده .

وفي وسط المدرسة ساحة كبـــيرة وفي جانبها رديفان مـــن الغرف يفصل بينهما صالون كبير ومثلـــه في الجانب الغربي

أحد أركان مدرسة الجامعـــة

من الساحة كما ترى في الجانب الشمالي والجنوبي غرف امامها ايوانان كبيران مسقفان ، ومجموع غرف الطابق الاول (٦٢) غرفة وفيه ثمانية حمامات واثنتا عشرة مغسلة أما الطابق الثاني فيشتمل على (٥٤) غرفة وثلاث قاعات للتدريس تقع في الجهة الغربية منها ، وفي جهتي هذا الطابق الغربية والشرقية صالونان كبيران بين رديفين من الغرف كالطابق الاول وفيه ثماني حمامات واثنتا عشرة مغسلة .

اما الطابق الثالث وفيه (٩٢) غرفة وصالونان كبيران في الشرق والغرب يتصلان ايضاً بين رديفين من الغرف كالسابق وفيه ايضاً ايوانان وسيعان شمالاً وجنوباً وثالث دائري مسقف في جهة الشمال .

والمتولي لامورها هو السيد محمد كلانتر بالوكالة عن مؤسسها ومتوليها الاصلي والمدرسة مقيدة بأنظمة الامتحانات ويمنح الناجح منهم بدرجة الامتياز زيادة في راتبه ومخصصاته وتعتبر هذه المدرسة اليوم افخم واوسع مدرسة بنيت في تأريخ مدارس النجف .

مدرسة عبد العزيز البغدادي الدينية

مدرسة متقنة البناء اسست على ارض مساحتها (١٩٠٠) متر مربع تقع في مقدمة محلة حي السعد من المدينة وفي ركن يجعل جانبها الجنوبي على الشارع الرئيسي بين الكوفة والنجف والجانب الغربي على طريق كربلاء ومنه طريق بابها وقد شيدت في طابقين عدا الطابق السفلي المشتمل على سردابين كبيرين مجهزين بعدد كبير من المراوح الكهربائية مبالغة في راحة الطلاب صيفاً .

اما الطابق الاول الذي منه طريق الباب فانه يشتمل على ساحة كبيرة تحيط بها خمسون غرفة وفي اطراف الساحة وزواياها عشرة حمامات ، ومطبخان ، وعدد من المغاسل ثم قاعة كبيرة للمحاضرات وقاعة اخرى للحفلات ، وفيها مسجد لاداء الصلوات الخمس يقع في الركن الذي يفصل



إحدى جهات مدرسة عبد العزيز البغدادي

بين شارع الكوفة وشارع كربلا ، وتحته مقبرة خصها مؤسسها وواقفها الحاج عبد العزيز البغدادي بنفسه وأهل بيته وبجانب هذا المصلى محل للوضوء .

وفي الطابق الثاني العلوي اثنتان وخمسون غرفة وعشرة حمامات ومغاسل ومطابخ على غرار الطابق الاول فيكون مجموع غرفها (١٠٢) غرفة وكلها عامرة بالطلاب الفضلاء . وقد جهزها مؤسسها بالفرش والاثاث الكامل من المكيفات الهوائية الاتوماتيكية وتبريد الماء والمراوح .

وتحيط بهذه المدرسة حديقتان جانبيتان غرباً وجنوباً كما شيد بجنبها دار سكنى للقائم بادارتها ولزائريها من آل (البغدادي) واصدقائه ، واخوانه . وهي مشرفة على الحديقة ، وبعد ان تم بناء هذه المدرسة قرر مؤسسها وقف عمارة كبيرة بشارع الرشيد ، في بغداد عليها . وقد افتتحها بحفلة كبيرة حضرها الامام السيد محسن الحكيم كما حضرها وفود من انحاء العراق وكان ذلك في يوم ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٣٨٣ هـ وقد جعل توليتها لنفسه ما دام حياً ومن بعده لولده كامل وجعل ابنيه رؤوفاً وعبد الجبار ، ناظرين عليه .

وقد أرخ سنة انتهاء تعميرها بعض الشعراء بقوله :

عبد العزيز عندما أسسها مدرسة دينيــةً وشيدا
رام له الحكيم ان يعظم في الدنيا وفي اخراه ان يخلدا
فبلدة الغري ارخنا (بها عزيز بغداد اقام معهدا)

سنة ١٣٨٣ هـ

مدرسة الافغانيين

مدرسة حديثة البناء واقعة في محلة (الجديدة) اختصت بالافغانيين والبلوجيين البربر ، وهي واقعة في وسط الدور التي يسكنها الافغانيون والبربر على الغالب وخلف حديقة (غازي) الكبيرة كانت ارضها البالغة مساحتها (٤٠٠) متر مربع ملكاً للحاج الشيخ حسن الافغاني ، فوقفها على ان تكون مدرسة دينية للطلاب منهم فعمروها بما جمعوه من تبرعات المحسنين منهم ومن غيرهم وشرعوا في بنائها سنة ١٣٨٤ هـ وشيدوا فيها سبع غرف في الجانب الجنوبي منها بعد ان سوروها وهي في الطابق الاول السفلي فقط وبنوا امام كل غرفة ايواناً صغيراً على طراز هندسة المدارس الدينية في النجف . واسكنوا فيها سبعة طلاب من الافغانيين والبلوجيين اما المتولي لشؤونها الداخلية والخارجية اليوم فهو السيد عوض الافغاني والشيخ محمد الرحماني الافغاني الخراساني وهما يبذلان المساعي لتعمير جوانبها الاخرى بناء على شدة الحاجة لسكنى الطلاب الافغانيين .

مدرسة اليزدي الثانية

تقع هذه المدرسة الجديدة في محلة العمارة متصلة من الغرب بمدرسة الخليلي الصغرى ومن الجنوب بمدرسة الخليلي الكبرى ، وكانت هذه المدرسة منذ خمسين عاماً (خانقاها) بناه العلامة السيد كاظم اليزدي للزائرين يوم لم يكن في النجف الاشرف فنـــادق او أماكن عامة تسع الوافدين اليها ، فاشترى الارض وهي دار لبعض العلويين وشيدها (خانقاهاً) بماله ، وببعض الحقوق الشرعية التي تنطبق على مثل هذه المشاريع .

ولما رأى نجله السيد أسد اليزدي ان هذا الخان قد اصبح عاطلاً ولا

فائدة فيه اليوم بسبب كثرة الفنادق والمساكن للوافدين والزوار رجح في نظره ان يشيد هذا الخان المسمى بخان الوقف مدرسة لطلاب العلوم الدينية الذين هم اليوم في حاجة ماسة الى مساكن ، فعرض الفكرة على السيد الحكيم واستفتاه في جواز هذا التصرف والتغيير . فامضى رأيه وساعده بمبلغ لاخراج الفكرة الى حيز العمل . وقد كملت اليوم بهيكلها العام وهي مدرسة جميلة ذات طابقين شيدت على ارض مساحتها (٦٠٠) متر مربع وعدد غرفها (٥١) غرفة منها (٢٥) في الطابق الاول المقام على سرداب كبير و (٢٦) غرفة في الطابق الثاني و في الطابق الاول قاعة محاضرات كبيرة وهي التي يطلق عليها اسم (المَدْرس) ، وفي الجنوب الشرقي منها أربعة حمامات صيفية ومغاسل وامام الغرف كلها في كلا الطابقين ممر بعرض مترين ونصف متر مسقف بالحديد والآجر وقائم على أعمدة من الكونكريت والاسمنت ، والحديد ، وهي مدورة الشكل وقد زينت دورتها من اعالي السقف الدائر بالآيات القرآنية مكتوبة بالكاشاني الملون البديع . وقد شرع في بنائها سنة ١٣٨٤ هـ وحتى اليوم والعمل لم يزل مستمراً فيها .

وقد كان لهذا (الخان) المذكور اوقاف تصرف وارداتها عليه فرجعت كلها الى المدرسة وهي عبارة عن اربعة دكاكين ، ودارين ، وفندق صغير ، وكلها متصلة بنفس المدرسة وتصرف ايجاراتها على المقتضيات اللازمة من ماء وكهرباء واجور خادم وما الى ذلك من ضرورياتها .

وقد ارخ عام الابتداء في تعميرها السيد موسى بحر العلوم بقوله :

بشرى بها مدرسة عائدة   على هواة العلم بالفائدة
اسسها (الكاظم) من حلمه   بنية راسخة القاعدة
ثنى بها مدرسة فاغتدت   في حسنها الثانية الواحدة

فأصبحت عيداً لمن هاجروا للعلم والسكنى بهـــا المائدة
وعدها الدهر بتأريخه (من حسنات السيد الخالدة)

مدارس تحت الانشاء

أ ــ مدرسة الحكيم :

واقعة في محلة المشراق قرب الساحة الكبيرة المعروفة (بفضوة المشراق) البالغة مساحة ارضها (٧١٤) متراً مربعاً اشتراها الامام الحكيم ليشيدها مدرسة وهي عبارة عن دارين احداهما دار أمين شمسه ومساحتها (٤٨٤) متراً مربعاً والثانية دار لطيف (ابو اصيبع) ومساحتها (٢٣٠) متراً مربعاً وسوف يشرع بتعميرها قريباً ان لم يكن قد بوشر بتعميرها الآن.

ب ــ مدرسة الكلباسي

دار اشتراها الشيخ محمد علي الكلباسي النجفي بماله وبسعيه من تبرعات المحسنين من ايرانيين وغيرهم ، اشتراها من الاخوين التغلبيين الشيخ عبد الحسين والشيخ عبد العزيز وهي واقعة على شارع دورة الصحن الشريف ومتصلة من جانبها الغربي بمدرسة البروجردي الصغيرة ويفصل بينها وبين سوق العمارة دار واحدة ومساحتها (١٤٧) متراً مربعاً وقد هدمت الدار ليشرع في تعميرها.

جـ ــ ولا يستبعد ان تشاد عدة مدارس كبيرة في الربع القرن المقبل بناء على هذه الحركة النشطة البادية في تأسيس هذا العدد من المدارس خلال ربع القرن الماضي.

نموذج لكيفيـــة إجراء
وقف المدارس الدينية في النجف

هذه صورة للوثيقة التي تم بها وقف مدرسة (عبد العزيز البغدادي كنموذج لكيفية وقف المدارس الدينية وقد كانت صيغة الوقف تجري في السنين السابقة دونما حاجة لتصديقها في المحاكم ، اما اليوم فان المراسيم تتطلب تسجيل الوقف وتصديقه من قبل المحاكم الشرعية على هذه الوتيرة :

العدد ١٧ — ١٩٦٤ بسم الله الرحمن الرحيم

ان قاضي محكمة شرعية النجف الشيخ حسن الشميساوي المأذون بالقضاء باسم الشعب سجل ما هو آت :

قدم المستدعي الحاج عبد العزيز الحاج طاهر الحاج كاظم البغدادي عريضة لهذه المحكمة مؤرخة في ٥ — ٣ — ٦٤ تتضمن ما يلي : استناداً الى الحجة الوقفية الصادرة من المحكمة الشرعية الجعفرية ببغداد في ١٩ — ٣ — ١٩٦٢ المرقمة ٦١ اساس ٥٥ — ٩٦٢ المتضمنة ايقافه قطعة الارض المرقمة ٤٠٤ — ١٥٠٥ البالغة مساحتها الف وتسعمائة متر مربع الكائنة في مدينة النجف الاشرف بحي السعد وقفاً خيرياً على ان يشيد عليها بناء ومحدثات حسب

رغبته وتكون جميعها وقفاً خيرياً وفق الشروط التي يشترطها عند اكمالها وايقافها وحيث قام بالبناء وفرغ من تعميرها وهي تتكون من مدرسة مشيدة من طابقين تحتوي على ما يزيد على مئة غرفة ومكتبة وعشرة حمامات ، ودورات مياه ، وساحة ومطبخين وتحيط بها حديقتان جانبيتان على طريق الكوفة وطريق كربلا ، ومصلى يقع في الزاوية التي تربط شارع الكوفة وشارع كربلا ، وتحته مقبرة وبجانب المصلى محل للوضوء ، كما شيدت على الارض المذكورة دار في الجهة الشمالية ، تحتوي على غرف ومرافق صحية وبجانبها حديقة ، وقد اوقف جميع ذلك خيرياً وفق الشروط الآتية :

على ان يكون اسم المدرسة ــ مدرسة عبد العزيز البغدادي الدينيّة الخيرية وان الشروط هي :

ان تكون المدرسة وقفاً للاغراض الآتية :

أ ــ مدرسة للعلوم الشرعية الاسلامية . وللعلوم التي لا تتعارض مع الاحكام الاسلامية .

ب ــ إقامة الاحتفالات الدينية بواسطة ذكرى مواليد الأئمة الاطهار ، ووفياتهم ، وذكرى وفاة الصديقة الزهراء ، ومولدها ، واقامة عزاء الحسين ، ثم بالمناسبات المعروفة وغيرها من الاغراض الدينية ، كحفلات عقود الزواج ، واقامة الفواتح ، وكل حفلة واجتماع لا يتعارض مع الاغراض الدينية .

جـ ــ لاسكان طلاب العلوم الدينية ، والعلوم المشروعة سواء كان الطالب يدرس في المدرسة نفسها ام في غيرها من المدارس الدينية في النجف الاشرف اذا توفرت في الطالب الشروط الآتية :

اولاً ــ ان يكون الطالب متمتعاً بالاهلية الشرعية .

ثانياً — ان يكون حسن السلوك والسيرة وسالماً من الامراض المعدية .

ثالثاً — ان لا يسبب الضرر للمدرسة او للطلاب المقيمين فيها .

رابعاً — ان يتجنب البحث في الامور غير المشروعة لا سيما المتعلقة منها بالامور السياسية او العقائدية التي لا تتفق والعقيدة الاسلامية .



صفحة من مدرسة البغدادي وقد جللت بالسواد بمناسبة أيام عاشوراء

خامساً — لا يجوز استصحاب النساء واسكانهم في المدرسة بأي حال من الاحوال .

سادساً — ان يأذن له المتولي بالسكن او من يوكله المتولي .

سابعاً — ان يستمر الطالب على الدراسة او التدريس في المدرسة او في غيرها كما تقدم .

ثامناً يجوز للمتولي او وكيله اخراج من أخل باحدى الشروط المذكورة او اذا اعتقد بان وجوده مضر غير صالح .

تاسعاً ــ للمتولي ان يشترط في قبول الطالب شروطاً اخرى تقتضيها مصلحة المدرسة .

٢ ــ يكون المصلى وقفاً عاماً للمسلمين لاقامة الصلاة وتلاوة القرآن الكريم .

٣ ــ اوقف المقبرة لدفن آل البغدادي على الوجه الآتي :

اولاً ــ لدفنه ودفن زوجاته واولاده ذكوراً واناثاً وزوجاتهم ودفن الذكور من اولاد اولاده الذكور منهم دون الاناث .

ثانياً ــ لدفن شقيقاته ودفن الذكور من اولادهن دون أولاد اولادهن .

ثالثاً ــ لدفن اولاد عمه الحاج صالح واولاد الحاج حسن واولاد عمه محمدعلي ذكوراً واناثاً ودفن .رلاد اولادهم . وللواقف في حياته ان يأذن بدفن من يشاء وليس للمتولي بعده ذلك .

رابعاً ــ لقد اوقف الدار لسكنى المتولي والزائرين لمرقد الامام علي عليه السلام من اولاده واولاد عمومته وشقيقاته ما تعاقبوا وتناسلوا طيلة مكثهم في مدينة النجف الاشرف بقصد الزيارة ويستثنى من هذا الشرط المتوليووكيله اذ لهما الاقامة فيها حيث رغبا دون تحديد مدة وللمتولي ايجار الدار المذكورة اذا وجد في ذلك نفعاً ويصرف بدل ايجارها على صيانة الاعيان الموقوفة كما تقدم اولاً وعلى ما يلزم من المصروفات على المدرسة ومرافقها ثانياً ، وللمتولي ان يأذن في اسكانها من يشاء .

خامساً ـ لقد جُعل المكتبة وقفاً خيرياً عاماً على المسلمين للمطالعة وتدار من قبل المتولي او من ينيبه المتولي لادارتها وللمتولي ان يشرع لها نظاماً خاصاً لادارتها ومسك سجلاتها والمحافظة عليها وتعيين من يقوم بالخدمة فيهـــا .

سادساً ـ لقد جعل التولية بيده ما دام حياً ومن بعده تكون التولية لولده كامل ويكون كل من ولديه رؤوف وعبد الجبار ناظرين عليه ، ومشرفين على اعمال المتولي المتعلقة بتطبيق هذه الوقفية ، وللواقف ان يعين شخصاً او اكثر بالاضافة الى المشار اليهم بصفة المتولي او الناظر كما له الحق في عزلهم مدة توليته ، وبقائه على قيد الحياة ، وعلى المتولي من بعده والناظرين ان يعين كل واحد منهم من يخلفه بعد وفاته ، مع وجوب مراعاة الشروط الآتية :

أ ـ ان يكون من يخلف المتولي والناظرين متمتعاً بالاهلية الشرعية ومعروفاً بالتقوى والصلاح وحسن الادارة .

ب ـ ان يكون من ذكور اولاد الواقف ثم الذكور من اولاد الذكور من اولاد اولاده ما تعاقبوا او تناسلوا طبقة بعد طبقة .

جـ ـ اذا فقد الذكر من اولاد اولاده الذكور منهم تكون التولية والنظارة للذكور في اولاد الذكور من اولاد جـــده الحاج كاظم ، ما تعـــاقبوا وتناسلوا طبقة بعد طبقة .

د ـ اذا فقد من يصلح للتولية او النظارة كما تقدم تكون التولية والنظارة للذكور من بناته طبقة بعد طبقة .

هـ ـ اذا فقد من يصلح للتولية كما في البند (د) تكون التولية والنظارة للذكر من اولاد اناث جده الحاج كاظم طبقة بعد طبقة .

و ـ اذا فقد من يصلح للتولية والنظارة كما تقدم فعلى المتولي الاخير والناظرين ان يجتمعوا وبعد اليأس من وجود من يصلح للتولية او للنظارة من ذريته وذرية جده كما تقدم ان يعينوا بالاتفاق ثلاثة من صلحاء المسلمين الجعفريين القادرين على ادارة العين الموقوفة ويكون احدهم متولياً والآخران ناظرين عليه ، وتسري بحقهم شروط التعيين كما تقدم ، وعلى كل واحد منهم ان يعين في حياته من يخلفه متولياً كان او ناظراً .

ز ـ اذا فقد المتولي أو أحد الناظرين فان كان قد عين من يخلفه قام مقامه حتّى زوال العذر فان استمر فقدان اهليته حتّى الموت استقر مكانه .

ح ـ اذا كان من فقد الاهلية لم يعين من يخلفه بعد وفاته عينه الآخران الناظران او المتولي الناظر وقام مقام فاقد الاهلية حتّى زوال العذر وان استمر حتّى الموت استقر مقامه كما تقدم .

ط ـ اذا فقد شخص من الناظرين والمتولي الاهلية عين الشخص الثالث ناظراً كان او متولياً من يقوم مقامهما حتّى زوال العذر فان استمر العذر حتّى الموت استقر مقامهما .

ي ـ تسري احكام الفقرتين السابقتين (ح . ط) على من كان من الناظرين او المتولي دون ان يعين من يخلفه فيكون بيد الباقي كما تقدم .

ك ـ اذا مات المتولي والناظران دون ان يعين أحد منهم من يخلفه عين المرجع الديني من علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية من يخلفهم متولياً وناظرين ووجب على واحد منهم ان يعين من يخلفه كما تقدم مع وجوب مراعاة شروط هذه الوقفيه في شروط التعيين

ل ـ اذا وقع خصام بين المتولي والناظرين انفسهما وجب عليهم الرجوع

الى من يتفقون عليه من علماء الجعفرية المشهورين ليحكم بينهم ويكون حكمه الفصل في النزاع ولا فرق بين ان يكون النزاع والخصام ناشئاً بينهم بسبب الاختلاف في التعيين او في تطبيق الشروط لهذه الوقفيه .

(م) اذا فقد من يصلح للتولية وعهد بها الى احد العلماء كما في الفقرة (و) ثم وجد من يصلح لها من ذرية الواقف كانت التولية له ، وهكذا اذا وجد اكثر من واحد عين منهم الناظران وفق شروط هذه الوقفية .

ن ــ لا يجوز للمتولي والناظرين حصر التولية أو النظارة في ذريتهم ومخالفة شروط هذه الوقفية في التعيين كما في الفقرات ا ب جـ د هـ و .

وعلى هــذا تم اجراء صيغة الوقف بتاريخ ٢١ شوال سنة ١٣٨٣ الموافق ٥ ــ ٣ ــ ٦٣ وطلب تسجيل ذلك وفق الاصول كما ابرز اعــلاماً صادراً من محكمة شرعية بغــداد الجعفرية وهي حجة بعدد ٦١ وعدد الاساس ٥٥ وتأريخ ١٧ ــ ٣ ــ ٦٢ تتضمن ايقافه قطعة الارض المرقمة ٤٠٤ ــ ١٥٠٥ الواقعة في محلة حي السعد في النجف الاشرف ، والبالغة مساحتها ١٩٠٠ متر مربع الموقوفة من قبله وقفاً خيرياً لانشاء مدرسة دينية عليها ، وكذلك ابرز سند طابو بعدد ٨٧ وتأريخ آذار ٩٦٢ ويتضمن كون قطعة الارض المنوه عنها اعلاه وقفاً خيرياً من قبل العراقي الحاج عبد العزيز بن طاهر البغدادي كما اجري الكشف على الملك المذكور من قبل الخبراء ، ومهندس الطابو ، تحت اشراف المحكمة ، وقد ظهر بعد التطبيق ان الواقف قد شيد على الارض المذكورة بناية متخذة مدرسة تتألف من طابقين الاول يحتوي على خمسين غرفة ، ومسجد ، وقاعة للمحاضرات ، ومكتبة ، وسردابين ، ومقبرة ، تحت المسجد ، ومطبخ وعشر حمامات ، ومرافق صحية اخرى ، وساحة كبيرة ، في وسط المدرسة ، وتوجد كذلك دار

ملاصقة للمدرسة تتألف من اربع غرف في السفلى وسرداب و (هولين) ، ومرافق صحية ، وغرفتين ، و (هول) في الطابق العلوي وحديقة محيطة بالعمارة من جوانبها الثلاثة وقد ثبتت منشآت الملك وطبعت على الخارطة والسند من قبل مهندسي الطابو ، وقد اجرى الواقف امام المحكمة وبحضور الشاهدين الموقعين ادناه صيغة الوقف على المنشآت المذكورة آنفاً ، وعلى الوجه المبين اعلاه ، ونزع يده من ملكية المنشآت المذكورة وتسلمها بصفته متولياً عليها ونظمت هذه الحجة الشرعية ، وسجلت تحريراً في ٥ – ٣ – ١٩٦٤ .

القاضي حسن الشميساوي

المدارس الحديثـــة

ابتدأت فكرة فتح المدارس الحديثة وتلقي الدروس العصرية لاول مرة مع ابتداء القرن الرابع عشر الهجري ولا نعرف قبل هذا التأريخ مدارس مقيدة بنظام الصفوف ، والامتحانات والحصول على الشهادات التي تعين نوع التخصص ، وتحدد درجاته، وكل ما نعرف ان اغلب العلوم الرياضية ، والاجتماعية والفلسفية ، كانت مما يعنى بها الكثير من طلاب العلوم الدينية الى جانب عنايتهم بالعلوم الدينية ، ولكن الاقبال على ذلك وتلقيه كان اختيارياً ، ولم يكن له شأن كشأن العلوم الاخروية ، والعلوم الادبية ، حتى انبثق فجر القرن الرابع عشر الهجري فكانت أول مدرسة نظامية فتحت في النجف هي المدرسة الرشدية العثمانية .

المدرسة الرشدية العثمانية

هي مدرسة ابتدائية للعلوم العصرية في النجف وكانت تقع في البناية المتصلة بدائرة بريد النجف اليوم والتي كانت سرايا للحكومة في السابق ، وكانت تسمى باسم المدرسة الرشدية وقد تأسست في نحو سنة ١٣٠٠ هـ وكان الاقبال عليها محدوداً ، ومقتصراً على ابناء الذوات فقد كان الشائع بين

الناس ان جميع المنتسبين لها من الطلاب ستجندهم الحكومة ، وتستخدمهم ضباطاً ، وعلى رغم قدم هذه المدرسة فلم تكن تستطيع ان تقف الى جانب (المدرسة العلوية) التي تأسست بعدها بعدة سنين من حيث الدروس ، والاهمية ، اذ لم تزد صفوف المدرسة الرشدية على ستة صفوف ، وبقيت هذه المدرسة حتى قيام ثورة النجف في وجه الحكومة التركية في اثناء الحرب العظمى الاولى فنهبت رحلاتها وكتبها في ضمن ما نهب للحكومة التركية من اثاث ، واسباب ، واندثرت .

المدرسة العلوية

وفي خلال السنوات الاولى من الربع الاول للقرن الرابع عشر الهجري كان قد تسرب الوعي الجديد الى النجف ، والتفت المدركون الى ما يقتضيه العصر من وسائل جديدة لاعداد النشء اعداداً يضمن له حياة جديرة به كانسان وسرعان ما جالت فكرة فتح مدرسة عصرية لتدريس العلوم الحديثة واللغات الحية في صفوف تبدأ من الصف الاول الابتدائي الى نهاية الدراسة الاعدادية (الثانوية) على ان يجري التفكير بعد ذلك في الاستمرار لكي تكون هذه المدرسة كلية على قدر ما يتسع المجال وتساعد الظروف وكان من أهم العناصر التي فكرت بهذا :

الشيخ محمد تقي الخليلي نجل الحاج ميرزا حسين الخليلي والميرزا مهدي والميرزا أحمد الخراساني نجلا الملا كاظم الاخوند ، والسيد ابو القاسم الكاشاني الزعيم السياسي الايراني والسيد مهدي اللاهيجاني والشيخ محمد المحلاتي ، والشيخ اسحق الرشتي وغيرهم .

وقد حصل هؤلاء على فتوى من الحاج ميرزا حسين الخليلي ، والملا

كاظم الأخوند بانفاق الحقوق الشرعية على هذه المدرسة ، ففتحت المدرسة باسم (المدرسة العلوية) لاول مرة في البيت الواقع في منتهى سوق الحويش ، وتناول منهاج المدرسة جميع الدروس الحديثة من رياضيات ، واجتماعيات ، بالاضافة الى اللغة الفرنسية والانكليزية والتركية والفارسية والعربية .

واستعانت هذه المدرسة ببعض الشيوخ من طلاب الدين وكان من بينهم بعض من درسوا في السوربون وجاءوا الى النجف ليتخصصوا في الفقه ، ومنهم من اكمل دراسته في الهند وفي طهران وجاء الى النجف منتهجـا الطريق الروحاني ، وكان اول افتتاح هذه المدرسةسنة ١٣٢٥ هـ واستطاعت كما خططت لنفسها ان تكمل المرحلتين الدراسة الابتدائية والثانوية وقد تخرج منها عدد ذوو ملكات ومواهب ملحوظة ، ولكن وقوع الحرب العظمى الاولى وما اعقبها من حوادث قد شتت هيئتها المؤسسة ، ثم التحق مدرسوها باهليهم واغلقت صفوفها العليا ، ثم الصفوف الاخرى ، ولم يبق منها غير صفين اولين يديرهما بعض المعلمين الذين كانوا يتقاضون ثمن اتعابهم من اجور الطلاب ، ثم استعان هؤلاء بوزارة المعارف الايرانية ثم قامت بعد ذلك الحكومة الايرانية بكل نفقاتها واعتبرت مدرسة ايرانية رسمية ، وهي اليوم ابتدائية ومتوسطة . وعدد طلابها نحو ٨٠٠ طالب ، وتعتبر اقدم مدرسة عصرية تأسست في النجف ،

ويقول الاستاذ عبد الله الفياض : « وكانت المدرسة العلوية فضلاً عن مهمتها الثقافية بمثابة ناد ثقافي وسياسي اتخذ منه المشتغلون بالحركة الدستورية الايرانية مقراً لاعمالهم » (١) .

---

(١) الثورة العراقية الكبرى ص ٨٧ .

المدرسة المرتضوية

اسسها الميرزا عبد الرحيم (بلبله بادكوبه) وكان الميرزا عبد الرحيم على ما قيل من جملة الاعضاء المؤسسين للمدرسة (العلوية) ثم اختلف مع الاعضاء واسس لنفسه مدرسة باسم المدرسة (المرتضويه) واتخذ الدار المسماة بدار آل الفاضلي في محلة المشراق محلاً للمدرسة وقد انضم اليــه بعض الشخصيات التركية اشهرهم كان الشيخ ابو القاسم الماقمقاني من العلماء وكان ذلك في نحو سنة ١٣٢٧ هـ وقد استطاع هو الآخر ان يحصل على فتاوى العلماء بوجوب مساعدة هذه المدرسة . ولكن هذه المدرسة لم تستطع اللحاق بالمدرسة العلوية لعدم توفر المدرسين الاكفاء لها وحين وقعت الحرب العظمى كان الميرزا عبد الرحيم يجوب الهند في الحث على مساعدة المدرسة والمكتبة التي اقامها بجنب المدرسة فحجز هناك باعتباره قفقاسياً ومن رعايا الروس وأغلقت المدرسة ، وكانت روسيا ترعى المدرسة المرتضوية وكان القنصل الروسي في النجف وهو ابو القاسم الشيرواني يتفقد هذه المدرسة ويطلب لها من الحكومة العثمانية امتيازات خاصة .

مدرسة الغري الأهلية

لم تكن في النجف من المدارس الحديثة غير مدرسة ابتدائية واحدة باسم المدرسة الاميرية ، وغير بقية مدرسة لم يبق منها غير الاسم وهي المدرسة (العلوية) ذات الصيت الكبير في سنيّها الاولى نقول لم تكن هناك مدارس عندما فكر البعض في تأسيس مدرسة ليلية لمكافحة الامية ثم تأسيس مدرسة نهارية للصغار ، فقد تألف جمع من الفضلاء والتجار واسسوا مدرسة باسم مدرسة (الغري) ثم ما لبثوا ان اتخذوا من القلعة التركية الواقعة الى اليمين من

الداخل من باب النجف الكبيرة وعند بداية محلة المشراق محلاً لها وقد تأسست هذه المدرسة في سنة ١٣٤٠هـ واخذت مكانة مرموقة بين المدارس الابتدائية ، واسدت الى الاميين من الكبار في تدريساتها الليلية افضالاً كبيرة ، وبعدسنين عجزت الهيئة الادارية عن مواصلة العمل في هذه المدرسة فطلبت الحاقها بوزارة المعارف فألحقت بها واصبحت ضمن المدارس الابتدائية الرسمية ، وهي اليوم مدرسة ابتدائية ليلية ولها فضل السبق في مكافحة الامية في مدينة النجف .

مدارس منتدى النشر

وهذه اول جمعية دينية فكرت في تطوير الدراسة الدينية ، وادخال نظام الصفوف والامتحانات في دراسة النجف ، وهي (جمعية منتدى النشر) التي اسسها رهط من شيوخ الدين وفضلاء النجف لغرض الاخذ بالعلوم الحديثة إلزامياً الى جانب الاخذ بالعلوم الدينية ، وجمعية منتدى النشر كانت ابعد غاية واوسع غرضاً من التعليم كما تدل عليها انظمتها والاغراض العلمية والثقافية التي انشئت لاجل تحقيقها ، ولكنها اعطت جانب الدراسة اهمية كبيرة بعد ذلك وعنيت بها عناية جد فائقة ، وحاولت أن تقوم بمشروع خطير ربما كان هو الاول من نوعه في تأريخ العراق ، وهو فتح صفوف لتدريس خطباء المنابر ، واعدادهم اعداداً منهجياً صالحاً ، وقد شرعت فعلاً بفتح صف لهذا الفن وبوشر بالتدريس ثم جوبهت بموجة من المعارضة الشديدة من قبل الخطباء الذين كانوا يأبون الخضوع لمثل هذه القيود حتى استحالت تلك المعارضة الى مظاهرات واحتجاجات ما لبثت ان عصفت

بالفكرة واغلق هذا الصف (١).

وبقي (المنتدى) يمشي في سائر الدروس وئيداً نحو عشر سنوات حتى استطاع ان يضع أول حجر في هذا الصرح الذي يعود له الفضل الاكبر في تطوير الدراسة وجعل العلوم الدينية تمشي جنباً الى جنب مع العلوم العصرية وقد قطع اليوم المنتدى اشواطاً كبيرة في جميع مراحل الدراسةالابتدائية، والثانوية، والجامعية، واصبحت له بنايات حديثة مستقلة وحظي من جانب المراجع الدينية بالتأييد الكامل وقد اصبح عدد طلابه في جميع مراحل الدراسة في زيادة مستمرة.

اما الناهض الاكبر بهذه المشاريع التي آتت اكلها اليوم فهو الشيخ محمد رضا المظفر وقد كان من العلماء المجاهدين ويعتبر مثالاً للتضحية والجهاد.

مدرسة المنتدى الابتدائية

وهي ابتدائية كاملة تأسست في سنة ١٩٤٩ وعدد طلابها يتجاوز الثلاثمائة طالب وتحمل اسم (مدرسة منتدى النشر الابتدائية الاهلية) وهي تعنى بالدروس الحديثة،واللغة العربية، الى جانب الثقافة الدينية على مستوى المدارس الابتدائية وتحل هذه المدرسة احدى الدور الواسعة بالايجار.

مدرسة المنتدى الثانوية

وهي ثانوية كاملة الصفوف تأسست سنة ١٩٦١ م وتضم نحو ٢٥٠ طالباً

(١) كتاب (هكذا عرفتهم) جعفر الخليلي ج ٢ (كيف عرفت الشيخ محمد رضا المظفر) مخطوط.

وتحمل اسم (ثانوية منتدى النشر الاهلية المسائية) وتعنى بالاضافة الى المنهج المقرر للمدارس للثانوية الرسمية بدراسة شيء من الفقه والعقائد الاسلامية والمنطق . وقد انشئت لها بناية خاصة جديدة مجهزة بالمختبرات وكل المقتضيات اللازمة للمدارس الحديثة .

كلية الفقــه

وهي كلية تمنح خريجيها شهادة (البكالوريوس) في اللغة العربية وعلوم الشريعة ، وقد أجيز فتحها من وزارة التربية بتأريخ ٣٠ - ١١ - ١٩٥٨ وفي تأريخ ٢٩ - ١٢ - ٩٦٢ اعتبرت جامعة بغداد شهادتها شهادة جامعية اولية ، وفي ٩ - ٧ - ٩٦٣ صادق مجلس الوزراء على قرار الجامعة ، وقرر تعيين خريجيها بالدرجة التي يعين بها خريجو كليات جامعة بغداد وتضم الآن اكثر من ٢٠٠ طالب مقسمين على خمس شعب ، ويقوم بمهمة التدريس فيها عدد من العلماء والاساتذة بالاضافة الى ثمانية محاضرين ، ستة منهم بدرجة (دكتوراه) .



أحد صفوف كلية الفقه في أثناء الامتحان

وفي جامعة بغداد اليوم عشرة طلاب من خريجي كلية الفقه لـــدراســـة (الماجستير) كمـــا تضم

جامعة القاهرة عدداً آخر من خريجي هذه الكلية لنيل الماستر والتخصص .

وتشغل كلية (الفقه) اليوم احدى بنايات جمعية منتدى النشر . وقد حصلت الجمعية على مساحات واسعة من الارض في طريق الكوفة لتشييد عليها الجامعة ، وبذلك سيستغني منتدى النشر عن ايفاد طلابه في المستقبل



بعض أساتذة كلية الفقه والطلاب ، ويرى بينهم المؤسس الحجة (المظفر)
وفياض ، والايرواني ، والحكيم ، وبحر العلوم

للتخصص ، ويكون لجمعية منتدى النشر الفضل في تأسيس اول جامعة في النجف وتصدر جمعية المنتدى مجلة باسم مجلة النجف ، ويصدر طلابها مجلة اخرى خاصة بهم .

مدرسة جمعية التحرير الثقافي

لقد شعر جمع من الافاضل ان النجف لا تستطيع ان تستغني بمدرسة

واحدة او اثنتين من المدارس التي تجمع بين العلوم الدينية والثقافة العربية ، والعلوم العصرية الحديثة ، ورأوا من الحزم ان يعنوا بهذه الناحية ضمن ما يعنون به من خدمات ثقافية ادبية عامة ، فتقدموا بطلب اذن بتأسيس جمعية باسم (جمعية التحرير الثقافي) وفي سنة ١٩٤٥ حصل هؤلاء المؤسسون على الاذن بتأسيس هذه الجمعية ، وفي سنة ١٩٤٦ اي بعد تأسيس الجمعية بسنة واحدة فتحت اول مدرسة ابتدائية لهذا الغرض ، ثم استطاعت الجمعية ان تحصل على قطعة ارض ما لبثت ان شيدت عليها جانباً خصته بادارة شؤون الجمعية ، وجانباً اتخذت منه مدرسةجهزت باحدث الاثاث واللوازم المدرسية . ووسائل الايضاح ، وهي اليوم تضم ستة صفوف ، وعدد طلابها نحو ٣٠٠ طالب وهم في ازدياد سنة بعد اخرى .

وقد كانت للجمعية مجلة باسم (النشاط الثقافي) كانت وسيلة تبشير نشطة للاغراض الثقافية وخدمة الشعر والادب وقد نالت هذه المدرسة والمجلة عطف الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء وتأييده مدة حياته .

صورة تاريخية للاحتفال بتدشين مدرسة جمعية التحرير الثقافي ويرى الإمام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء مستنداً الى الجدار وبجنبه الشيخ محمد جواد الجزائري ، وسيد العراقين ، والشيخ حبيب العاملي والسيد محمد الرفيعي ويرى بين الواقفين الأستاذ محمد صالح الجعفري ، وفي مقدمة الجالسين يرى الشيخ عبد الغني الخضري معتمد الجمعية



المدرسة الأميرية والمدارس الرسمية

وفي ايام الاحتلال البريطاني للعراق كانت اول مدرسة فتحت هي المدرسة الابتدائية الاميرية التي فتحتها نظارة المعارف يومذاك وكان مكانها خارج السور وفي احد الخانات من الشارع المتصل بالباب المسماة (بباب الولاية الكبيرة) وكان ذلك في نحو سنة ١٣٣٥ هـ وحين قامت ثورة العراق الكبرى اغلقت المدرسة وعادت بعد الثورة فاتخذت محل المدرسة (العلوية) الاول في منتهى سوق الحويش باسم المدرسة الابتدائية الاميرية ، ثم توسعت حركة المدارس الاميرية ، وكلما ضاقت مدرسة بالطلاب فتحت مدرسة جديدة في مختلف المحلات واصبحت تسمى باسماء مختلفة تمييزاً لها .

وتعتبر (المدرسة الثانوية) اول مدرسة ثانوية فتحت في العراق بعد بغداد والموصل والبصرة ، ولم تكن لهذه المدارس ابنية خاصة ، فكانت تستأجر البيوت الصالحة نسبياً لاتخاذها مدارس وحين وضعت وزارة المعارف تخطيطاً لبناء المدارس العراقية شرعت تبني في النجف بنايات خاصة لكل مدرسة من هذه المدارس ، وتضم النجف اليوم وحتى هذا التأريخ من المدارس الاعدادية ما يلي :

١ ـ اعدادية النجف للبنين ، وعدد طلابها يزيد على ٨٠٠ طالب (محلة

الجديدة) .

٢ ـ ثانوية النجف للبنات ، وعدد طالباتها يقارب ٥٠٠ طالبة (محلة الجديدة) .

٣ ـ ثانوية نقابة المعلمين المسائية . (الجديدة)

اما المدارس المتوسطة فهي :

١ ـ متوسطة الخورنق ، وتضم نحو ٨٠٠ طالب (البراق) .

٢ ـ متوسطة السدير ، وطلابها اكثر من ٣٥٥ طالباً (الجديدة) .

٣ ـ متوسطة الجمهورية ، وتضم نحو ٤٠٠ طالب (الجمهورية) .

٤ ـ متوسطة الاحرار ، وطلابها اكثر من ٤٠٠ طالب (الجمهورية) .

٥ ـ متوسطة الكندي ، وطلابها اكثر من ٢٠٠ طالب (حي السعد) .

٦ ـ مدرسة صناعة النجف ، ويزيد طلابها على ١٥٠ طالباً (الجديدة) .

٧ متوسطة النجف للبنات ، وعدد طالباتها اكثر من ٥٠٠ طالبة (محلة الجديدة) .

٨ ـ متوسطة حي الامير للبنات ، وعدد طالباتها اكثر من ٧٠ طالبة (حي السعد) .

٩ ـ متوسطة نقابة المعلمين المسائية ، (البراق) .

المدارس الابتدائية الرسمية للبنين

١ ـ مدرسة الغفاري الابتدائية ، الجديدة

٢ ـ مدرسة التهذيب الابتدائية ، الجديدة.

٣ ـ مدرسة الامير الابتدائية ، الجديدة .

٤ — مدرسة الطالبية الابتدائية ، المشراق .

٥ — مدرسة الرسول الابتدائية ، الميدان .

٦ — مدرسة المعرفة الابتدائية ، (الميدان)

٧ — مدرسة النعمان الابتدائية ، (الميدان)

٨ — مدرسة الصادق الابتدائية ، (المشراق)

٩ — مدرسة فلسطين الابتدائية ، الجمهورية .

١٠ — مدرسة الحيدرية الابتدائية ، الجديدة .

١١ — مدرسة الاستقلال الابتدائية ، الجديدة .

١٢ — مدرسة الفتوة الابتدائية ، الجديدة .

١٣ — مدرسة النضال الابتدائية ، الجديدة .

١٤ — مدرسة المستنصرية الابتدائية ، الجديدة .

١٥ — مدرسة الثورة الابتدائية ، حي السعد

١٦ — مدرسة الاسكان الابتدائية ، حي السعد .

١٧ — مدرسة الوثبة الابتدائية ، الجديدة .

١٨ — مدرسة الشعب الابتدائية ، الشوافع .

١٩ — مدرسة البحر الابتدائية ، البحر

٢٠ — مدرسة التوحيد المسائية الابتدائية ، المشراق

٢١ — مدرسة التضامن المسائية الابتدائية ، الجديدة .

٢٢ — مدرسة الكرامة المسائية الابتدائية ، الجمهورية .

٢٣ — مدرسة النبراس المسائية الابتدائية ، الجديدة .

٢٤ — مدرسة الرشيد الابتدائية ، (الجمهورية) .

٢٥ ـ مدرسة وادي السلام الابتدائية ، العمارة .

٢٦ ـ مدرسة الوحدة الابتدائية ، حي السعد .

٢٧ ـ مدرسة التقدم الابتدائية ، الجديدة .

٢٨ ـ مدرسة المحمدية الابتدائية ، الحويش

٢٩ ـ مدرسة الاماني الابتدائية ، الحويش .

٣٠ ـ مدرسة القادسية الابتدائية ، الجمهورية .

٣١ ـ مدرسة الجنائن الابتدائية ، العمارة .

٣٢ ـ مدرسة الغدير الابتدائية ، المشراق .

٣٣ ـ مدرسة الجهاد الابتدائية ، الجديدة .

٣٤ ـ مدرسة القاسم الابتدائية ، الحويش .

٣٥ ـ مدرسة جنين الابتدائية ، الجمهورية .

أسماء مدارس البنات الابتدائية في النجف

١ ـ مدرسة العصمة الابتدائية ، المشراق .

٢ ـ مدرسة الجزائر الابتدائية ، العمارة .

٣ ـ مدرسة سكينة الابتدائية ، العمارة .

٤ ـ مدرسة السعادة الابتدائية ، الحويش .

٥ ـ مدرسة الحرية الابتدائية ، الحويش .

٦ ـ مدرسة النهضة الابتدائية ، الجمهورية .

٧ ـ مدرسة الفضيلة الابتدائية ، حي السعد .

٨ ـ مدرسة الوطن الابتدائية ، الجديدة .

٩ ـ مدرسة الرسالة الابتدائية ، الجديدة .

١٠ ـ مدرسة أم الشهيد الابتدآئية ، ـ حي السعد ـ الحنانة .

١١ ـ مدرسة الفراقد الابتدائية ، حي السعد ـ الاسكان .

١٢ ـ مدرسة العرفان الابتدائية ، الجديدة .

١٣ ـ مدرسة القدوة المسائية الابتدائية ، المشراق .

١٤ ـ مدرسة المكاسب المسائية الابتدائية ، الجديدة .

١٥ ـ مدرسة الكمال الابتدائية ، الحويش .

١٦ ـ مدرسة الخنساء الابتدائية ، المشراق .

١٧ ـ مدرسة الزهراء الابتدائية ، الجديدة .

١٨ ـ مدرسة الحوراء الابتدائية ، الجديدة .

١٩ ـ مدرسة الرباب الابتدائية ، الجديدة .

٢٠ ـ مدرسة العفة الابتدائية ، الجمهورية .

٢١ ـ مدرسة الرياض الابتدائية ، الجديدة .

٢٢ ـ روضة اطفال النجف (مختلطة من البنين والبنات) ، الجديدة .

عدد طلاب المدارس الدينية والمدارس المدلية

كان عدد طلاب المدارس الدينية في مد وجزر طوال الالف سنة السابقة تبعاً للحوادث والاحوال السياسية وغير السياسية ، فقد كان عدد طلاب العلوم الدينية قبل الحرب العظمى الاولى وفي ايام الملا محمد كاظم الاخوند لا يقل عن ١٠ آلاف طالب ، بينما هبط هذا العدد في ايام الحرب الى اقل من الفي طالب على ما يقدر المطلعون ، اما اليوم فيقدر اولو الخبرة

من الواقفين على ميزانية الانفاق في النجف بأن عدد طلاب العلوم الدينية لا يقل عن ٥ آلاف طالب .

اما طلاب المدارس المدنية في مدينة النجف فهم نحو ٢٦ الف طالب الى حد كتابة هذه السطور وفي ضمنهم طلاب الابتدائية والمتوسطة والثانوية من البنين والبنات ، وهذا الاحصاء مستخلص من مستوصف المعارف في النجف وعلى اساس تلقيح الطلاب وقد اعتمدناه توخياً لصحة الاحصاء .

اهم المصادر التي اعتمدها الكاتب

١ ـ رحلة ابن بطوطة

٢ ـ الاحلام للشيخ علي الشرقي

٣ ـ حديث الجامعة النجفية محمد رضا شمس الدين

٤ ـ عنوان الشرف للشيخ محمد السماوي

٥ ـ ماضي النجف وحاضرها

٦ ـ الحصون المنيعة للشيخ علي آل كاشف الغطاء (مخطوط)

٧ ـ هكذا عرفتهم لجعفر الخليلي

٨ ـ جريدة الهاتف لجعفر الخليلي

٩ ـ محكمة شرعية النجف

١٠ ـ طبابة مدارس النجف

١١ ـ دراسة وتتبعات خاصة .

١٢ ـ مجلة الاعتدال

١٣ ـ مجلة العلم للسيد هبة الدين الحسيني

١٤ ــ مجلة النشاط الثقافي

١٥ ــ جريدة الراعي

١٦ ــ تنقيح المقال في احوال الرجال

١٧ ــ مجلة لغة العرب

مكتبات النجف القديمة والحديثة

كتبـــه

جعفــر الخليـــلي


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خزائن الكتب القديمة والمكتبات التاريخية

علاقة الثقافة بالكتاب والمكتبات كعلاقة الزراعة بالارض والماء فكما ان الزرع لا يكون الا حيث تكون الارض ويكون الماء فان الثقافة والحضارة لا تكونان الا حيث يكون الكتاب وتكون المكتبة ، وتاريخ المكتبة وخزائن الكتب يرافق تاريخ الكتابة على وجه التقريب ، والكتاب كان ولم يزل الوسيلة الكبرى لنشر الثقافة وتيسير حياة الانسان وتهذيبه ، وصقل افكاره ، واعداده للحياة اعداداً يكفل له استغلال ثمرات الطبيعة ، وكنوزها لمنفعته ومنفعة المجموع العام من المخلوقات ، فهو خلاصة تجاريبه ، وتاريخ حياته ، وقانون عيشه ، وسلوكه في دنياه ، وقد فهم الانسان قيمة الكتاب في حياته منذ ان اكتشف الكتابة وسخرها لاغراضه ، وصار يعنى بالكتب وجمعها وادخارها ، وتكوين الخزائن الخاصة بها على قدر ما تستدعيه ثقافته المكتسبة في كل عصر من عصوره .

وقد كشف المنقبون وعلماء الآثار عن عدد جد كبير من هذه الخزائن ، يرجع تاريخها الى ازمان بعيدة تجاوزت اربعة آلاف سنة !! حينما كانت هذه الكتب تكتب بالحفر على الطين غير المطبوخ او الاجر المطبوخ ، فكان كل كتاب عبارة عن لوح او اكثر من الالواح المكتوبة ، ثم بدأت تكتب

على البردي ، وكانت هذه الخزائن او المكتبات معروفة ، وموضع عناية خاصة من الملوك .

وفيما ترك القدماء وعلى الاخص سكان العراق الاقدمين ، وما ترك الفرس ، والمصريون ، والاغريق ، والرومان ، والهنود ، والصينيون نعرف مبلغ ما حظيت به المكتبات من الاهتمام ، وقد دل التاريخ على ان عناية السومريين والبابليين والآشوريين بصورة خاصة قد سبقت اية عناية اخرى في التاريخ القديم بالمكتبات ، فالمعروف عن الاشوريين انهم كانوا كثيري الاهتمام بتعلم القراءة والكتابة على الاجر ، وكان ملوكهم يعنون عناية خاصة بتعليم اولادهم القراءة والكتابة على الآجر .

يقول الدكتور جيمس هنري بريستد : ان (آشوربانيبال) حفيد سنحاريب وآخر ملوك الاشوريين كان يباهي بأن اباه الملك لم يقتصر في تهذيبه وتعليمه

منظر عام للتنقيبات التي أجريت بتل حرمل وعثر فيها على أكبر خزانة للكتب يرجع تاريخها الى ابتداء الألف الثاني قبل الميلاد



وهو صغير على استخدام وسائل الحرب وانما علمه الكتابة على الاجر وخرّجه في علوم زمانه .

وقد وجد الأثريون في مكتبة (اشور بانيبال) في نينوى اثنين وعشرين الف آجرة بقيت مطروحة على ارض المكتبة مدة الفين وخمسماية سنة . حتى نقلت الى المتحف البريطاني حيث لا تزال محفوظة ، وهي في مواضيع مختلفة ما بين دينية ، وعلمية ، وادبية ، جمعت ونسقت بأمر الامبراطور وهي اول مكتبة منظمة وجدت في آسيا فيما نعلم (١) .

وبين عامي ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ عثرت التنقيبات الاثرية العراقية في سهل (شهرزور) على مجموعة من ألواح الطين المنقوشة بالخط المسماري باللغتين البابلية والسومرية يرجع تاريخها الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد ، وقد اسفرت الدراسة عن ان هذه الالواح من اهم اصناف النصوص الكتابية في العراق القديم .

يقول الدكتور طه باقر « والعادة ان مثل هذه الاصناف المهمة من النصوص لا يعثر عليها في الغالب الا في خزانات الكتب » (٢) .

وأجرت مديرية الآثار العراقية تنقيبات واسعة لعدة مواسم منذ سنة ١٩٤٥ في (تل حرمل) الواقع فيما يسمى (بتل محمد) اليوم بالقرب من بغداد ، فظهر ان اسمها (شاذويه) ومعناها (خزانة الكتب) . وان هذا الموقع بمثابة (اكاديمية) او جامعة تحتوي على عدة آلاف من الواح الطين

---

(١) المصور القديمة - ترجمة داود قربان ص ١٢٢ .
(٢) مقدمة الجزء الأول والثاني ج ١٧ من مجلة سومر .

التي تعد في عداد الكتب ، وهي في مختلف اصناف العلوم والمعرفة ، وان من بين هذه الالواح ما يحتوي على اصول شريعة سبقت شريعة حمورابي الشهيرة بنحو قرنين من الزمان (١) وهذا وغيره مما يدل على ان تاريخ المكتبات قديم ، وان نصيب العراق القديم منها كان نصيباً كبيراً جداً .

وقد اورد كوركيس عواد في كتابه (خزائن الكتب القديمة في العراق) اوسع دراسة عن المكتبات العراقية فيما قبل الميلاد وبعده وفيما قبل الاسلام وبعده ، حتى العصور الاخيرة كان منها دراسة عن خزانة (نفّر) التي احتوت على آلاف من الالواح في مختلف العلوم الرياضية ، والطب ، والفلك ، والتاريخ ، وخزانة (دريهم) بالقرب من (نفر) وخزانة مدينة ادب الواقعة هي الاخرى بالقرب من نفر والتي تم الكشف عليها في غرفة واسعة تكدست في ارضها الالواح ، وخزانة (سپار) وقد قيل ان عدد الالواح الطينية المكتوبة التي عثروا عليها في سپار والتي تعتبر بمثابة الكتب كان يتراوح بين ٤٠,٠٠٠ ـ و ٥٠,٠٠٠ لوحة ، وخزانة (الجمجمة) بالقرب من مدينة الحلة ، وخزانة (كيش) الواقعة بالقرب من الحلة ايضاً ، وخزانة (تلو) الواقعة في الضفة الشرقية من شط الحي والتي يرجع تاريخها الى ٤٥٠٠ سنة وقد وجدوا فيها ما لا يقل عن ٣٥ الف لوح من الكتب ، وخزانة (الوركاء) في جنوبي العراق ، وخزانة (نوزي) بالقرب من كركوك ، وخزانة (المدائن) عاصمة الفرس الساسانيين في العراق (٢) .

وحين غزا الاسكندر بلاد ايران عثر على خزائن من الكتب في (اصطخر)

---

(١) المصدر السابق .
(٢) خزائن الكتب القديمة في العراق من ص ٤٤ الى ٧٤ .

العاصمة فاستنسخها واحرقها ، ومع ذلك فقد عثر في اوائل القرن الرابع للهجرة على مخابيء غاصة بالكتب الفارسية باللغة الفهلوية القديمة (١) .



رقيم طين يتضمن قوانين، تسبق شريعة حورابي بقرنين وقد اكتشف في تل حرمل وهو جانب من كتاب من كتب تلك العصور

وقد بلغ من العناية بالكتب والمكتبات ان كان يخصها اصحابها باهتمام كبير للمحافظة عليها من الرطوبة والارضة ، او اية حالة من حالات التلف ، وقـد روى ابن النديم في الفهرست : « قال ابو معشر في كتاب اختلاف الزيجات ، ان ملوك الفرس بلغ من عنايتهم بصيانة العلوم وحرصهم على بقائها على وجه الدهر ، واشفاقهم عليها من احداث الجو ، وآفات الارض ان اختاروا لها من المكاتب اصبرها على الاحداث ، وابقاها على الدهر ، وابعدها من التعفن والدروس لحـاء شجر الخدنك ، ولحاؤه يسمى التوز ، وبهم اقتدى اهل الهند والصين ومن يليهم من الامم في ذلك ، فلما حصلوا لمستودع علومهم اجود ما وجدوه في العالم من المكاتب ، طلبوا لها من بقاع الارض اصلحها تربة ، واقلها عفونة ، فكانت اصفهان ، ولما كان قبل زماننا هذا بسنين كثيرة تهدمت من هذه المصنعة ناحية فظهروا فيها على أزج معقود من طين الشفيق ، فوجدوا فيه كتباً كثيرة من كتب الاوائل مكتوبة كلها في لحاء التوز مودعة اصناف علوم الاوائل بالكتابة

---

(١) من محاضرة لجعفر الخليلي ألقاها بجامعة طهران عن الشعر العربي والشعر الفارسي (مخطوطة).

الفارسية القديمة»(١) .

وقال ابن النديم «اخبرني الثقة انه انهار في سنة ٣٥٠ هجرية أزج آخر لم يعرف مكانه لانه قدر في سطحه انه مصمت الى ان انهار وانكشف عن هذه الكتب الكثيرة »(٢) وقال ابن النديم انه رأى هو نفسه ان ابا الفضل ابن العميد قد انفذ في سنة نيف واربعين كتباً منقطعة اصيبت باصفهان في سور المدينة في صناديق وكانت باليونانية .

وكان كسرى انو شروان قد اسس (بجند يسابور) – وهي المدينة التي بناها سابور مدرسة للطب – مكتبة حفلت بعدد كبير من الكتب باللغات اليونانية، والفارسية، والسريانية .

جاء في الجزء الاول من (ضحى الاسلام) منقولاً عن طيفور «قال يحيى بن الحسن اني (بالرقة) بين يدي محمد بن طاهر بن الحسين على بركة اذ دعوت بغلام له فكلمته بالفارسية فدخل العتابي – وكان حاضراً في كلامنا – فتكلم معي بالفارسية فقلت له : ابا عمرو ، ما لك وهذه الرطانة ؟ قال فقال لي : قدمت بلدتكم هذه ثلاث قدمات ، وكتبت كتب العجم التي في الخزانة (بمرو) وكانت الكتب سقطت الى ما هنالك مع (يزدجرد) فهي قائمة الى الساعة »(٣) .

وكانت للكتب منزلة سامية في اليونان فكان في مكاتب اهل الادب (بأثينه) مؤلفات هوميروس وسائر مشاهير الشعراء القدماء مخطوطة على

(١) الفهرست ص ٣٣٤ .
(٢) الفهرست ص ٣٣٦ .
(٣) الجزء السادس من تاريخ بغداد ص ١٥٧ – ١٥٨ .

دروج مستطيلة من ورق البردي يبلغ طول الواحد منها مائة وخمسين او مائة وستين قدماً ، فكان الاثيني المتعلم ، يجلس امام الدرج ويطالع كما كان يفعل المصري قبله بزمن طويل وفضلاً عن الكتب التي كانت تحفظ في المكاتب اخذ الكتاب ينشرون كتباً اخرى (١) وتعتبر المكتبة اليونانية من اقدم مكتبات العالم القديم اذ يرجع تاريخها الى القرن السادس قبل الميلاد (٢) .

خارطة منقولة عن رقيم طيني تصور خريطة العالم ويرجع هذا الكتاب الى القرن السادس ق.م

ويقول بروكلمن « ان الجزيرة والعراق كانا منذ ايام الاسكندر متأثرين بالحضارة اليونانية وكان في الاديار السريانية كثير من الكتب المترجمة لا في الآداب النصرانية وحدها بل كان من ذلك ايضاً تراجم لمؤلفات ارسطو ، وجالينوس ، وبقراط ، اذ كان هؤلاء محور الدائرة العلمية في ذلك العصر » (٣).

وهنالك عدد غير قليل من المكتبات القديمة في مختلف هذه الجهات مما يشير اليها المؤرخون كمكتبة القسطنطينية التي انشئت سنة ٣٣٦ ميلادية وغيرها وكانت مكتبة الاسكندرية من اشهر المكتبات الوارد ذكرها في

(١) العصور القديمة لجيمس هنري بريستد — ترجمة داود قربان ص ٢٦٦ .
(٢) دائرة المعارف البريطانية مادة Libraries (أخرجه أحمد أمين في ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦٠) .
(٣) نامه آستانه قدس — بالفارسية — العدد ٢٢ ، ٢٣ السنة الرابعة .

التاريخ وقد اسسها الملك بطليموس سوتير ، وجلب لها من نفائس الكتب وذخائر القرائح الشيء الكثير ، ويقول المؤرخان (لوجيل) و (اميان مارسيليان) انه كان بمكتبة الاسكندرية سبعماية الف مجلدة في العلوم المختلفة وقد احترقت هذه المكتبة عند هجوم قيصر الرومان عليهـا ثم تجدد تأسيسها ، ثم تلاشت مرة أخرى في نحو السنة (٢٩٠) ق.م ثم اعيدت مرة اخرى في اوائل القرن السادس الميلادي (١) وعند الفتوح الاسلامية وقع المتتبعون والباحثون عن الكتب على طائفة من الكتب اليونانية ، والسريانيّة ، والفارسية ، دلت على وجود عدد من المكتبات العامرة ، وكان للسريان فيما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم السريانية ، واليونانية ، اشهرها مدرسة الرها ، وقنسرين ، ونصيبين . وكانت هذه المدارس تتبعها مكتبات (٢) وكانت الديارات المسيحية في العراق خاصة مشحونة بالكتب في مختلف العلوم ، فقد كان لكل دير من الديارات المشهورة مكتبة عامرة وهذا ما كانت تقضي به انظمة الديارات ، ومن اشهر خزائن الكتب في هذه الديارات خزانة (دير متّى) ، وكان لدير متّى هذا الواقع بالقرب من الموصل خزانة حافلة بالكتب ازدادت اهميتها في المائة السابعة للميلاد ، وخزانة دير ميخائيل الواقع في اعلى الموصل ، وخزانة (دير مار بهنام) ، وقد اسست هذه الاديرة في القرن الرابع الميلادي ، وهنالك خزانة دير (الربان هرمزد) الذي اسسه هرمزد الراهب الفارسي النسطوري في المائة السابعة للميلاد وقد اجتمع في خزانة هذا الدير شيء كثير من المصنفات الموضوعة باللغة الآرامية وغيرها من خزائن الكتب الملحقة بالديارات (٣) .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين — محمد فريد وجدي مادة (اسك) .
(٢) ضحى الإسلام ج ٢ ص ٥٩ .
(٣) خزائن الكتب القديمة لكوركيس عواد من ص ٧٧ الى ١٠٠

وان الكثير من هذه المكتبات القديمة الّتي استعرضناها هنا قد صارت بعد الفتوحات الاسلامية نواة للمكتبات الاسلامية حتّى اذا مر قرنان او اكثر قليلاً كانت المكتبات الاسلامية افخم ، واكبر ، واوسع ، من اية مكتبات اخرى في عصرها ، وعن طريق المكتبات الاسلامية انبعثت حركة قيام المكتبات بصورة واسعة في جميع الاقطار ، وكان للمكتبة الاسلامية شأن كبير في فتح باب الثقافة لاول مرة في وجه العالم .

المكتبات الاسلامية القديمة في العراق

وحين ابتدأت الفتوح الاسلامية وتوغل الاسلام في العراق وبلاد الشام ، واقبل سكان البلدان المفتوحة يدخلون في الاسلام ، ويقبلون على تفهم التعاليم الاسلامية ، وتتبع نصوص الايات القرانية ، اشتدت الحاجة الى معرفة اللغة العربية ، وقواعدها ، والتعمق في التفسير ، وضبط الكلمات ولهجتها ، بسبب ابتعاد العرب عن الجزيرة وبسبب هذا الاختلاط الحاصل بين العرب وبين الشعوب الداخلة في الاسلام ، وزادت حاجة الاعاجم الى التمعن في اللغة العربية . وآدابها ، كلما اتسعت رقعة الاسلام ، وتغلغلت التعاليم الاسلامية في الاوساط ، لعلاقة هذا الادب بنصوص الشريعة وتعاليمها ، ولعل الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي لا يمكن الاحاطة به ومعرفة اتجاهاته ومراسيمه عن غير طريق الادب .

وكان المسلمون عند فتحهم العراق قد اتخذوا من موقع البصرة والكوفة مقراً لهم ، فابتدأت حركة مدارسة اللغة ، والادب ، والشعر ، والتفسير ، وتدوين اللغة العربية ، وضبطها في هذين البلدين ، وقد كان لنزول الامام علي (ع) مدينة الكوفة شأن كبير في انعاش الحركة الادبية في الكوفة ، والبصرة ، بالنظر لتفرده بين الخلفاء الراشدين ، وائمة الآداب العربية ،

بزعامة الادب وما عرف به من الملكات ، كملكة الخطابة ، وملكة الشعر ، وملكة الانشاء ، والفقه ، واستنباط الاحكام ، وراحت البصرة والكوفة تتلقفان من عرب البادية الكلمات ، وتعنى بضبطها ، وتدوينها ، وقد حدث بين هاتين المدينتين من التنافس في المدارسة ، والتتبع ، ما ادى الى الاختلاف في كثير من القواعد العربية ، وكان ابو الاسود الدؤلي قد وضع حينذاك قواعد علم النحو فزاد الاختلاف بين البلدين في تطبيق هذه القواعد ، وادى الى اتجاهين معاكسين في طرق دراسة الادب والتفسير ، مما استوعب اسفاراً كثيرة في مباني الكلم ، ومفردات اللغة ، وقواعد النحو ، وذكر ابن النديم في الفهرست ما شاهده بعينه في عرض كلامه في خزانة كتب اطلعه عليها احد جماعي الكتب فكان في جملة ما فيها قمطر كبير فيه نحو ٣٠٠ رطل جلود فلجان ، وصكاك ، وقرطاس مصري ، وورق صيني ، وورق تهامي ، وجلود ادم ، وورق خراساني ، وبينها اربع اوراق قال : « احسبها من ورق الصين ترجمتها : هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من ابي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيي بن يعمر ، وتحت هذا الخط بخط عتيق : هذا خط علان النحوي وتحته : هذا خط النضر بن شميل ، ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر »(١)

فالذين نقلوا اللغة وأساليبها عن القبائل واثبتوها في الكتب ، وصيروها علماً ؛ هم اهل البصرة والكوفة(٢) وكان أكثر المشتغلين في جمع اللغة وآدابها ، هم العجم لحاجتهم الى ذلك اكثر من العرب .

أما اقدم الذين عنوا بجمع مفردات اللغة والادب ، واشهر العلماء

(١) الفهرست ص ٦١ .
(٢) المزهر ج ١ ص ١٠٥ (أخرجه جرجي زيدان) .

القراء وائمة الادب فقد كان عمرو بن العلاء التميمي في الكوفة ، وتعتبر مكتبته اول مكتبة اسلامية عربية في الكوفة ، وقد توفي في منتصف القرن الثاني للهجرة ، وقد درس عليه عدد من اشهر ائمة الادب واللغة ، اما مكتبته فقد روى المؤرخون عنها انها كانت تملأ بيته الى قرب السقف ومع ذلك فقد قال هو :

« ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير »(١) .

واشتهرت البصرة والكوفة بما اخرجتا في القرن الثاني وما بعده من علماء افذاذ ، كان لكل منهم شأن كبير في عالم التأليف والعلم ، والشعر ، والادب ، كالخليل بن احمد ، وعبد الله بن المقفع ، والاصمعي ، وابو عبيدة ، وسيبويه ، والكسائي ، وغيرهم فكثرت الكتب ، وكثرت المكتبات في هذين البلدين ، وحين قامت دولة العباسيين واتخذت بغداد عاصمة لها ، كثرت الى جانب كتب التفاسير ، والرواية ، واللغة ، والادب ، كتب الترجمة من الفارسية واليونانية ، ونشطت حركة التأليف والترجمة ، وعظمت صناعة الورق ، وتبع ذلك ظهور حرفة الوراقة ، ووجود أمكنة للوراقين ، تتخذ مباءة للعلماء والأدباء يتزودون منها العلم والمعرفة ، فبدأ وجود المكتبات يكثر ويزخر بالكتب بحيث أدى سقوط رف من الكتب على رأس الجاحظ فمات .

وقد بلغ من العناية بالكتب والمكتبات ، ان عدّد ابن النديم في الفهرست طائفة من اسماء الخطاطين ، والناسخين ، والوراقين ، ومجلدي الكتب ،

---

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٣٨٦ .

ومذهبها في العراق ، وقد عني كوركيس عواد في كتابه (خزائن الكتب القديمة في العراق) فأورد بحثاً كافياً عن الوراقة والوراقين وصناعة الكتب ومادتها .

ولقد قيل ان أكثر هذه المكتبات التي قامت ببغداد كان يتجاوز عدد مجلداتها مئات الالوف ، وتجاوز بعضها مليون مجلد . (١) اعظمها كان للخلفاء العباسيين ، واصبحت المكتبات التي تضم الواحدة عشرات الالوف من المجلدات كثيرة ، وتعد بالعشرات للامراء ، والوزراء . والعلماء ، من المسلمين وغير المسلمين والعرب ، وغير العرب ، واصبح اقتناء الكتب من علامات الحضارة ، يتسابق اليها اصحاب الاموال ، وطلاب الشهرة ، وان كانوا من غير اهل العلم ، وانما يتفاخرون باقتنائها ويبالغون في اتقان خطها ، وتزيين جلودها وزخرفتها ، ويتنافسون في استخدام النساخ الماهرين في ذلك .

ويضيف جرجي زيدان الى هذا فيقول : « على ان هذه الخزائن — خزائن الكتب — كان بعضها خاصاً باصحابه او من يأذنون لهم من اصدقائهم في الاطلاع عليها ، وبعضها كان عاماً انشيء لخدمة طلاب الاستفادة من الادباء وغيرهم ، واكثر المكتبات العامة انشأها الخلفاء او غيرهم من الملوك مثل بيت الحكمة » (٢) .

و (بيت الحكمة) هذا اكبر مكتبة عرفت في عصرها على ما روى

(١) ربما كان الأمر مبالغاً فيه .
(٢) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٤ ص ٩٤ .

المؤرخون وقد تسمى (بخزانة الحكمة) والغريب في امر هذه المكتبة ان ما نقل عنها في الكتب لم يكن كافياً ليلقي عليها ضوءاً لا من حيث منشؤها ، وانما من حيث ماهيتها ، اكانت هي معهداً ؟ ام مرصداً ؟ ام مدرسة ؟ ام مكتبة ؛ وكل ما قال عنها المؤرخون لم يتجاوز الاحتمالات والاستنتاجات ، سوى انها من المتفق عليه انها اكبر مكتبة اذا كانت مكتبة في عصرها ، تزخر بمختلف العلوم ، وان منشئها على اغلب الظن انه هرون الرشيد ، وقد كان لخزانة الحكمة رئيس وموظفون ، وكان فيها كتاب ومترجمون ينقلون الكتب الفارسية واليونانية الى العربية وهي اول مكتبة اسلامية ، عربية ، عامة ، في التاريخ .

دور الكتب العامـــة
في العصور العبـــاسية ببغداد

وبلغ ازدهار العلم والادب في بغداد القمة في العصر العباسي ، وقد وجه العباسيون عناية كبرى الى الكتب والمكتبات ، ولا سيما المأمون منهم ، فتأسست مكتبات عامة يرتادها العلماء ، والمؤلفون ، والادباء ، في كثير من المحلات العامة ، وفي المدارس ، والمساجد ، فضلاً عن المكتبات الخاصة التي كان يمتلكها البعض ، ويقصرها على نفسه ، واهل بيته ، وقد بلغ من الاهتمام بالمكتبات ان صار لكل خليفة من الخلفاء العباسيين مكتبة عرفت باسمه في بغداد ، وانا نورد هنا عرضاً باسماء دور العلم ببغداد وهي دور الكتب العامة في العصور العباسية ، دون الخاصة منقولة من (دليل خارطة بغداد المفصل) للدكتور مصطفى جواد ، والدكتور احمد سوسه :

١ ـ بيت الحكمة او دار الحكمة بالجانب الغربي .
٢ ـ دار العلم السابورية بين السورين بالجانب الغربي من بغداد .
٣ ـ دار علم الشريف المرتضى بالجانب الغربي
٤ ـ دار علم حبشي بن معز الدولة .
٥ ـ دار علم غرس النعمة بن الصابي بالجانب الغربي

٦ — دار علم ابن العلقمي بالجانب الشرقي .

٧ — دار علم ابن المارستانية بالجانب الشرقي

٨ — دار علم المدرسة النظامية بالجانب الشرقي .

٩ — دار علم دار المسناة بالجانب الشرقي .

١٠ — دار علم المدرسة المستنصرية بالجانب الشرقي .

١١ — دار علم الشريف الزيدي بالجانب الشرقي .

١٢ — دار علم السيدة زمردة خاتون في تربتها بجوار معروف الكرخي بالجانب الغربي .

١٣ — دار علم رباط المأمونية بالجانب الشرقي

١٤ — دار علم (التربة السلجوقية) بالجانب الغربي .

١٥ — دار علم (الرباط السلجوقي) بالجانب الغربي .

١٦ — دار علم مشهد ابي حنيفة بالجانب الشرقي .

١٧ — دار علم المدرسة البشيرية بالجانب الغربي .

١٨ — دار علم الناصرية بالنظامية بالجانب الشرقي .

١٩ — دار علم ابن القصاب بالجانب الشرقي (١) .

ويقول المؤلفان : « ولم نذكر دور العلم الخاصة اي خزائن كتب الافراد التي لا تنتفع بعلمها العامة من الامة فانها لم تبلغ ان تسمى دور علم » .

وكل مكتبة من هذه المكتبات العامة حوت آلافاً مؤلفة من الكتب النفيسة العامة ، والنادرة الخاصة ، فما ورد عن مكتبة الوزير ابن العلقمي مثلاً

(١) دليل خارطة بغداد المفصل ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

قول ابن الطقطقي :

« حدثني ولده شرف الدين ابو القاسم علي – ح – (اي ابن الوزير العلقمي) قال اشتملت خزانة والده على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب » وجاء في حوادث سنة ٦٤٤ من كتاب الحوادث « وفيها فتحت دار الكتب التي أنشأها الوزير مؤيد الدين بن العلقمي في داره ونقل اليها كتباً في انواع العلوم » وجاء في آخر كتاب (الموشح) للمرزباني ص ٣٨١ « ونقلته من نسخة الوزير محمد بن العلقمي وعليها خطه ، وهي بخط الناسخ محمد بن علي يعرف بالنقاش » (١) .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥٥

مكتبات النجف القديمـــة

ذهب بعض المؤرخين الى ان تاريخ النجف العلمي يبدأ مع ابتداء السكن اي منذ القرن الثاني الهجري او بعده على الاقل ، بدليل ظهور بعض الاجازات العلمية بالاجتهاد التي يرجع تاريخها الى القرن الرابع ، وبدليل وجود خزانة للكتب في النجف كان ممن عني بها عضد الدولة البويهي المتوفي سنة ٣٧٢ هـ وبدليل ما استنتج البعض من احتكاك النجف بالكوفة منذ أول تمصير النجف وسكناها ، ومن هؤلاء الشيخ علي الشرقي الذي يقول : « ففي القرن الثاني للهجرة بدأت العمـــارة والتشييد لمدينة النجف تدريجيـــاً ، فانتقلت المدرسة من الكوفة اليها ، وبقيت الكوفة تصب في بحر النجف ، ومن بداية القرن الثالث للهجرة ظهرت شخصيات علمية في النجف ، مثل شرف الدين ابن علي النجفي ، واحمد بن عبد الله الغروي ، وابن شهريار .

وقد يدل على وفرة طلاب العلم في النجف كثرة ما بذله عضد الدولة في القرن الرابع على علماء النجف وفقهائها » (١) .

اما الامر الذي لا شبهة فيه فهو ان تاريخ النجف العلمي قد بدأ في منتصف

(١) الاحلام ص ٤٣ .

القرن الخامس الهجري ، على اثر هجرة الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن ابن علي بن الحسن الطوسي المعروف (بشيخ الطائفة) ، فقد كان الشيخ الطوسي قد انفرد بزعامة الشيعة في بغداد بعد وفاة الشريف السيد المرتضى ، وكان للشيخ الطوسي مكان مرموق في الاوساط العلمية ، وكان له كرسي للبحث والدرس ، وكانت داره في الكرخ مأوى الرواد والمتتبعين من رجال العلم والتأليف ، وقد بلغ من العظمة والرفعة العلمية ان صارت عدة تلاميذه الذين يحضرون بحثه وكلهم من المجتهدين نحو (٣٠٠) مجتهد.!! (١)

وحين حدوث الفتنة بين الشيعة والسنة واستفحال امرها في ايام طغرل بك اول ملوك السلجوقيين الذي ورد بغداد سنة ٤٤٧ هجرية ، والذي شن على الشيعة حملة شعواء هاجر الشيخ الطوسي الى النجف بعد ان نهب بيته وأحرقت كتبه .

قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٩ : « وفي صفر من هذه السنة كبست دار ابي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ ، واخذ ما وجد من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للكلام ، واخرج الى الكرخ واضيف اليه ثلاثة سناجيق بيض كان الزوار من اهل الكرخ قديماً يحملونها معهم اذا قصدوا زيارة الكوفة فاحرق الجميع »(٢) .

وكانت للشيعة ببغداد مكتبة انشأها (ابو نصر سابور ابن اردشير) وزير بهاء الدولة البويهي ، سنة ٣٨١ هـ بين السورين في الكرخ ، وكانت هذه المكتبة أهم المكتبات على الاطلاق بالنظر لما كانت تحتوي عليه من كتب

(١) حياة الشيخ الطوسي ، للشيخ اغا بزرك (المقدمة) .
(٢) المصدر السابق .

قيمة منفردة ، فقد جمع لها هذا الوزير الكتب من مختلف الجهات والاماكن من العراق ، وفارس ، والهند ، والصين ، والروم عـلى ما ذكر محمد كرد علي (١) .

وقد جاء في المنتظم : ان محتوياتها لم تقل عن عشرة آلاف مجلد ، وكان فيها مائة مصحف بخطوط بني مقلة ، وقد ضمت نوادر الكتب واعلاقها ، ومن ذلك نسخة من ديوان عدي بن زيد ، الى مئات من الكتب التي انفردت بها هذه المكتبة السابورية التي قد تسمى (بدار العلم) ايضاً .

وكانت هذه الدار موئلاً للعلماء والباحثين يترددون اليها للدرس والمناظرة والمباحثة ومن اشهر روادها كان الشاعر الفيلسوف ابو العلاء المعري (٢) فقد طالما ذكرها وذكر بعض القائمين على امرها ، وآثر الاقامة بها يوم كان ببغداد (٣) .

وكان جماعة من العلماء يهدون مؤلفاتهم لهذه الخزانة وكان اكثرها بخطوط المؤلفين انفسهم ، قال ياقوت الحموي : « وبها خزانة الكتب التي اوقفها الوزير ابو نصر سابور بن ارد شير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة ولم يكن في الدنيا احسن كتباً منها ، كانت كلها بخطوط الائمة المعتبرة واصولهم المحررة » (٤) .

وكان يشرف على هذه المكتبة ويتعهدها عدد من كبار الرجال وائمة

. . . . .

(١) خطط الشام ج ٦ ص ١٨٥ (اخرجه الشيخ اغابزرك) .
(٢) ابو العلاء وما اليه ، لعبد العزيز الميمني ص ١١٣ – ١٣٠ .
(٣) رسائل ابي العلاء المعري ص ٣٤ (اخرجه كوركيس عواد) .
(٤) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٤٢

العصر ، وقد اورد التاريخ اسم الشريف المرتضى ضمن المعنيين بهذه المكتبة ، وقد اكثر المؤرخون من ذكر هذه المكتبة ، وما تحتوي عليه من نفائس المخطوطات ، التي مثلت اكبر مجموعة من مختلف الثقافات ، وقد امر طغرلبك باحراقها(١) ، فضاعت بذلك ثروة لا تعوض من العالم الاسلامي ، والعالم العربي ، والعالم الشيعي خاصة ، فكان لا بد اذن من ان تتجه الفكرة بعد انتقال الشيخ الطوسي الى النجف واتخاذها مركزاً علمياً ، الى التعويض عن تلك الخسارة الجسيمة التي سببها احراق المكتبة السابورية ، فكان هذا مبدأ انتعاش المكتبة التي يسميها البعض (بالمكتبة العلوية) والبعض (بالمكتبة الحيدرية) والبعض الآخر (بمكتبة الصحن الشريف) في النجف ، وهي المكتبة التي قيل ان تاريخ تأسسها يرجع الى القرن الثالث او ما بعده على الظن القريب .

وبانتقال الشيخ الطوسي إمام الشيعة في عصره الى النجف انتقل النتاج الفكري من جميع المدن الاسلامية الشيعية لغرض التلمذة على منبر النجف ، وهاجر الجمع الغفير من سائر الاقطار الشيعية ، بالادب ومواعين الأدب على حد تعبير الشيخ علي الشرقي ، فأوجدوا في النجف حركة فكرية تمتاز عن الحركة الفكرية في أمهات المدن العراقية ، وكانت المكتبات وما بدأت تجمع من الكتب النادرة ، من أعظم أحداث الثقافة ، واهم ما تتميز به النجف ، حتى لقد ندر ان يكون هنالك عالم ديني دون أن تكون له مكتبة خاصة ، تحتوي على الكثير او القليل من نوادر الكتب الخطية الفريدة .

يقول الدكتور صالح احمد العلي « ... وبدأت العناية الشعبية والرسمية

---

(١) حياة الشيخ الطوسي ص (د)

في حفظ التراث ومنعه من التسرب ، وقامت محاولات متعددة لجمع المخطوطات وصيانتها في مكتبات عامة موحدة يتاح للراغبين فيها القراءة والبحث ، واظهر تلك المحاولات هي التي قام بها نفر من (الغيورين) والعلماء في النجف والبصرة لهذا الغرض »(١).

ولقد بلغ من شأن الكتاب وحتى الكتاب (العادي) ان يتقبله البزاز ، والبقال ، وغيرهما ، رهينة عن مبلغ ربما تجاوز ثمنه اضعافاً مضاعفة ، وكثيرون اولئك الذين رهنوا مكتباتهم كلها أو بعضها في الأجيال الماضية للخروج من ضائقة مالية كبرى .. وانحصرت الثروة الكبيرة — ان جاز ان تسمى ثروة — عند هذه الطبقة من أهل العلم ، والبحث ، والدرس بالكتب ، فراجت تجارتها ، وراح يطوف تجار الكتب في أغلب الأقطار الاسلامية كالهند ، وايران ، ويجمعون الكتب النادرة الفريدة وغير الفريدة ، من المخطوطات القديمة فيأتون بها الى النجف ويزفون البشارة الى هواة الكتب ، والعلماء ، والأدباء ، بما احتوى عليه تطوافهم من نفائس الكتب ، ونوادرها قبل وصول الصناديق ، أو قبل فتحها ، فيستعد الشراؤون للشراء ، قبل وصول البضاعة بأيام ، ومن الذين عرفوا بمثل هذه التجارة في الحقبة الأخيرة كان آل الدشتي ، وآل زاهد ، وآل العاملي ، وآل الشيخ صادق الكتبي ، وكان هذا أشهرهم .

وقد التزم الوراث حين يموت المورث من أصحاب الكتب والخزائن بالمحافظة على المخلفات من هذه الكتب ، ورعايتها ، فلا يفرطون فيها إذا كان الوارثون من أهل العلم والمعرفة ما لم تكن هنالك حالة اضطرارية ترغمهم على اقتسام

(١) المستدرك على الكشاف — عبد الله الجبوري ص ١٢ .

هذه الكتب ، او بيعها ، فاذا ما اضطروا لبيع كتبهم نزلوا بها الى سوق (المزاد) وسوق (المزاد) هذا سوق خاص بالكتب ، يقام في كل يوم خميس ، ويوم جمعة ، من كل اسبوع ، وهما اليومان اللذان تعطل فيهما الدراسة في النجف ، فينتهز باعة الكتب هذه الفرصة ، وينزلون بالكتب التي يعهد اليهم ببيعها الى السوق ، وتبدأ المزايدة من قبل الاساتذة وشيوخ العلم ، والهواة ، والطلاب ، ولم يزل هذا السوق قائماً منذ العصور القديمة حتى اليوم ،

وعرفت النجف في عصرها الاخير جماعة من العلماءعدّوا حججاً في معرفة الكتب النادرة من المخطوطات وقيمتها ، وقد كسب هؤلاء من الشهرة ما استدعى ان يذكرهم التاريخ الحديث كخبراء بالكتب ، ومؤلفيها ، خبرة ابن النديم ، وقد ادرك جيلنا منهم الشيخ علي كاشف الغطاء ، والشيخ محمد السماوي ، والسيد جعفر بحر العلوم ، والشيخ عبد الحسين الحلي ، من المتوفين ، ومن مشاهير اهل الخبرة من الاحياء اليوم الشيخ اغابزرك ، والشيخ محمد رضا فرج الله .

وفي يوم (المزاد) تتجه الانظار كلها الى الخبراء الذين يعرفون قيمة الكتب النادرة والمخطوطات ، وخطاطيها ، فينافسونهم في شراء الكتب التي يحاول هؤلاء الخبراء شراءها ، لذلك كثيراً ما اضطر هؤلاء الخبراء للاستعانة بالبعض لشراء الكتب التي يغبعونها لهم ، وهم يجلسون عن كثب منهم خوفاً من منافسة الجهلة التي قد تسبب ارتفاع ثمن الكتاب اكثر من ثمنه المتعارف .

ويقول جرجي زيدان «وفي النجف عادة قديمة لا توجد في سواها من بلاد العراق وهي انه في كل نهار خميس ، وجمعة ، تقوم سوق

تعرض فيها الكتب ، وتباع في المزايدة ، فمنها ما يباع بثمن بخس وهو ثمين ، ومنها ما يباع بثمن غال وهو لا يساوي فلسا ، وما ذلك الا من جهل البعض ودراية البعض الآخر وذكائهم في مشترى المصنفات » (١) .

وكثيراً ما تعرض في سوق (المزاد) هذا رزم من اوراق وكتب وكراريس مشدود بعضها الى بعض ، فينزّلها من (يدلّل) بالكتب وينادي عليها في ميدان البيع باسم (الصفقة) وينادي عليها بصوت عال قائلاً : « انها صفقة لا تباع الا جملة واحدة على كل عيب شرعي » وكثيراً ما يعثّر المشترون في هذه (الصفقات) عل نفائس لا تثمن من المواثيق التاريخية ، والكتب المفقودة ، والنصوص الضائعة .

ولم يكن الانتقال في العصور السابقة من بلد الى آخر خصوصاً اذا كانت المسافة شاسعة بالامر الهين اليسير ، لذلك فان الكثير ممن يكون قد انهى دراسته ، وراهق الاجتهاد ، وازمع النية على العودة الى بلده ، انزل كتبه الى سوق المزاد ، وباعها ، او انه وقفها على طلاب العلم والمعاهدفصار الكتاب الذي يدخل النجف لا يخرج منها الا نادراً وفي حالات استثنائية ، فتوسعت مكتبة النجف وصارت المخطوطات النادرة ، سواء من المصاحف الفنية ، او الكتب التاريخية ، او الدينية ، والادبية ، والكراريس في زيادة مستمرة جعلت مكتبات البيوت ، والمكتبات العامة ، تزخر بها وتنمو يوماً بعد يوم .

يقول جورجي زيدان عن مكتبات بغداد « هي ام المكتبات الا ان كتب النجف اقدم خطاً واندر وجوداً ، واتقن كتابة ، وموضوعاتها مختلفة » (٢) .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٢٩ .   (٢) المصدر السابق .

وتاريخ المكتبات النجفية ، لم يعرف مكتبة عاشت اكثر من ١٠٠ ــ ١٥٠ سنة باستثناء (المكتبة العلوية) فقد تموت المكتبة بموت صاحبها ، وتبعث في مكان آخر بانبعاث شخص جديد ، وكم تألفت مكتبات ذات صبغة عامة ، حوت مئات الكتب الموقوفة ، ثم ما لبثت ان زالت من الوجود ، او استحالت الى مكتبات خاصة .

يقول الشيخ علي الشرقي : ومن النوادر ان شيخاً من شيوخ الادب يظهر انه كان رقيق الدين ، عرض علي شراء كتب مخطوطة ، كانت عليها شارة التحبيس ، فقلت له كيف تبيع الوقف المحبّس ؟ فقال اني لا ارى الملكية في الكتاب ، لان المؤلف يريد بث المعرفة واشاعة افكاره ، وما ملكية الكتاب الا استيعابه قراءة فقط ، وعليه فالكتاب لا يملك ، اما الثمن المبذول فهو عوض عن قراءته فقط ، ولما كانت القاعدة الفقهية القائلة (لا وقف الا في ملك) فمن الغلط ان يقال هذا الكتاب وقف .

وقريب من هذا الرأي ما ذهب اليه جماعة من ذوي الفضل ايثاراً وتسبيلاً للمنفعة في كتبهم لكل من يريد الاستفادة بقراءتها ، قائلين : ان غلة الكتاب قراءته ، وزكاة تلك الغلة اعارته ، ويعاكس هذا الرأي من يوصد باب مكتبته في وجوه الطلاب ، شحة وضنة ، وكثير اولئك الذين يقبضون على الكتب قبضة الشحيح .

ويقول الشرقي : « اتفق لي وأنا صبي ان الج على ضنين بالكتب ، مكتبته التي صفت فيها الكتب النفيسة وراء ابواب الزجاج ، وكانت المكتبة مفروشة بالطنافس ، والسجاد الايراني الممتاز ، فوجدت صاحب المكتبة جالساً على طراحة في زاوية تلك المكتبة ، وهو كفيف البصر ، والى جانبه قارىء يتلو عليه ما يريد تلاوته ، وبينا انا اطارحه الحديث رفعت يدي ،

فاصطدمت بباب الخزانة ، وعندما سمع نقرها اضطرب انزعاجاً ، واستفهم بارتباك ، ولم تهدأ روعته حتى عرف انها الصدفة ولم يحدث شيء ..!! »

ويتابع الشرقي حديثه فيقول : « ويدور الزمن ، ويموت ذلك الجمّاعة للكتب ، ويهم وارثه بحمل ما في المكتبة الى معرض الكتب للبيع فيستعين بي . وبرفيق لي لنعرفه بالمهم من تلك النفائس ، وتثمينها وعند دخولي المكتبة دهشت حين وجدتّها شعثاء ، موحشة ، قد فارقت رونقها ، وكان التّراب فراشها والغبرة تعلو خزاناتّها ، ومد لنا حصير جلسنا فوقه ، وكان رفيقي لا يعلم بما يخالجني ، وبينا نحن منهمكون باستعراض بعض الكتب المبثوثه في تلك المزبلة لا المكتبة ، اذا برجة تهز الغرفة ، فحولت بصري ووجدت احد الورثة قد وضع سلماً خشبياً وصعد عليه واضعاً يده وراء النضدة من الكتب ، يدفعها لتطيح على الارض لانه تعب من تناولها كتاباً كتابا ، فتذكرت ذلك الكفيف وفزّته من نقرة الباب ، وكيف اربكته ، وقلت من لي به ليسمع ويشاهد ما فعله هذا العابث البطر »(١) .

لذلك فليس اليوم اثر ، ولابعض اثر للمكتبات العامة الّتي الحقت بالمدارس الدينية العلمية قديماً .

اما المكتبات الخاصة فكم بالاولى ان تزول من الوجود ، بعد زمن قصير ، حين يكون الوارثون لها مضطرين لبيعها ، او مهملين لرعايتها ، وعلى هذا فما كان من المكتبات في القرون الاخيرة كالرابع عشر والثالث عشر مثلا هو غير ما كان في القرن الثاني عشر والحادي عشر وما قبل ذلك .

---

(١) الاحلام ٦١ — ٦٢ .

وما كان يملكه آل (الملالي) مثلاً من نفائس المخطوطات في اوائل القرن الثالث عشر هو اليوم من ممتلكات طوائف كثيرة من اهل العلم في النجف وهو يؤلف جزءاً من مكتبات لم يكن لها اي وجود قبل هذا القرن ، وهذا ما جعل من الصعب على المؤرخين ان يعرضوا لتأريخ هذا العدد الهائل من المكتبات التي كانت تنشأ في جيل وتزول في جيل آخر ، لقلة المراجع التي يعول عليها المؤرخ ومع ذلك فاننا سنعرض هنا كل ما وسعنا أن نستخلصه من المصادر المثبتة ، او الذي حققناه بأنفسنا مما يدخل ضمن معلوماتنا الخاصة .

المكتبـــة العلوية

وقد تسمى بالمكتبة (الحيدرية) او (الخزانة الغروية) او (الخزانــة العلوية) او (مكتبة الصحن) وهذا اسم اطلق عليها مؤخراً ، ولم يعرف بالضبط مقر هذه الخزانة او المكتبة القديم ، فقد طرأت على المرقد الشريف وما يحيط به من بناء تطورات كثيرة ، ذكر التاريخ كيفية تطور بعضها واغفل بعضها الآخر ، لذلك لم يعرف قبل القرن الثامن اكثر من ان خزانة كانت للكتب خصت بالحضرة العلوية ، وان هذه الخزانة يرجع تاريخها الى القرن الرابع إن لم يكن اقدم من ذلك ، وان عضد الدولة البويهي المتوفى سنة ٣٧٢ هـ ٩٨٢ م كان من المعنيين بها ، وان شهرتها بسبب ما وقفه عليها الملوك ، والامراء ، من المخطوطات بدأت تتسع باتساع رقعة النجف ، واهميتها العلمية ، خصوصاً بعد منتصف القرن الخامس الذي شرع فيه طلاب العلم يقصدون النجف من مختلف الجهات والاقطار .

يقول الشيخ علي الشرقي : « ان الجاليات والرواد الهابطين على المدرسة النجفية من بلاد ايران ، والهند ، واذربايجان ، وما وراء النهر ، والقوقاز ، وعاملة ، والخليج ، وبعض نواحي اليمن ، كانوا يفدون على النجف بثرواتهم المادية ، والادبية ، واهمها امهات الكتب المخطوطة من كتب الفلسفة ،

والرياضيات ، والادب ، والفلك ، والتاريخ ، والمسالك ، والممالك ، وقد كان رواد العلم وطلابه يسكنون على الاغلب المدرسة العلوية الكبرى (الصحن) ومنهم المقيم في غيرها من المدارس ، والدور الخاصة ، وكان لهم نقيب ينظّم شؤونهم ، وكانت في المدرسة العلوية — اي الصحن الشريف — خزانة كتب نفيسة تجمعت مما يحمله المهاجرون ، وكانوا بعد ما يتزودون بزاد العلم ويعتزمون العودة الى اوطانهم ، يتركون ما حملوه من نفائس الكتب وما الفوه من رسائل واطروحات في خزانة المدرسة العلوية محبّسة على طلابها »(١) .

وفي المنتصف الثاني من القرن الثامن الهجري نرى نشاطاً منقطع النظير يعم الاوساط في جمع الكتب وشرائها ، وجلبها الى النجف ، ووقفها على (المكتبة العلوية) ، كما لو كان تأسيس هذه المكتبة يبتدىء لاول مرة ، والسبب في ذلك هو ان حريقاً قد شب في المشهد العلوي ، بسبب النار التي اندلعت من احد القناديل المعلقة وتسربت الى الاخشاب ، ثم اتصلت بهذه المكتبة فأحرقتها ، وكان ذلك في سنة ٧٥٥ هجرية ١٣٥٤ ميلادية على ما روى ابن عنبة المتوفى سنة ٨٢٨ هـ اذ قال : « وقد كان بالمشهد الشريف الغروي مصحف في ثلاثة مجلدات بخط امير المؤمنين عليه السلام احترق حين احترق المشهد سنة خمس وخمسين وسبعماية »(٢) .

وقد ضمن الشيخ محمد السماوي ارجوزته هذه الواقعة ، مؤرخاً وقوع الحريق وقيام بناء المشهد من جديد ، اذ قال عن المشهد يصفه قبل ان يحترق :

(١) الاحلام ص ٥٨ .
(٢) عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب لا بن عنبه ص ٥ .

ووضعوا التبر به والفضّة معززين واستهانوا القضّة (١)

ثم قال :

واكثروا الساج هناك فاحترق بضوء قنديل بـــه قد اعتلق

في عام خمسة وخمسين ورا مثاته السبع على ما حررا

فقام في بنـــاء ذاك الدائـــر اويس بن الحسن الجلائـــري

واعتاض من اخشابه الرخاما هيا كـــلاً منحوتة ضخاما

موصوفة على اعتدال سمت في حسن شكل وبديع نحت

ثم يقول :

رأيت منها قطعـــا رواقي في جوف سرداب من الرواق(٢)

ومن هنا تأسست (المكتبة العلوية) من جديد وقد قام بتأسيسها السيد صدر الدين بن شرف الدين بن محمود بن الحسن بن خليفة الكفي المعروف بالآوي ، مستعيناً بفخر المحققين ابي طالب محمد بن الحسن الحلي ، المتوفى سنة ٧٧١ هـ وسميت (بالخزانة العلوية) وذلك سنة ٧٦٠ هـ .

وحين مات (الآوي) اوصى ابن اخيه بأن يشتري بثلثه من الميراث الكتب ويقفها على (الخزانة العلوية) ، وفي خلال خمس سنوات من تأسيس هذه المكتبة تكاملت كتبها المهمة وعادت لها تلك الاهمية السابقة ، بما ابتيع لها من الكتب النادرة التي تم شراؤها من بغداد خاصة ، فقد صادف ان اصيبت بغداد بقحط شديد من جراء قلة الغلّة ، فاضطر الكثير من ارباب

(١) القضة هي الصخور توضع بعضها فوق بعض .

(٢) عنوان الشرف في وشي النجف ص ٥٢ .

المكتبات ببغداد الى بيع كتبهم ، وكان اكثر المشترين من النجف .

وقد ذكر الواعون من النجفيين في اوائل القرن الحالي انهم قد رأوا على رفوف (الخزانة العلوية) عشرات الالوف من الكتب بما فيها من نسخ القرآن الاثرية ، وكتب الادعية والاوراد (١) .

يقول الشيخ محمد السماوي عن تأسيس هذه المكتبة .

وتم في خمس سنين تهيئة　　في سنة الستين والسبع مئة
بعزمة (الصدر الكفي الآوي)　　و (الفخر) ذي التحقيق في الفتاوي
وخزنا كتباً بـه لا تحصى　　لا سيما (الآوي) حين أوصى
لابن اخيه في شراء الصحف　　من ثلثه وجعلها في الوقف
وكانت الكتب بذلك الزمن　　تحصل للمبتاع في ادنى الثمن
لان بغداد اصيبت بغلا　　فصيرت كتب العلوم ماكلا
واستبدلت كتبهم بالغلة　　اهل (الغريين) واهل (الحلة) (٢)

وقد تواترت الروايات عن كثرة الكتب التي كانت تضمها المكتبة العلوية ، وعما كانت تحتوي عليه من المخطوطات التي انحصرت بها دون مكتبات العالم الاسلامي ، وخصوصاً المصاحف الثمينة المزركشة ، والمكتوبة بالذهب ، وبأقلام مشاهير الكتاب في عصورهم ، مما اعتبرت من الاعلاق الثمينة مما كان يهديها الملوك ، والامراء ، وعلى الاخص ملوك ايران .

ويظهر من استعراضنا لتاريخ النجف الثقافي ان كان لهذه المكتبة من

(١) الاحلام — للشيخ علي الشرقي ص ٥٨
(٢) عنوان الشرف في وشي النجف ص ٥٢ .

الموكلين والامناء ، والقائمين برعايتها في مختلف الازمنة ، من يرجع اليهم فضل المحافظة عليها طوال السنين الماضية ، وقد تسرب الاهمال اليها وفترت المراقبة ، والرعاية ، منذ اواخر القرن الثالث عشر الهجري فامتدت الايدي اليها بالسرقة من جهة ، وعاثت الارضة بكتبها من جهة اخرى ، حتى لم يبق منها اليوم غير الاسم اذ لا تتجاوز كتبها اليوم المئات وهي محصورة محصورة في خزانة مقفلة لا تفتح الا للزائرين الاجانب وللخاصة .

وكان الشيخ كاظم الدجيلي قد زار هذه الخزانة في سنة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٤ م فذكرها قائلاً : « ان الكتب الموجودة في خزانة الامير تقسم الى ثلاثة اقسام ، قسم لصقت اوراقه بعضها ببعض من الرطوبة ، وقسم اكلته الارضة وتمزقت اوراقه ، وقسم بين ناقص وتام »(١) ويعلق كوركيس عواد على الدجيلي قائلاً :

« وفي هذا القول على ما فيه من اسراف دليل على ما اصاب كتب الخزانة من محن »(٢) . ولقد قام في السنين الاخيرة باستعراض هذه المكتبة والتحقيق في كتبها جماعة من اهل الخبرة وسجلوا بعض كتبها النادرة ، ونشر البعض منهم تحقيقه في المجلات ، والصحف ، والكتب ، ولم يزل بعض التحقيق عما تحتوي عليه هذه المكتبة من المخطوطات النفيسة والنادرة مخطوطاً في مجاميع اولئك المحققين ، وكان من اشهر من عرف من المتأخرين بالتحقيق في كتب هذه المكتبة ، الشيخ علي آل كاشف الغطاء ، صاحب كتاب (الحصون المنيعة) المخطوط ، وصاحب كتاب (نهج الصواب في المكاتب والكتابة ، والكتاب) المخطوط ، كما عرف به أيضاً الشيخ محمد السماوي ، والسيد

(١) وصف كتاب خزانة الامير (ع) مجلة لغة العرب ٤ تموز ١٩١٤

(٢) خزائن الكتب القديمة في العراق ص ١٣٢ .

هبة الدين الحسيني ، والسيد جعفر بحر العلوم ، والشيخ اغابزرك ، والشيخ علي الشرقي ، والشيخ كاظم الدجيلي ، والشيخ محمد رضا فرج الله ، والشيخ جعفر محبوبة ، وكوركيس عواد . والتحقيق الذي قام به الشيخ جعفر محبوبة بنفسه ، والذي اورده في كتابه (ماضي النجف وحاضرها) معتمداً على (نهج الصواب) وما استعرضه من الكتب المخطوطة التي انفق من اجلها وقتاً طويلاً في الفحص والتفتيش ، ليعتبر من اهم المصادر الموثوقة في معرفة هذه المكتبة في تاريخها الاخير ، كما يعتبر تحقيق كوركيس عواد ، الذي لخصه من امهات الكتب ، واستقاه من المصادر الموثوقة عن هذه المكتبة ، والذي اورده في كتابه (خزائن الكتب القديمة في العراق) من اهم المراجع التاريخية واننا ونحن نعرض لاسماء النادر مما بقي من هذه المكتبة نعتمد هذه المصادر كلها ، ثم ما استطعنا ان نقف عليه نحن ممن عرفنا من أهل الخبرة الثقاة الذين ادركناهم .

أهم مخطوطات(١) المكتبة العلوية

يقول كوركيس عواد وبالرغم مما حل بهذه الخزانة العظيمة الشأن من

(١) راجع في هذا الصدد :
أ – خزائن الكتب القديمة في العراق لكوركيس عواد ص ١٣٠ – ١٣٧
ب – ماضي النجف وحاضرها للشيخ جعفر محبوبة ج١ ص ١٠٠ – ١٠٣
ج – خزانة كتب الامام علي – للشيخ كاظم الدجيلي (لغة العرب ٣ – ١٩١٤)
د – وصف خزانة كتب الامير – للشيخ كاظم الدجيلي (لغة العرب ٤ – ١٩١٤)
هـ – الذريعة الى تصانيف الشيعة للشيخ اغابزرك ج ١، ٢، ٣، ٤
و – الحصون المنيعة للشيخ علي كاشف الغطاء (مخطوط)
ز – الاحلام للشيخ علي الشرقي ص ٥٧ – ٦٣
ح – نهج الصواب ، للشيخ علي كاشف الغطاء (مخطوط)

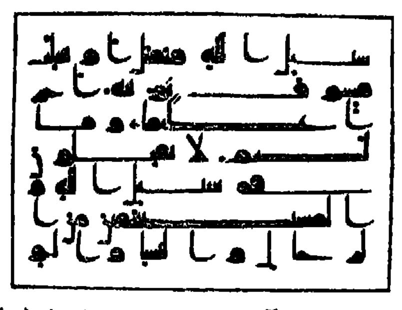
رزايا وملمات في خلال مئات السنين ، فانها ما زالت الى يومنا هذا تحوي كتباً عديدة بينها العتيق ، والفريد ، والنفيس ، لا سيما المصاحف الثمينة ، وقد وصف بعض الباحثين جملة من هذه الاسفار ولا يسعنا ذكرها هنا كلها بل نذكر منها اقدمها واشهرها .

المصاحف

فمن المصاحف :

١ ــ مصحف قديم جداً مكتوب على الرق بالخط الكوفي ، وتنسب كتابته الى الامام علي (ع) .

٢ ــ مصحف قديم جداً مكتوب على الرق بالخط الكوفي وتنسب كتابته الى الامام الحسن (ع) بن الامام علي بن ابي طالب (ع) وكلا هذين المصحفين من انفس الآثار الخطية في هذه الخزانة وأثمنها واقدمها عهدا .



صفحة من القرآن المنسوب خطه للإمام علي (ع)

٣ ــ مصحف بالخط الكوفي كتب سنة احدى وثلثمائة هـ ٩١٣ م .

٤ ــ عدة مصاحف ثمينة لاشهر الخطاطين محلاة بالذهب ، وهي من هدايا سلاطين الشيعة ووزرائهم في مختلف العصور ، وهي مختلفة الخطوط ففيها الكوفي ، والاندلسي ، واليماني ، واحدها بخط ياقوت المستعصمي ، والآخر بخط احمد النيريزي .

٥ — وبين هذه المصاحف قطعة من مصحف بقطع سفينة ، مكتوب على رق بخط كوفي ، وكتب في آخره : « تم سنة اربعين من الهجرة ، كتبه علي بن (ابو طالب) (١) .

٦ — وهنالك ما يقرب من اربعماية مصحف بخطوط مختلفة ، ويرجع خط البعض منها الى سنة اربعماية الهجرية ، واغلبها خطوط تعتبر آية في الفن والابداع ، وغاية في الزخرفة والجمال والتلوين ،

المخطوطات

ومن المخطوطات :

١ — كتاب قوى الاغذية — ولعله من مؤلفات حنين بن اسحق ، وهي نسخة قديمة جداً ، كتبها محمد بن يوسف الوراق بخط كوفي .

٢ — المسائل الشيرازية — تأليف الشيخ ابن علي الحسن بن عبد الغفار (الفارسي النحوي) نقلت على نسخة المصنف ، وعليها اجازة بخط المصنف

(١) اختلف بعض الباحثين في ورود اسم (ابو طالب) مرفوعاً ، وعلل البعض ذلك بأنه مرفوع بالعلمية ، وقالوا ان اسم ابي طالب لم يكن كنية ، وانما هو علم عرف به ، لذلك لن يخضع هذا العلم للاعراب ، وقال البعض الاخر بل ان حرف الياء في الخط الكوفي يشابه حرف الواو وكلا هما يكتبان بشكل المربع والفرق بينهما ان رأس الياء منفتح ، ورأس الواو منضم ولربما انطمست مربعة راس الياء فاشتبهت بالواو ، فقرئت واواً ، والسيد صادق آل بحر العلوم ممن يرى هذا الرأي ، وقد حدثني الشيخ محمد زبارة الوزير اليماني في عهد الامام يحيى ، ونحن في الخزانة العلوية في النجف ان هنالك نسخة من المصحف الشريف في مكتبة الامام يحيى وقد كتب في آخرها بالنص : كتبه علي بن (ابوطالب) ، وهنالك نسخة خطية اخرى منسوبة لخط الامام علي (ع) وهي موجودة في مكتبة الامام علي بن موسى الرضا (ع) بخراسان وعليها حاشية بخط الشيخ بهاء الدين العاملي .

كما يلي :

« قرأ علي ابو غالب احمد بن سابور هذا الكتاب وكتب الحسن بن احمد الفارسي سنة ٣٦٣ هـ » وهي من كتب السيد جلال الدين عبد الله بن شرفشاه لحسيني ، وقفها سنة ٨١٠ هجرية (١) .

٣ ــ شرح مقصورة ابن دريد لابن خالويه وقد قرئت على شارحها ابن خالويه وعليها اجازة بخطه ، وقد قرأها عليه ابو الحسن السلامي وعليه صورة قراءته وهذا نصها :

« بلغت قراءة علي ابي عبد الله محمد بن عبيد الله العجمي حرسه الله ، وفرغت منها ليلة السبت لخمس بقين من شعبان سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) ، وكتب سلامة بن محمد بن حرب وحسبنا الله وحده » وهي من موقوفات السيد صدر الدين بن السيد شرف الدين مجدد المكتبة العلوية يرجع تاريخ وقفها الى سنة ٧٧٥ م .

٤ ــ شرح شعر النابغة ، ومقصورة ابن دريد ، وقصائد للاعشى ، وامريء القيس ، قطعة صغيرة منه كتبت في نحو المائة الخامسة للهجرة .

٥ ــ شرح ديوان المتنبي لابن العتايقي ، بخط الشارح سنة ٧٨١ هـ ــ ١٣٧٤ م ، ويقول الشيخ جعفر محبوبة : « وقفت على الجزء الثاني منه وهو بخطه ، وفي هذا المخزن من مؤلفات هذا الشيخ المتنوعة في سائر الفنون ما يقرب من ثلاثين مؤلفاً وقد فرغ من تأليف بعضها سنة ٨٨٧ هـ » .

٦ ــ كتاب المعتبر في الحكمة ، لابي البركات هبة الله بن علي بن ماكا

(١) ونسخة فريدة من المسائل الشيرازية في مكتبة المحامي صادق كمونه .

البغدادي ، طبيب المستنجد بالله (قطعة منه كتبت في بغداد سنة ٥٣٨ هـ ١١٤٣ م) .

٧ ــ الجزء الثاني من التبيان في تفسير القرآن : لابي جعفر محمد بن الحسن ابن علي الطوسي ، المتوفى في النجف سنة ٤٦٠ هـ ١٠٦٧ م ، كتب في سنة ٥٧٦ هـ ١١٨٠ م ، كتبه محمد بن محمد وصححه في التاريخ المذكور علي ابن يحي ، وهو من موقوفات السيد جلال الدين عبد الله بن شرفشاه الحسيني وقفه في العاشرة من شعبان سنة ٨١٠ هـ(١) .

ويقول الشيخ جعفر محبوبة الذي تتبع هذه الكتب بنفسه ، ووقف عليها في الخزانة العلويـــة : ان هناك اوراقاً كثيرة مبعثرة من هـــذا التفسير ولا يبعد ان تتألف منها نسخة تامة .

٨ ــ معجم الادباء : لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م الجزء الاول منه بخط المؤلف ياقوت ، وقال الشيخ جعفر محبوبة : توجد اوراق مبعثرة منه كثيرة ، ويعلق كوركيس عواد على هذه النسخة الفريدة المكتوبة بخط ياقوت نفسه فيقول :

« في سنة ١٩٠٧ م نشر المستشرق الشهير مرجليوت (**D. S. Margoliouth**) الجزء الاول من معجم الادباء ، ثم اعاد طبعه مصححاً في سنة ١٩٢٣ ، وقد ذكر هذا الناشر انه لم يعثر الا على نسخة خطية واحدة من هذا الجزء محفوظة في خزانة بادليان باكسفورد ، وهي نسخة حديثة الخط ، كثيرة التصحيف ، والتحريف ، كتبت في نحو المائة السابعة عشرة للميلاد ، فما

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة للشيخ أغا بزرك ج ٣ ص ٣٣٠ .

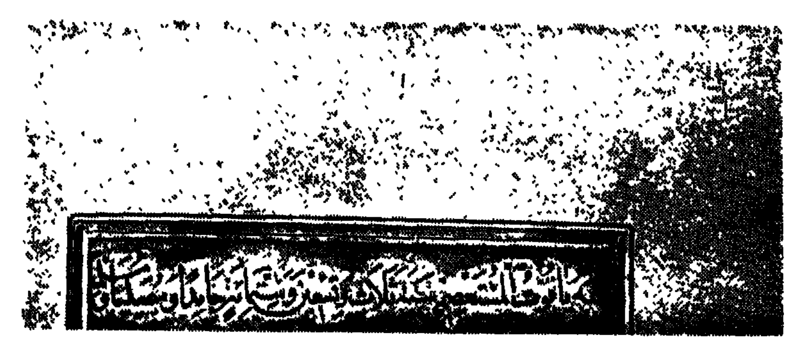
انفس نسخة الخزانة الغروية وما أعظمها شأناً » .

٩ ـ كتاب في اللغة : (على غرار فقه اللغة للثعالبي ، كتب في حلب سنة ٦٤٠ هـ ١٢٤٢ م وليس عليه اسم مؤلفه) .

١٠ ـ الاسرار الخفية ، للعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ ١٣٢٥ م وهي وهي كتاب في المنطق ، والطبيعي ، والالهي من العلوم ، يقع في ثلاثة اجزاء وبخط المؤلف .

١١ ـ التقريب : لابي حيان اثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي النحوي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ١٣٤٤ م مكتوب بخط المؤلف الاندلسي .

١٢ ـ شرح كتاب الايلاقي في الطب : لابن العتايقي الحلي من ابناء المائة الثامنة للهجرة ، وقد كتبه شارحه سنة ٧٥٥ هـ ١٣٥٤ م في المشهد الغروي ، ويقول كوركيس عواد : وفي خزانة هذا المشهد من تصانيف ابن العتايقي نحو ثلاثين كتاباً ، ويقول صاحب كتاب (ماضي النجف وحاضرها) بما رآه هو في هذه الخزانة : ان هناك كتباً كثيرة في الطب وغيره ، وبعضها مقطوعة الاول والاخر لم يعرف اسم الكتاب والمؤلف .



نموذج من خط ياقوت المستعصمي

١٣ ـ التصريح في شرح التلويح الى اسرار التنقيح ، في الطب لابن العتايقي الجزء الثاني كتبه شارحه بخطه في سنة ٧٧٢ هـ ـ ١٣٧٠ م في المشهد الغروي (١) .

١٤ ـ شرح الملخص لعلي بن عمر الكاتبي القزويني ، الجزء الثاني وقف سنة ٧٧٩ هـ ١٣٧٤ م .

١٥ ـ شرح صفوة المعارف في الهيئة لابن العتائقي وهي بخط الشارح كتبها سنة ٧٨٧ هـ ١٣٨٥ م في المشهد الغروي .

١٦ ـ (الشهدة شرح تعريب الزبدة) في الهيئة لابن العتائقي ، وهي بخط الشارح .

١٧ ـ نهاية الاقدام في علم الكلام : لفخر الدين الرازي كتبت في حدود السبعمائة .

١٨ ـ كتاب الملتقط ، للزمخشري في اللغة ، وهو بخط قديم ومختار من كتابه المحكم .

١٩ ـ كتاب تقريب المقرب في النحو لابن عصفور .

٢٠ ـ كتاب المباحثات ، للشيخ الرئيس ، كتبت النسخة سنة ٧١٨ وهي من موقوفات صدر الدين الآوي .

وهناك كتب اخرى لمؤلفين للعروفين وفي ازمنة مختلفة منها كتب لابن كمونة اليهودي البغدادي بخطه وقد كتبت في حدود ٦٧٠ هـ ـ ١٢٧١ م

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة للشيخ اغا بزرك ج ٤ ص ١٩٦ .

وقد ذكر هذه الخزانة عدد من المؤرخين والمتتبعين الذين شهدوا كتبها ، ونقلوا ظنها ، واشاروا الى قيمتها .

يقول الشيخ جعفر محبوبة في (ماضي النجف وحاضرها) عن هذه الخزانة : انه قد ذكرها السيد علي بن طاووس في كتاب (الطرائف) فانه ذكر فيه كتاباً لاحمد بن حنبل في مناقب اهل البيت (ع) وهو من جملة كتب (المخزن العلوي) وفي (رياض العلماء) المخطوط قال في ترجمة الشيخ ابراهيم الكفعمي ما لفظه : « وسماعي انه ورد المشهد الغروي واقام وطالع في كتب الخزانة الغروية ، ومن تلك الكتب الف كتبه الكثيرة في انواع العلوم ومن تلك الكتب مؤلفاته » .

واضاف محبوبة : « وتوجد في خزانة السيد عيسى العطار ببغداد بعض الكتب الثمينة مستنسخة على كتب هذا المخزن » .

وذكر الشيخ علي حفيد صاحب المعالم في كتابه (الدر النضيد) كتاب (الانوار الالهيـــة في الحكمة الشرعية) تأليف السيد علي النيلي النجفي واطال في وصفه ، وهو من جملة كتب هذا المخزن .

وآخر من ذكر هذا المخزن على رواية (ماضي النجف وحاضرها) هو السيد عبد اللطيف الشوشتري في كتابه (تحفة العالم) المطبوع في بمبي فانه جاء الى النجف في حدود ١٢٠٠ هجرية واجتمع بأعلام النجف في عصره كالسيد بحر العلوم ، والشيخ جعفر كاشف الغطاء ، والسيد محمد زيني وغيرهم وذكر منهم الملا محمود بن الملا صالح الكليدار وقال :

« اطلعني على كتب الامير (ع) وفيها من نفائس العلوم المختلفـــة التي لم توجد في خزائن السلاطين » .

ويبدو مما ورد في (تحفة العالم) ان (المكتبة العلوية) الى اوائل القرن الثالث عشر الهجري بل الى ما بعد هذا التاريخ كانت لم تزل على روعتها، وضخامتها واحتوائها على عدة آلاف من الكتب ويؤيد هذه الفكرة ما رواه المعمرون ممن ادركهم جيلنا بأنهم قد شاهدوا عشرات الالوف من الكتب مصفوفة في الرفوف كما اشرنا الى ذلك قبلاً.

وقد وردت في تاريخ هذه المكتبة اسماء عدد ممن تولوا الاشراف على هذه الكتب ورعايتها، مما يدل على شدة الاهتمام بها في العصور السابقة، ومن اشهر من ورد ذكره من خزنة هذه المكتبة:

١ — يحيي بن عليان: كان من كبار علماء عصره، وقد ورد ذكره في (فرحة الغري) (١).

٢ — محمد بن احمد بن شهريار: يقول كوركيس عواد: وقفنا على ذكره في اول كتاب الصحيفة السجادية (٢) في قول القائل: «حدثنا السيد الاجل نجم الدين بهاء الشرف ابو الحسن محمد بن الحسن بن احمد بن علي ابن محمد بن عمر بن يحيي العلوي الحسيني رحمه الله، قال: اخبرنا الشيخ سعيد ابو عبد الله محمد بن احمد بن شهريار الخازن لخزانة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) في شهر ربيع الاول من سنة ست عشرة وخمسماية ١١٢٢ م قراءة عليه وانا اسمع قال..».

---

(١) الرسالة (٦ : ١٥٤٨) خزائن الكتب القديمة في العراق.

(٢) الصحيفة السجادية كتاب في الادعية، مروي عن الامام علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب السجاد، الملقب بزين العابدين، ولهذه الصحيفة نسخ خطية متعددة في كثير من خزائن الكتب، ومنها نسخة حسنة في خزانة كتب المتحف العراقي برقم ١٩٦.

٣ ــ ويقول الشيخ جعفر محبوبة : « وكان في اوائل القرن العاشر والحادي عشر رجال العلم يترددون الى هــذا المخزن للمطــالعة والاستنســاخ فرأيت بعض الكتب المستعارة من هذا المخزن وعليها اسم المستعير والمعير ، ويظهر من بعضها ان هناك غرفتين احداهما صغيرة والاخرى كبيرة ، فيها الكتب وعليها قيّم معلوم ، وفي يده اعارتها ، واصلاحها ، منهم محمد جعفر الكيشوان وهو آخرهم » .

٤ ــ ومن الذين وردت اسماؤهم كخزنة وقيمين على المكتبة العلوية في الصحن الشريف كان محمد حسين الكتابدار (١) وقد افاد هذا من هذه الخزانة فقد ذكر بعض الاعلام في كتاب (عمدة الطالب) انه رآه بخط محمد حسين (الكتابدار) وقد فرغ من كتابته سنة ١٠٩٥ هـ ــ ١٦٨٣ م وعليه حواش بخطه ، وقد عرف بأنه من العلماء في الانساب .

هذا كل ما بقي اليوم من تلك المكتبة الزاخرة بالآلاف من الكتب القديمة ، ولو لم يهتم بها الشيخ محمد السماوي الذي عني بما بقي منها ثم السيد محمد الرفيعي يوم كان نائباً لسادن الروضة الحيدرية قبل ما يقرب من ثلاثين سنة ، ويجمعها في احدى غرف الصحن بمعرفة الشيخ محمد السماوي وتصنيفه لها ، لذهبت هذه البقية من المصاحف والكتب التي اوردنا اسماءها وغيرها ضياعا ، فكان للشيخ محمد السماوي فضل كبير على هذه المكتبة .

ولقد سمعنا من الامام السيد محسن الامين ونحن في حديث عن (المكتبة العلوية) قال : ان تأليف موسوعة (اعيان الشيعة) كان يتطلب مني ان ازور الكثير من المكتبات العامة والخاصة سواء في لبنان ، او سوريا ، او

---

(١) الكتابدار كلمة فارسية ومعناها خازن الكتب .

العراق ، او ايران ، واقلب المخطوطات خاصة بحثاً عن تراجم الرجال ، وقد وجدت في عدد كبير من هذه المكتبات ولا سيما مكتبات النجف نسخة او اكثر من الكتب الموقوفة على (خزانة الصحن) ..

وسمعنا هذا القول من الشيخ محمد السماوي عن كتب هذه المكتبة ، وكيفية امتداد الايدي اليها حتى صار كثير من كتبها الموقوفة من ممتلكات الكثير من المكتبات الخاصة .

ويقول الشيخ علي الشرقي عن هذه المكتبة : لم يبق اليوم الا ما يقارب الاربعماية نسخة وقد وقفت بنفسي على كتاب في علم المنطق كان في بيت احد الفضلاء من النجفيين ، كتب على ظهره ما نصه :

« هذا كتاب من كتب الخزانة العلوية »(١) .

(١) الاحلام ص ٥٩

المكتبات العامة قديماً وحديثاً

ولم يحدثنا تاريخ النجف بعد (الخزانة العلوية) عن المكتبات العامة القديمة او المكتبات الشخصية الا حديثاً عرضياً ، مقتضباً لا يكاد ينقع غلة ، ذلك لان تاريخ المكتبات العامة في النجف ذو اتصال مباشر بتاريخ المدارس الدينية ، فحيث وجدت المدرسة الدينية ووجد ساكنو ها من الطلاب ، وجدت في الغالب المكتبة العامة فيها ، فيرجع اليها طلابها او غير طلابها ، يستعيرون منها الكتب الموقوفة عليها ، ثم لا يمر بعض الزمن حتى تزول المدرسة من الوجود ، فتزول المكتبة معها اما بسبب تقادم عهدها ، وانهدامها ، او انعدام موارد الانفاق عليها ، فتقوم مدرسة اخرى ، ومكتبة وخرى ، في محل آخر من النجف ، ثم تزول هذه من الوجود كما زالت مدارس من قبل ، ونحن اليوم اذ نستعرض تاريخ المدارس الدينية الحاضرة ، وتاريخ مكتباتها العامة ، فلن نجد بينها مدرسة معمورة يرجع تاريخها الى القرن الثاني عشر ، فاين ذهبت المدارس التي اسسها الملوك ، والامراء ، والتجار ، ما ورد ذكرها في التاريخ عرضاً .

يقول ابن بطوطة في الثلث الاول من القرن الثامن الهجري حين يمر بالنجف عن مرقد الامام علي (ع) : « وبازائه المدارس ، والزوايا ،

والخوانق ، معمورة احسن عمارة »(١) ثم يقول : « ويدخل من باب الحضرة الى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة »(٢) وهو يقصد الصحن الشريف الذي كان قد اتخذ مدرسة ، وما من شك ان لكل مدرسة أو لاغلب هذه المدارس كانت مكتبة من المكتبات العامة ، وقد ذهبت بذهابها ، ولم يبق لهذه المكتبات من ذكر الا ما يعثر عليه في حاشية على كتاب او وثائق تاريخية تشير الى مكتبة من تلك المكتبات ، او كلمة وقف تعين المكتبة التي وقفت عليها الكتب ، ومن ذلك ما رواه الشيخ جعفر محبوبة قال : « ومن حسن الصدف اني وقفت على كتاب (مصباح المتهجد) للشيخ الطوسي (ره) مخطوط عند الشيخ الامام العلامة الميرزا محمد حسين النائيني دام علاه وفي آخره ما نصه :

«كان الفراغ من نسخه يوم السبت ثاني عشر من جمادى الاولى سنة ٨٣٢ على يد الفقير الى رحمة ربه وشفاعته عبد الوهاب بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن السيورى الاسدي عفي عنه بالمشهد الشريف الغروي ، على ساكنه السلام ، وذلك في مدرسة المقداد السيوري(٣) » .

اما ما هو موجود من المكتبات العامة في المدارس اليوم ، فهو في الغالب بقية من مكتبات كانت ذات شأن في الماضي القريب ، ولكن المستعيرين لكتبها من غير الامينين قد عبثوا بها وبددوها ، ومن هذه المكتبات لم يبق

(١) رحلة ابن بطوطة ص ١٠٩ .
(٢) نفس المصدر السابق .
(٣) ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ٨٥ .

الا اسمها ، او التي بقيت فيها بعض الكتب ، او المكتبات المستحدثة الجديدة والتي بدأ يتكاثر عددها في السنوات الاخيرة ، ومن اهم هذه المكتبات العامة التي عرفت بها النجف في الماضي والحاضر هي :

مكتبة الملالي

وهي مكتبة منسوبة لآل (الملاّ) او الملالي كما هو المشهور ، الذين جمع بعضهم بين النقابة والحكومة ، والزعامة الروحانية ، وسدانة الروضة الحيدرية ، مدة ثلاثة قرون ، وقد انحدر من هذه الاسرة عدد من اكابر العلماء ، والفقهاء الذين كان لهم صيت في البحث ، والدرس ، والتأليف ، وان كتاب (الحاشية على تهذيب المنطق) هو من بعض مؤلفات جدهم الملاّ عبد الله بن شهاب الدين اليزدي المتوفى سنة ٩٨١ هـ والمعروف بالشهاب آبادي ، والذي لا يزال كتابه هـذا ومنذ اربعـة قرون وهو يدرس في المدارس العلمية ، وقد كانت للملا عبد الله مدرسة في النجف باسمه ، وقد ورد ذكر لكثير من اسماء كتبها ، وازدهارها بالعلم ، في عرض المرور بتراجم رجالات هذه الاسرة ، ومن الذين أشار الى ذلك السيد حسن الصدر في (تكملة الآمل) والسيد محسن الامين في (اعيان الشيعة) ، والشيخ اغابزرك ، والشيخ محمد السماوي الذي يقول عن هذه الاسرة في ارجوزته التي يستعرض بها سدنة الروضة الحيدرية فيقول :

ومنهم الحماة آل المـلاّ ومكثرو النوال حتى مـلاّ
مثل الفتى المحسن يوم الجود وذي الصلاح والتقى محمود ..

ولا يبعد ان تكون كتب هذه المدرسة من انفس الكتب واثمنها بالنظر لما تعاقب على رعايتها من رجالات هذه الاسرة من العلماء ، والفقهاء ،

والشعراء ، الذين لو جمع ما قيل فيهم من الشعر لالّف دواوين واسعة ، وهي اقدم مكتبة عامة لاقدم مدرسة وصل الينا خبرها ، وليس اليوم لهذه المكتبة اثر او بعض اثر .

مكتبة مدرسة الصدر

ومكتبة الصدر كانت ذات يوم اشهر مكتبة من المكتبات العامة في النجف فهي مكتبة أسسها الحاج محمد حسين خان الصدر الاعظم الذي كان رئيساً للوزارة الايرانية في ايام فتحعلي شاه القاجاري ، وذلك حوالي النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري ، وقد اسس هذه المكتبة ليستعين بها طلاب المدرسة الدينية التي كان قد بناها (الصدر) عند مدخل السوق الكبير ، وقد بذل الصدر الكثيرَ من المال لشراء اهم المصادر الخطية والمطبوعة من الكتب ، وعلى الرغم من تخصيص المبالغ الكافية للانفاق على هذه المدرسة ومكتبتها ، وطلابها ، ووقف عدد من الحوانيت لانفاق ريعها على كل ما ينقصها ، فقد بدأت هذه الكتب تستل من المكتبة يوماً بعد يوم حتى لم يبق اليوم ما يعتد به وخصوصاً المخطوطات ، والكتب الاثرية ، التي كان عددها في هذه المدرسة كبيراً حتى الربع الاول من القرن الرابع عشر الهجري . على انها اول مكتبة عامة انشئت كما كانت مدرسة الصدر اول مدرسة دينية انشئت بعد مدرسة الصحن الشريف وقد افاد كثير من العلماء والطلاب من هذه المكتبة في حينها .

مكتبة الإمام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

هي المكتبة التي اسسها الشيخ علي آل الشيخ محمد رضا آل الشيخ موسى

كاشف الغطاء ، ولم تكن يوم تأسست مكتبة عامة ، موقوفة للمطالعة كما هي الآن ، وانما كانت مكتبة خاصة يمتلكها الشيخ علي والد المرجعين الدينيين الشيخ احمد كاشف الغطاء ، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، ويرجع تاريخ اول تأسيسها الى اواخر القرن الثالث عشر الهجري ، فقد شبت مع الشيخ علي رغبة ملحة في البحث عن الكتب النادرة وجمعها ، واستنساخها ، وكانت لآل كاشف الغطاء ولا سيما لجدهم الشيخ جعفر الكبير مكتبة كانت من اندر المكتبات ، واوسعها جمعاً للكتب المخطوطة ، كما سيجيء الحديث عنها في بحث المكتبات الخاصة ، والكثير من هذه الكتب كانت فريدة في بابها وقد جمعها الشيخ جعفر الكبير من مختلف الاقطار الاسلامية إما بطريق الشراء او مما كان يهدى اليه ، ثم انتقلت هذه المكتبة الا القليل منها الى ابنه الشيخ موسى بطريق الوراثة ومنه الى اخيه الشيخ علي ، وقد تسرب من ذلك القليل شيء الى البيوت ، ومن هذا القليل المتسرب ما قد وصل شراء وإرثاً الى الشيخ علي آل الشيخ محمد رضا والد الامامين الشيخ احمد والشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، فكان هذا بمثابة النواة والمحفزّ للشيخ علي على الاهتمام بالكتب النادرة اكثر ، مما ضاعف هوايته ، وولعه ، في اقتناء الكتب النادرة

جانب من مكتبة الامام كاشف الغطاء



وقد اشتد هذا الولع عند الشيخ علي حتى دفع به الى التجوال والتطواف في ايران والهند والحجاز بحثاً عن الكتب وشرائها واستنساخها .

جاء في كتاب (هكذا عرفتهم) عن الشيخ علي ومكتبته : « وهنالك شيء

آخر له قيمته في شهرة الشيخ علي ثم في نشأة ولديه – الشيخ احمد الذي صار بعد ذلك مرجعاً من اكبر المراجع الدينية ، وزعيماً كاد ينفرد بزعامة الشيعة وحده ، ثم تلاه اخوه الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الذي صار هو الآخر من اكبر الزعماء الروحانيين بعد اخيه – الا وهو المكتبة فقد كان للشيخ علي كاشف الغطاء مكتبة انفردت بالكثير من الكتب العربية المفقودة ، وضمت مئات من الكتب النادرة التي بذل الشيء الكثير للحصول عليها ، وكانت تعتبر المكتبـــة الاولى في الشرق من حيث جمعها للنـــادر والمفقود من الكتب ، وعلى الرغم مما بيع منها بعد وفاته ، فهي اليوم لا تزال في عداد المكتبات المهمة وان كان مجموعها لا يزيد على بضعة آلاف كتاب جمعها بشق الأنفس كما يقولون ، ولقد روي فيما روي عن حرصه في اقتناء الكتب : انه بينما كان منهمكاً مرة في استنساخ كتاب خطي في احد الجوامع باسطنبول اذ جاءه احد الضباط للقبض عليه بناء على امر السلطان عبد الحميد الثاني متهماً إياه بالتواطؤ مع (ابي الهدى) في تدبير مؤامرة سياسية نمت عليها قصيدة نسب نظمها الى ابي الهدى ، وابو الهدى هذا كان من اقرب المقربين الى السلطان عبد الحميد ، ولكن الشيخ علي قال للضابط :

–كل من حدثك باني سأترك عمل استنساخ هذا الكتاب قبل ان اصل الى نهاية الفصل الذي يستلزم الانتهاء من استنساخه نحو ساعة ، او اكثر ، فلا تصدق ذلك .

وهكذا اضطر الضابط بداعي الاحترام الى الانتظار حتى يتم الشيخ نقل هذا الفصل من الكتاب ! ولقد كان الشيخ يجمع كتبه على هذا النحو من الحرص والاستماتة حتى اتم جمع تلك المكتبة النفيسة الثمينة »(١) .

(١) هكذا عرفتهم – لجعفر الخليلي ص ٢٢٨ .

وعن هذه المكتبة يقول جرجي زيدان « ومكتبة الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا الجعفري كاشف الغطاء وهي مكتبة قديمة حوت امهات الكتب ، ويتيمات المصنفات ، في نفائس العلوم ، والفنون ، واكثرها مكتوب في العصور الخالية ، ومن محتوياتها كتاب (مقاييس اللغة) (١) الذي يطبع اليوم في مصر و (الطراز) للسيد علي خان في اللغة (٢) و (المجمل) لابن فارس ، وغيرها وهي اكبر مكتبة في النجف » (٣) .

وكان الشيخ علي من الهمة والنشاط بحيث لم يفتر عن الاستنساخ والكتابة والتعليق على الكتب وتدوين الوثائق التاريخية وهو في اقصى حدود الشيخوخة ، حتى استطاع ان يجمع هذا الكنز الثمين من الكتب النادرة التي انفردت بها مكتبته .

يقول الشيخ علي الشرقي « ولعشاق الكتب نوادر كثيرة في وادي غرامهم هذا ، منها اني دخلت على احد هؤلاء الغلاة في هذا المذهب ، وهو الشيخ علي آل كاشف الغطاء في مكتبته الصغرى التي اقتصرت على ما ورّقه بيده ، ونسخه بخطه ، فوجدته جالساً على الارض ، وامامه طاولة صغيرة عليها كتاب مفتوح ومحبرة ، وقد شد على عضده مساطر خفيفة من الخشب شداً محكماً يمنع الرعشة التي في يده ، لانه شيخ وهنت قواه ، وقد شارف على التسعين من عمره ، وكان لابساً ثوباً سميكاً خصص للكتابة ، تراه مخططا بالوان ، والوان من مسح القلم ، ورذاذه ، وكان في يده قلم من الخيزران

---

(١) وهو كتاب لابي الحسين احمد بن فارس صاحب (المجمل) .

(٢) وهو في ثلاثة مجلدات كتب سنة ١١١٧ هـ والمظنون ان هذه المجلدات الثلاثة قد اشتراها الشيخ علي من مزاد كتب آل نظام الدولة .

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٢٨ .

القوي ، وكان مشغولاً بالنسخ فسألته عن عمر ذلك الثوب قال : بأن عمره يناهز السبعين وهو عندي اطيب من الغلالة التي يصفها الشاعر بقوله :

كاذيال خود اقبلت في غلالة   مصبّغة والبعض اقصر من بعض »(١)

وحين توفي الشيخ علي تولى المكتبة الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء وقد بيعت بضع مخطوطات منها بعد وفاة الشيخ علي ، ثم نالت هذه المكتبة من عناية الامام كاشف الغطاء الشيء الكثير ، وهو الذي اخرجها من حيز الملكية الخاصة ، الى المنفعة العامة ، واضاف اليها كتبه الخاصة وافرد لها مكاناً في مدرسته الواقعة بمحلة العمارة بجوار مقابر آل كاشف الغطاء وعين لها مشرفاً ، واصبحت منذ ذلك اليوم وحتى هذا اليوم مرتاداً للباحثين والمؤلفين ، والزائرين ، الذين يؤمون النجف وهي مسماة باسم الامام كاشف الغطاء لانه هو الذي وقفها وجعلها وقفاً للعموم .

ومن هذه الرسالة التي اجاب بها الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الشاعر القروي المتشبع شعره بالروح الوطنية حين كتب للامام بانه سيهدي ديوانه لهذه المكتبة نعرف مدى اعتزاز الامام بالكتب النفيسة ثم نعرف نظرته لهذه المكتبة او نظرة الناس لها على الاصح .

لقد كتب الامام كاشف الغطاء الى رشيد سليم الخوري الشاعر القروي يقول :

«أطلّت علينا منك يوماً سحابة   بدا برقها يعلو وأبطا رشاشها
فلا غيمها يصحو فييأس طامع   ولا ودقها يهمي فتروى عطاشها

---

(١) الاحلام ص ٥٩ .

عزيزي الشاعر القروي ، بل شاعر الدنيا ، بل شاعر الملأ الاعلى ، أفليست هذه الدرر التي تنظمها في سلك العروض ، والقوافي ، والحكم التي ترسلها آيات باهرات في قوالب الفاظ ، تملك القلوب وتسحر الالباب ، أليست هي وحي الملأ الاعلى ، وعالم المثال ، بل المثل العليا ؟ أليست هي الحكمة المتدلية من ارواح الازلية ، والواح الاحدية ، (ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً) فاذا الشاعر القروي هو الشاعر النبوي، والثائر العلوي ، اتاني كتاب ، نعم كان قد اتاني كتاب منك ، وما هو بكتاب ، بل هو على ايجازه ، واعجازه ، كتائب ، كتائب عوارف ، وسحائب معارف ، بل عواطف ، تعدنا فيه بارسال ديوانك ليس لنا بل لعامة ادباء النجف ، وان شئت فقل لادباء الدنيا فان (مكتبتنا العامة) هي للدنيا بل وللآخرة .

نعم وما احلى المواعيد والاماني كما قال الشاعر : (اماني من ليلى حسان كانما) الخ .. نعم ثملنا او سكرنا بوعدك قبل ان نشرب الخمرة ، او قبل ان نراها ، او كما قال العارف للصوفي ، او كما فرض ابن الفارض (سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم) فنحن كما في الكلام الدارج : نشكرك سلفاً سواء وفيت ، او نفيت ، وبررت بوعدك ، أم ابيت ، فان كتابك يكفينا عن ديوانك ، نجعله غرة ديواننا،وطرة عنواننا ، ونحتفظ به كما تحتفظ الملوك بخزائنها ، والارض بمعادنها ، فاسلم للعروبة والعبقرية والاسلام ، والسلام ، ولابيك الروحي » .

صدر من مدرستنا العلمية ٩ رجب الأصم ١٣٧٣هـ محمد حسين آل كاشف الغطاء

والمكتبة تحتوي اليوم على عشرة آلاف مجلد يبلغ عدد المخطوط منها نحو (٢١٠٠)مجلد وبين هذه المخطوطات كتاب (الحصون المنيعة) في طبقات الشيعة ، بخط مؤلفه الشيخ علي كاشف الغطاء ، مؤسس هذه المكتبة

الاول ، وهو في تسعة مجلدات ، يعد من اكبر واهم المصادر لتراجم الرجال ، واحوالهم ، وقد اعتمده كل المؤلفين الذين عنوا بتاريخ الادب الحديث ، وتاريخ البيوتات النجفية ، وقد سأل منا مرة الامام محمد الحسين ما اذا كنا نستطيع الاشراف على تصنيفه ، وتبويبه ، لنتولى إخراجه كله او استخراج مواضيع مستقلة منه ، فعظم علينا الأمر وتهيبناه . ومن اشهر ما احتوت عليه هذه المكتبة من المخطوطات هو :

١ ـ (سلوة العارفين وانس المشتاقين) لمحمد بن الملك الطبري مخطوط يرجع تاريخه الى ٤٥٩ هجرية .

٢ ـ الانوار النبوية في صحاح الاخبار المصطفوية) للحسن بن محمد الصاغاني مخطوط يرجع خطه الى سنة ٦٩٢ هجرية .

٣ ـ (المعرفة في اصول الحديث) للحاكم ابن عبد الله صاحب المستدرك ، مخطوط يرجع تاريخه الى سنة ٤٢٥ هجرية .

٤ ـ (شرح الشاطبية) لمؤلفه محمد بن مهدي مخطوط سنة ٧٠٠ هـ تقريباً .

هذه حاشية كتبها الشيخ البهائي على المصحف المنسوب خطه للامام علي (ع) والموجود بخزانة الامام الرضا (ع)

٥ ـ (انوار اليقين في امامة امير المؤمنين) لمؤلفه المنصور بالله امير المؤمنين الحسن بن محمد بن احمد بن يحيى بن يحيى الهادي الى الحق احد امراء اليمن وقد فرغ من تأليفه سنة ١١٠٨ هجرية .

٦ – (النهاية) لابن الاثير في باطن مدينة الموصل سنة ٦٠٥ هـ وعليها خط المؤلف .

٧ – (نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر) لضياء الدين بن يوسف ابن يحي احد أئمة الزيدية (جزأن) .

٨ – الايمان من كتاب (الكافي) للكليني مخطوط سنة ٧٠٨ هـ .

٩ – (مناقب امير المؤمنين) لاحمد بن اسماعيل بن يوسف القزويني مخطوط سنة ٨٠٥ هـ .

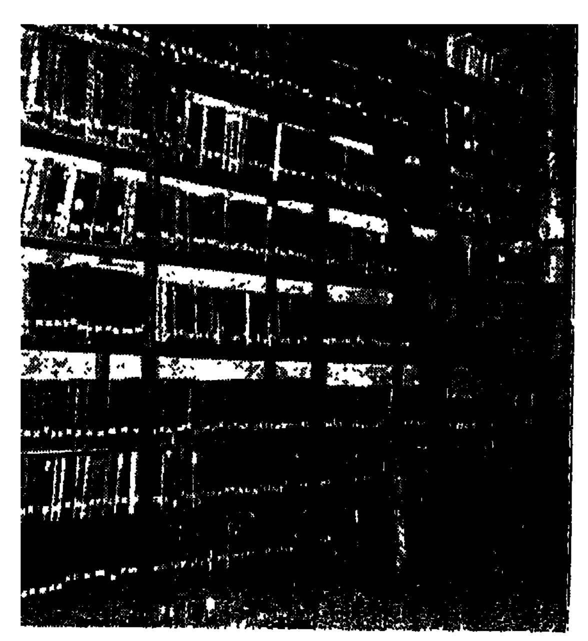
١٠ – (شرح المعالم) في اصول الدين لمؤلفه فخر الدين الرازي مخطوط سنة ٨٠١ هـ .

١١ – (تحفة الازهار) للسيد ضامن بن شدقم .

وهنالك عدد كبير من قواميس اللغة (كجوهرة القاموس) ليحي بن شفيع القزويني ، ومن التفاسير (كالوجيز في تفسير القرآن العزيز) للشيخ علي العاملي ، والدواوين الشعرية كديوان (الساعاتي) و (شرح ديوان المتنبي) لابن جني المخطوط سنة ٧٠٠ هـ و (شرح ديوان المتنبي) للواحدي المخطوط سنة ٧٥٠ هـ وعشرات المصاحف المخطوطة بالخطوط الفنية مما تنفرد بها مكتبة الامام كاشف الغطاء .

مكتبة حسينية الشوشترية

من اقدم مكتبات النجف العامة في العصر الاخير الموقوفة لجميع المطالعين بدون تخصيص ، وقد اسسها الحاج ميرزا علي محمد النجف آبادي ، وكان



جانب من مكتبة الحسينية الشوشترية

النجف آبادي هذا من رجال العلم الاتقياء ، وقد اسسها في اواخر القـرن الثالث عشر الهجري ، ووقفهـا للجميع ، وحين بنى التـاجر المعروف الحـاج محمد رضا الشوشتري (حسينية الشوشترية) في سنة ١٣١٩ هجرية (بعقد السلام) من محلة العمارة نقلت هـذه المكتبة بناء على وصية صاحبها الواقف ، الى هذه (الحسينية) ، وكان عددها يومذاك نحو (٢٠٠٠) كتاب واصبحت منذ ذلك اليوم تعرف بمكتبة (الشوشترية) ثم بدأت تتسع بما كان يضيف اليها بعض المحسنين من الكتب وبما كان يوصي الموصون بنقل كتبهم اليها ووقفها عليها ، بعد موتهم ، ومن هذه الكتب كانت كتب السيد محمد رضا النجفي الحلي ، فقد نقلت كتبه بعد وفاته من الحلة الى النجف ، وقد اجرى عليها الميرزا حسين النائيني المرجع الروحاني صيغة الوقف بخطه على ما روى الشيخ جعفر محبوبة (١) .

ومن هذه الكتب التي ضمت اليها ، كانت بقية الكتب الخاصة بالمكتبة المرتضوية العامة ، التي كان قد اسسها الحاج ميرزا عبد الرحيم (بلبلـه بادكوبه) ومنها كتب الشيخ جواد الزنجاني ، ومنذ مدة والمكتبة محدودة ليس لها من الموارد ما يضمن لها الاتساع غير بيت سكن كان قد وقفه مؤسسها (النجف آبادي) لانفاق ثمن ايجاره عليها .

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ١١٧ .

وفي هذه المكتبة التي تحتوي على عشرة آلاف نسخة من الكتب اليوم عدد من المخطوطات النفيسة ، واغلبها مستنسخة من نسخها الاصلية وبخط مؤسسها (النجف آبادي) فقد كان رجلاً ، عالماً ، فاضلاً ، ويبلغ عدد مخطوطاتها نحو (١٠٠٠) كتاب .

ومن نوادر كتبها :

١ ــ كتاب ضياء العالمين

٢ ــ كتاب انوار التوحيد

٣ ــ كتاب الصوارم الحاسمة .

٤ ــ تلقيح المناظر ــ تأليف ابن الهيثم ، وهو من كبار علماء الفلسفة والعلوم الرياضية .

٥ ــ تهذيب الأحكام لمؤلفه محمد بن الحسن الطوسي .

٦ ــ نتائج الافكار لزين الدين بن علي بن احمد العاملي مخطوط بسنة ٩٥٠ هجرية .

٧ ــ شرح الياقوت مخطوط بسنة ٧٨٧ هـ .

مكتبة مدرسة القوام

ومن المكتبات العامة : المكتبة التي تأسست مع مدرسة القوام الواقعة في محلة المشراق وبجوار مقبرة الطوسي ، والتي بنيت بنفقة فتح علي خان الشيرازي في اوائل القرن الرابع عشر الهجري وقد تناقل اخبار كتبها العلماء والفضلاء ، وكان لمكتبتها فضل في تسهيل مهمة الطلاب وجلهم كان من فحول العلماء وهي الاخرى لم يعد لها ذكر اليوم وقد آلت كتبها الى الضياع والتلف .

مكتبة مدرستي الخليلي

وللحاج ميرزا حسين الخليلي مدرستان احداهما تسمى بمدرسة الخليلي الكبرى ، وهي واقعة عند (راس عقد السلام) من محلة العمارة ، والثانية تسمى بمدرسة الخليلي الصغرى وهي واقعة في الشارع الذي يلي (عقد السلام) المذكور ، وقد عني الحاج ميرزا حسين الخليلي ايام زعامته الدينية بمكتبة هاتين المدرستين فضم اليهما كتبه الخاصة ثم حمل بعض الجهات على شراء بعض الكتب ووقفها عليهما ، وقد اسهم في شراء هذه الكتب عدد من التجار ، والامراء ، واهل الفضل ، كان منهم (معتمد السلطنة محمد حسين خان امير ينج) و (امير تومان) واكثر من خصها بالعناية بعد وفاة الحاج ميرزا حسين ابنه الشيخ محمد الخليلي ، وقد كسبت المكتبتان في وقتهما شهرة كبيرة بما احتوتا عليه من المصادر المهمة في التاريخ ، والعلوم ، والفقه المخطوطة والمطبوعة ، مراعاة لطبيعة الوقف الذي وقفه الحاج ميرزا حسين الخليلي الذي قصر سكنى هذه المدرسة على طلاب مراحل دراسة (الخارج) ، فكان لا بد ان تكون كتب هاتين المدرستين من كتب الاختصاص العالي في مختلف العلوم ، وكان تأسيس هاتين المكتبتين في زمن متقارب لا يتجاوز الخمس الاول من القرن الرابع عشر الهجري ، وما كان قد طرأ على مكتبات المدارس الدينية في النجف من الضياع قد طرأ على هاتين المكتبتين فاختفى الكثير من كتبهما وتلف البعض لكثرة الاستعمال ، ولم يبق الا عدد قليل لا يتجاوز اليوم (٢٠٠٠) كتاب عدداً .

مكتبة مدرستي الاخوند

وللشيخ محمد كاظم الخراساني المشهور (بالاخوند) ثلاث مدارس

بناها في ايام زعامته الروحية في نحو الربع الاول من القرن الرابع عشر الهجري ، ولما كان الشيخ (الآخوند) اكبر مرجع روحاني فقد عني عناية خاصة باسلوب التدريس وتغيير طرق البحث ، خصوصاً في علم (الاصول) فقد اكتظت المدارس ودور البحث بعدد الطلاب من جميع الاقطار الاسلامية واصبحت الحاجة الى الكتب اكثر من اي وقت آخر بسبب الاقبال على الدرس ، وحضور بحث (الاخوند) خاصة ، فاهتم الاخوند اهتماماً كبيراً بمكتبة المدرسة الكبرى الواقعة عند نهاية (فضوة الحويش الصغرى) من محلة الحويش ، ومكتبة المدرسة الوسطى الواقعة في شارع (آل الاعسم) والقاموسي من محلة البراق ، حتى لقد ضاقت الغرف المخصصة للكتب في هاتين المدرستين ، وقد امتازت مكتبة المدرسة الكبرى بانها حوت جميع الكتب والمصادر التي يحتاج اليها الطالب من اول دراسته المبتدية حتى آخر مراحل التدريس ، وقد احتوت على كثير من النسخ المكررة بقصد تسهيل الاستعارة ، والمطالعة لأكبر عدد من طلاب العلم ، اما مكتبة المدرسة الوسطى فعلى انها اقل عدداً من المكتبة الاولى فقد كانت تضم الكتب النادرة للدراسات العليا على غرار مكتبتي مدرستي الخليلي وان حال المكتبتين اليوم بسبب فقدان العناية ومرور الزمن ، كحال مكتبات المدارس الاخرى من التلف وفقدان الكتب المهمة ومع ذلك فان مكتبة المدرسة الكبرى لا يقل عددها عن (٢٠٠٠) كتاب وبضمنها المخطوطات النادرة المهمة .

مكتبة مدرسة اليزدي

وهي مكتبة انشئت في نحو الثلث الاول من القرن الرابع عشر الهجري ، بعد انتهاء بناء المدرسة الكبيرة الفخمة التي بناها السيد محمد كاظم البزدي في الشارع المسمى اليوم باسم مدرسة اليزدي ، من سوق الحويش ، وميزة

هذه المكتبة ليس في وفرة كتبها وما تضم من المصادر التي يحتاج اليها طلاب العلم فحسب ، وانما لان ما طرأ على كتبها من طوارىء الفقدان والتلف كان اقل من مكتبات المدارس الاخرى ، والسبب ان هذه المكتبة كانت موضع عناية خلفه السيد علي اليزدي ، وقد كان من المراجع الروحانيين بعد ابيه ، ثم موضع عناية اولاده واحفاده حتى اليوم ، ولما كان انفراد السيد محمد كاظم اليزدي بالزعامة الروحانية الشيعية انفراداً قل نظيره في التاريخ ، فقد سهّل ذلك تأسيس اكبر مكتبة بالنسبة لمكتبات المدارس في افخم مدرسة في يومها وهي اليوم احدى مكتبات المدارس المهمة في النجف .

المكتبة المرتضوية

ومن اهم المكتبات العامة التي نسقت تنسيقاً عصرياً في برامج منتظمة كانت (المكتبة المرتضوية) التي تأسست في نحو الربع الاول من القرن الرابع عشر الهجري ، وقد اسسها الميرزا عبد الرحيم (بلبله بادكوبه) وهو رجل من افاضل اهلم العلم جاء النجف من (بادكوبه) بالقفقاس ، فأسس مدرسة عصرية للعلوم الحديثة في قبال المدرسة (العلوية) باسم (المدرسة المرتضوية) والى جانبها اسس مكتبة عامرة بجميع صنوف الكتب في الدار الواسعة المعروفة بدار (آل الفاضلي) في محلة المشراق ، وقد امتازت هذه الكتب بما كان يصلها من المجلات والصحف من جميع الانحاء الى ما كانت تحتوي عليه من امهات الكتب ، وعلى ان الانفاق عليها كان من اهل الفضل ومن المحسنين ، فقد قيل يومها ان لروسيا يداً في معونتها لان تكاليفها كانت جد كبيرة ، وعدد كتبها تجاوز عشرة آلاف نسخة ، على ما يذكر الذين ادركوها ، وكانت المكتبة مكتظة بروادها صبحاً وعصراً ، وحين وقعت الحرب العظمى الاولى ، كان مؤسسها الحاج عبد الرحيم في

الهند ، فالزم بالاقامة الجبرية في بمبي ، وانقطعت النفقات ، وقد تصدى الشيخ ابو القاسم الماقمقاني لحفظ كيان المدرسة والمكتبة زمناً ، ولكن سوء الاحوال قد قضى على المشروع ، واغلقت المدرسة والمكتبة ، وباقتراح من الشيخ ابي القاسم نقلت بعض كتب هـــذه المكتبة الى مكتبة حسينية (الشوشترية) ونقل البعض الاخرى الى مكتبات المدارس الاخرى وختم بذلك تاريخ احدث مكتبة عامة تأسست على الانظمة الجديدة في النجف .

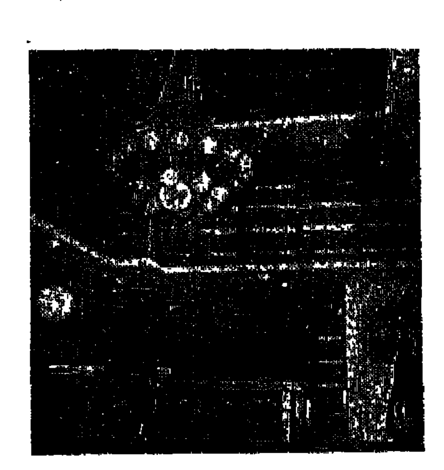
مكتبة الرابطة

تأسست مكتبة الرابطة لاول مرة في البيت التابع لمدرسة آل الخليلي بعقد السلام ، مع تأسيس جمعية الرابطة العلمية ، ثم انتقل مركز الجمعية وانتقلت المكتبة معه الى بيت آل العاملي المتصل بمقبرة آل الخليلي ، وهنا ازدهرت المكتبة والف القراء ارتيادها ، ولقيت من السلطات الرسمية تشجيعاً مادياً ، استطاعت ان تستعين به في شراء بعض المصادر المهمة كدائرة المعارف الانكليزية ، ودائرة معارف البستاني ، ودائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ، واهم المراجع التاريخية ، واللغوية وحين بنت جمعية الرابطة بنايتها خلف السور مما يلي محلة البراق ، خصصت لمكتبتها جانباً منها وناطت الاشراف عليها باحد اعضائها ، ولقد تم تأسيسها في نحو السنة ١٣٥١ هجرية ، وليس فيها من المخطوطات الا القليل مما اهدي اليها ، ويبلغ مجموع كتبها نحو ٣٥٠٠ مجلد .

مكتبة الامام أمير المؤمنين

شعر الشيخ عبد الحسين الاميني حين شرع بتأليف موسوعته (الغدير) بنقص كبير في عدد المصادر المطبوعة ، والمخطوطة ، لمن يريد ان يقدم

على اصدار موسوعة ، كاملة ، مهما كان نوعها وموضوعها ، وذلك اما لانعدام هذه المصادر في المكتبات العامة في النجف ، او لقلتها بحيث يتعذر تتبعها من قبل قارىء واحد ، ولمدة طويلة ، وهذا ما دعاه الى ان يطوف بعدد كبير من المكتبات في كثير من الاقطار الاسلامية بحثاً عن تلك المصادر التي كثيراً ما ورد ذكرها في بطون الكتب والفهارس ، دون ان يتسنى العثور عليها بسهولة ، حتى استطاع ان يجمع لموسوعته كل هذه المادة ، ومن هنا انبعثت في نفسه فكرة القيام بتأسيس مكتبة واسعة يجمع فيها اكبر عدد ممكن



جانب من طوابق مدرسة الامام

من امهات الكتب المخطوطة ، والمطبوعة ، ليسهل بذلك مهمة الدارسين ، والمتتبعين ، والمؤلفين ، ويوفر عليهم المشاق التي كابدها هو حين اضطره تأليف موسوعة الغدير الى التجوال والتطواف ، بكثير من المدن التي عرفت بخزائن كتبها ، وقد ساعدته على انجاز هذا المشروع الخطير شخصيته ، فاستعان بعدد من اهل الفضل ، والاحسان ، والمعرفة ، من ايران ، وما هي الا جولة حتى قامت في النجف مكتبة تعد من اكبر المكتبات العلمية الاسلامية من حيث الكيفية ، ثم ما لبث ان اشترى لها بيتاً بتلك المساعدات عند منتهى سوق الحويش ، وهدمه وشاد منه خزانة على احدث هندسة لحفظ الكتب ، وقاعة منظمة للقراءة ، والمطالعة ، ثم اشترى لها بيوتاً اخرى ستدخل ضمن هذه المكتبة ، وعلى ان عمر هذه المكتبة لم يزد اليوم على ثلاثين

سنة الا قليلا ، فقد حوت نحو ٣٠ الف كتاب تغني الكثير من المتتبعين عن طلب المزيد لما جمعت من نوادر الكتب المطبوعة ، اما المخطوطة فهي في حدود (٣٦٠٠) كتاب وقد تأسست سنة ١٣٥٣ والكتب لا تزال منذ اول تأسيسها حتى اليوم في زيادة مطردة .

اما محتوياتها من المصاحف النفيسة الفنية فهي من نوادر المخطوطات المذهبة التي قل نظيرها في المتاحف الفنية ، وقد جمعت من مختلف المتاحف من بيوت الامراء ، والاكابر ، في ايران ، والهند ، على سبيل الهدية ، وغير هذا فان لمخطوطاتها من الكتب القديمة النفيسة (كمفاتيح الغيب) وهو تفسير الامام ابي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي البكري الطبرستاني الشافعي المعروف بفخر الدين الرازي المتوفى عام ٦٠٦ ه والذي اكمل تفسيره نجم الدين القمولي ، وشهاب الدين الجويي ، وهو مطبوع

احدى قاعات المطالعة في مكتبة الامام



ولكن النسخة الخطية في مكتبة الامام تعتبر من انفس الآثار بين الكتب المخطوطة .

ومن اهم مخطوطاتها :

١ ـ من لا يحضره الفقيه ويرجع خطه الى ٩٨١ .

٢ ـ غرر الحكم ودرر الكلم يعود الى سنة ٧٤٠ هـ .

٣ ـ التبيان للشيخ الطوسي ، يرجع تاريخ خطه الى سنة ٥٠٠ هـ .

٤ ـ الكشاف للزمخشري مخطوط بسنة ٧٣٦ هـ .

٥ ـ صحاح اللغة للجوهري يرجع خطه الى سنة ٧١٣ .

مكتبة المنتدى

تأسست مع تأسيس جمعية منتدى النشر ونمت بذرتها اول ما نمت في بيت السيد موسى آل بحر العلوم في محلة المشراق وذلك في نحو سنة ١٣٥٤ هجرية وحين انتقلت جمعية المنتدى الى بيت (البانو) في شارع (الصدتومان) كانت المكتبة في ابان ازدهارها ونمت اكثر في البيت الواقع بشارع آل دوش حتى انتقلت اخيراً الى بناية جمعية المنتدى الجديدة الملتصقة بالصحن الشريف من جانب السوق الكبير ، ونواة هذه المكتبة قد تألفت من مجموعة الكتب التي تبرع بها أعضاء الجمعية ولم يزد مجموعها على (٣٠٠٠) كتاب وكلها مطبوعة وليس فيها من المخطوطات الا القليل الذي لا يزيد على ٥٠ كتاباً اهمها (المختلف) للعلامة الحلي ، و (الكفاية) للزيزواري ، و (المفاتيح) للكاشاني .

المكتبة العامة

وهي المكتبة التي اسستها وزارة المعارف في سنة ١٣٥٥ هجرية ثم التحقت بعد ذلك بالادارة المحلية وهي واقعة في مدخل مدينة النجف وخلف حديقة (ابوكشكول) في بناية بنتها الادارة المحلية خصيصاً لها .

اما كتب هذه المكتبة فلا تزيد على ٩٠٠٠ مجلدة وكلها من الكتب المطبوعة والمصادر التي تقتضيها المراجعات العامة من تاريخ ، ولغة ، وادب .

مكتبة جمعية التحرير

هي اليوم في بناية (جمعية التحرير الثقافي) الواقعة في جهة السور من محلة العمارة شمالاً وقد اسّستها الجمعية لتكون مرجعاً لطلابها ، فعنيت اكثر ما عنيت بالمصادر الضرورية للغة ، والادب ، والتاريخ ، وكان تأسيسها سنة ١٣٥٦ هجرية وهي السنة التي تأسست فيها جمعية التحرير في النجف ، وتحتوي على ١٢٥٥ كتاباً بينها عـــدد من المخطوطات القديمة وهي كسائر المكتبات العامة مفتوحة الابواب في وجوه مرتاديها من القراء والمطالعين .

مكتبة حنوش

موسس هذه المكتبة هو الحاج كاظم حسون آل حنوش وعلى ان الحاج كاظم رجل امي لا يعرف القراءة والكتابة فقد كان محبـــاً للعلم واهله ، وحين هاجر من النجف الى البصرة اقام في بيته مكتبة ما لبثت ان عمرت بطائفة من الكتب الجليلة والمراجع المهمة في مختلف العلوم وقد كان يوصي باعة الكتب بأن يحجزوا له من كل ما يرد اليهم من الكتب الجليلة نسخة

فيدفع بها للتجليد ، ثم يصفّها الى جانب كتبه ، وقد قال لنا وهو في البصرة انه انما يفعل ذلك لكي يبنى له مقبرة في النجف والى جانبها يقيم مكتبة عامة يقفها على القراء بقصد الاستثابة ، او الكفارة عن عمر قضاه محروماً من فضيلة القراءة والكتابة ، وهكذا قامت مكتبة حنوش الى جانب قبره في محلة البراق . وقد تأسست سنة ١٣٧٠ هجرية ، اما عدد كتبها فهو نحو ٣٠٠٠ كتاب في مواضيع مختلفة وليس فيها من المخطوطات الا بضعة كتب او اقل من ذلك ولم تعدم هذه المكتبة عدداً من القراء يقصدونها في كل يوم .

مكتبة الشيخ اغا بزرك

الشيخ آغا بزرك صاحب موسوعة (الذريعة الى تصانيف الشيعة) من تلامذة الامام الشيرازي بسامراء ، ومن الباحثين والمتتبعين ، وقد تملكته رغبة البحث عن الكتب منذ بداية اشتغاله بطلب العلم ، ومنذ ذلك الحين وهو يفكر ان يضع قاموساً واسعاً باسماء جميع الكتب المصنفة من قبل الشيعة من اول تاريخهم حتى اليوم فابتدأ يعد لهذه الرغبة عدتها وشرع منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري بوضع اساس هذه المكتبة بسامراء حيث كان يقيم ، وحين اتخذ النجف مسكناً نقل مكتبته إليهـــا ، واولاها كل عناية ممكنة لا مثاله ، وقد تيسر له جمع الكتب من مختلف الجهات وعلى الاخص من مصر وايران ، حتى أصبحت مكتبته اليوم من المكتبات المرموقة لما تجمّع فيها من نفائس الكتب المطبوعة والمخطوطة التي يرجع لها الفضل بعد ملكاته العلمية في مده بهذا الفيض الذي الف به هذه الموسوعة الكبيرة الخطيرة التي صدر منها اليوم نحو بضعة عشر مجلداً ضخماً ، في خزائن مثبتة في الجدران وفي قماطر مستقلة ، ومصنفة ، تصنيفاً جيداً .

بعض القماطر من مكتبة الشيخ اغا بزرك

وان مجموع مكتبة الشيخ آغا بزرك هـو (٥٠٠٠) مجلد ، ومن هذا المجموع :

١٠٠ نسخة من المخطوطات النادرة واهم هذه المخطوطات هو :

١ ــ مناهل الضرب للسيد جعفر النسّابة الاعرجي .

٢ ــ (مصباح السيد ابن طاووس) في الادعية .

٣ ــ (مصباح الشيخ الطوسي » في الادعية .

٤ ــ (آداب المناظرة) للعضدي .

٥ ــ (ابواب الجنان) للمولى محمد رفيع القزويني

٦ ــ (اثبات الواجبات الجلالية) للمولى جلال الدين الدوّاني .

٧ ــ (احكام اهل الآخرة) للسيد الشريف المرتضى .

٨ ــ (اخلاق ناصري) ــ فارسي ــ للشيخ نصير الدين الطوسي .

٩ ــ (ارشاد الاذهان) للعلامة الحلي .

١٠ ــ (بعض المباحث في علم الكلام) للسيد الشريف المرتضى .

ومنذ عشر سنوات وقف الشيخ آغا بزرك مكتبته هذه على طلاب العلم في النجف واخرجها من ملكيته الخاصة الى المالكية العامة وذلك في سنة ١٣٧٥ هجرية ، وعدت منذ ذلك الحين في عداد المكتبات العامة ، وهي في بيته الواقع في الشارع الثاني من الجديدة في النجف .

مكتبة الامام الحكيم

تعتبر مكتبة الحكيم اوسع المكتبات العامة في النجف تنظيماً ، وانتشاراً ، ومحتوى ، وذلك بفضل العناية الفائقة التي اولاها اياها الامام السيد محسن الحكيم بناء على ما لمس من شدة الحاجة للكتاب والمكتبات عند الطلاب والقراء والمتتبعين الذين زاد عددهم في السنين الاخيرة ، فقد اتسعت حركة الدراسة في هذه السنين اتساعاً لم تعد المكتبات الموجودة في النجف تكفي لسد الحاجة . ثم ان النجف لم تكن وحدها التي اثارت اهتمام الامام الحكيم وانما رأى ان يشمل النشاط في تأسيس المكتبات اكبر عدد من المدن وبأقصى الاستطاعة فخطا الخطوة الاولى في شراء الدور المجاورة للمسجد الهندي عند باب القبلة من الصحن الشريف في موقع يعتبر من اهم المواقع المناسبة لقيام مكتبة عامة عليها ، وهدّم هذه الدور ، وشيد منها مكتبة راعى فيها كل المقتضيات

الطابق الاعلى من مكتبة الامـــام الحكيم



التي تضمن لها الاتساع ولمرتاديها حرية العمل من المطالعة ، والنقــل ، والاستنساخ ، ثم شجع افتتاح الفروع لها حتى بلغ عدد فروعها اليوم ستين فرعاً ألحــق أغلبها بالحسينيات ، والمساجد في المراكز والمدن العراقية المهمة ، كما اصبح لها في خارج العراق ثمانية فروع وكلها تستمد المعونة من الامام الحكيم .

تأسيست مكتبة الحكيم في سنة ١٣٧٧ هـ وتألفت نواتها من كتب الحكيم الخاصة اولاً ، ثم شرع بالبذل في شراء الكتب بنشاط منقطع النظير بحيث صار مجموع كتبها لا يقل عن (١٥٠٠٠) مجلد من الكتب المطبوعة ونحو (٢٥٠٠) من الكتب المخطوطة وبينها عدد غير قليل من الكتب النفيسة النادرة وعمرها لم يزد على بضع سنوات ..!!

والى جانب الكتب المخطوطة النادرة فان مكتبة الحكيم تضم عدداً من المصاحف المخطوطة بأقلا م اشهر الخطاطين ، والرسامين المعروفين بهندسة الزركشة الفنية والتلوين في القرون الماضية وعلى الاخص في القرن الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر الهجري ، مما تعتبر من آيات الفن الخالدة .

وهنالك ميزة ذات أهمية كبرى امتازت بهـــا هذه المكتبة العامة التي لم يسبقها اليها سابق وهي انها قد عنيت عناية مخصوصة بتاريخ النجف العلمي والثقافي ، والمؤلفين النجفيين على اختلاف نزعاتهم فجمعت كل ما خص النجف ، وكل ما انتج المؤلفون النجفيون من مطبوع ومخطوط في جناح خاص منها وبذلك سهلت للباحثين ، والمتتبعين مهمة جد خطيرة واغنت المؤرخين والدارسين عن بذل الجهود الشاقة في ملاحقة اي موضوع يتعلق بالتراجم والكتب والمواضيع ذات العلاقة بالمؤلفات النجفية والمؤلفين النجفيين .

اما اهم مخطوطات هذه المكتبة فتتلخص فيما يلي :

١ – (المبسوط) للشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هجرية وهو بخط علي بن الحسين الواراني ويرجع خطه الى سنة ٥٨٦ هجرية .

٢ – (اجوبة المسائل) للشيخ ابن ادريس المتوفي سنة ٥٩٨ هجرية وهو بخط جعفر بن احمد بن الحسين الحائري وقد املاه عليه ابن ادريس في سنة ٥٨٨ هـ .

٣ – (منتهى المطلب في تحقيق المذهب) للعلامة الحلي المتوفي سنة ٧٢٦ هجرية وهو مخطوط بخط المؤلف ، و (المختلف) وهو الآخر من مؤلفات العلامة الحلي ومخطوط بخطه في سنة ٦٩٩ هـ وفي مجلدين ، و (نهج الحق وكشف الصدق) للعلامة الحلي مخطوط في سنة ٧٣٤ ، ومنتهى (السؤول) للعلامة الحلي مخطوط سنة ٦٩٧ هـ .

٤ – (نهج البلاغة) للشريف الرضي المتوفى سنة ٤٠٦ هـ بخط الحسين ابن ارد شير الطبري سنة ٦٧٧ وعليه اجازة يحي بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي بنفس التاريخ .

٥ – (شرح شواهد المفصل) للفاضل مظهر الدين محمد مخطوط سنة ٧٧٢ هـ .

٦ – (مختصر خلاف الشيخ الطوسي) مخطوط سنة ٦٩٩ .

٧ – (عصرة المنجود) في علم الكلام لعلي بن يونس البياضي العاملي مخطوط سنة ٨٣٤ هـ .

وتحتوي مكتبة الحكيم على ٤٥٠ مخطوطاً من كتب الشيخ محمد السماوي

المخطوطة وهي اليوم في نمو مطرد ، ويشرف عليها موظفون دائميون ، ويجد فيها زوارها كل التسهيلات الممكنة للتزود من كتبها .

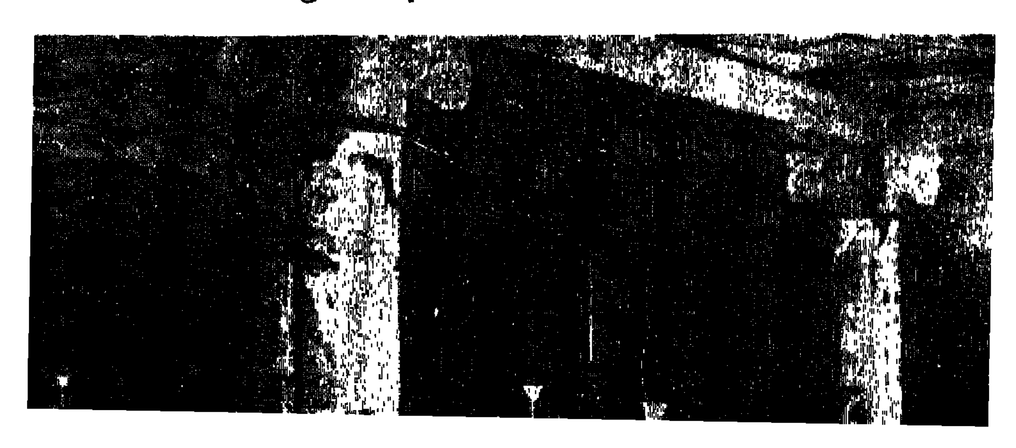
مكتبة البروجردي

هذه المكتبة من تأسيسات الامام الحاج آغا حسين البروجردي ، الذي اسس المدرسة الجديدة المعروفة باسم (مدرسة البروجردي) والواقعة خلف السوق الكبير من اليمين عند الخروج من باب الصحن الكبير وقد الحقت بها هذه المكتبة ليستعين بها طلابها في المراجعة والتتبع ، واكثر كتبها كأغلب مكتبات المدارس العامة تعنى بالفقه ، والاصول ، وعلم الكلام ، والرجال ، بالاضافة الى مئات المراجع التاريخية والادبية وتحتوي اليوم على ٨٠٠٠ مجلد لامهات الكتب وبينها ٢٠٠ كتاب من المخطوطات القديمة في التفسير والحديث والفقه ، وعلى كثرة عدد طلاب هذه المدرسة فان هذه المكتبة كافية لاغراضهم العلمية واغراض المراجعين لها من الخارج وقد كمل تأسيس المكتبة كمكتبة تامة في نحو سنة ١٣٧٨ ه واشتريت لها اخيراً كتب مكتبة النوري وضمت اليها .

مكتبة جامعة النجف

هي المكتبة الملحقة بمدرسة (جامعة النجف) ، الواقعة عند مفترق

جانب من مكتبة (جامعة النجف) التي اسسها الحاج محمد اتفاق



النجف وكربلاء ، وطريق النجف والكوفة ، على وجه التقريب ، وقد بنيت هذه المكتبة وفق تصميم خاص ، انفق عليه المحسن الحاج محمد اتفاق كجزء من بناء المدرسة ، ومدها بمبلغ جسيم تم به شراء نحو خمسة آلاف مجلدة من اهم المصادر وامهات الكتب وقد تم تأسيسها مع تأسيس المدرسة وذلك سنة ١٣٨١ هجرية وهي تحتوي اليوم على ٨٠٠٠ مجلدة وفي ضمنها ٤٠٠ كتاب مخطوط ، وتعتبر من اغنى مكتبات المدارس العامة في النجف ، لتوفر المصادر المطلوبة للتحقيق ، وللسيد محمد (كلانتر) الفضل الكبير في تحقيق فكرة هذه المكتبة الى جانب تحقيق قيام هذه المدرسة .

مكتبات أخرى

وهناك مكتبات عامة اخرى تابعة للمدارس الدينية في النجف اعرضنا عن ذكرها لقلة كتبها واقتصارها على مواضيع قليلة واغلبها في الفقه والحديث كمكتبة مدرسة الحاج محمد صالح الجوهرجي وغيرها .



جانب من مكتبة مدرسة الجوهرجي

مكتبات النجف الخاصة
قديمـــاً وحديثاً

ومكتبات النجف الخاصة التي يمتلكها اصحابها في بيوتهم ، هي كالمكتبات العامة الملحقة بالمدارس ، والمؤسسات ، لا يكاد يمر على وفاة مؤسسها بعض زمن حتى تزول من الوجود بالطرق التي اشرنا اليها من قبل ، لذلك كان من النادر ان نسمع باسم مكتبة يرجع تاريخها إلى ١٥٠ سنة فقد عاش في النجف ألوف من العلماء والبحاثين ورجال الادب في مختلف القرون ،وكان لكل واحد منهم في الغالب مكتبة كبيرة او صغيرة ، ولم يبق اليوم حتى اسمها في الوجود ، لذلك فاننا لن نستطيع ان نأتي الا على مقروآتنا ومعلوماتنا الشخصية وعلى بعض المصادر المطبوعة والمخطوطة عن تأريخ النجف الاخير .

مكتبة الرحيم

هي اقدم ما وصل الينا من اخبار المكتبات الخاصة التي تألفت في اواخر القرن التاسع الهجري وقد اسسها الشيخ عبد الرحيم وهو جد الاسرة المعروفة باسمه ، وقال عنها الشيخ جعفر محبوبة : ان مكتبتها كانت تضم كتباً نفيسة كثيرة ، وقد تلفت ولم يبق منها شيء وقد اجيز الشيخ الرحيم من الامام

الكركي اجازة علمية قال عنها الشيخ جعفر: انه وقف عليها وقال ان العلم انقطع عن هذه الاسرة ولم يبق منهم احد .

مكتبة آل الطريحي

وآل الطريحي من اقدم الاسر العلمية في النجف ، وليس من شك ان كانت لبعض علمائهم مكتبات خاصة ، غير ان اشهر هذه المكتبات التي جاء ذكرها في تراجم الاسر وفي تاريخ المكتبات هي مكتبة الشيخ فخر الدين الطريحي ، التي لم يبق اليوم الا ذكرها فقد تنوقلت كتبها من مكان الى مكان ولم يبق منها شيء .

روى الشيخ جعفر محبوبة عن هذه المكتبة ان انقاضاً منها لم تزل موجودة وهي مبعثرة متفرقة في ذريته ثم قال : « وحدثني بعض الاعلام انه رأى بعينه في سرداب في دار الشيخ نعمة الطريحي (ره) ما يقرب من ثلاثة أحمال أوراقاً مبعثرة قد أتلفها المطر فنقلت وألقيت في البحر (١) وهو (ره) كان قد رتب بعض الاوراق فكملت عنده بعض الكتب منها » (٢) وكان تأسيسها في طلائع القرن الحادي عشر الهجري

مكتبة الجزائري

والجزائري هذا هو الشيخ احمد جد الاسرة الجزائرية الشهيرة ، وهي اسرة علمية اشتهرت مكتبة جدهم بما كانت تضم من الكتب الخطية النادرة ،

(١) كان بحر النجف الى الثلث الاول من القرن الرابع عشر الهجري بين مد حتى الطوفان ، وجزر حتى الجفاف حسب المواسم والسنين .

(٢) ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ١٠٤ .

وعلى الاخص في الفقه ، والحديث ، والرجال ، ومن الحواشي التي وجدت ، والاجازات التي كتبت على صفحات بعض الكتب القديمة يستدل على نفاسة تلك المخطوطات ، وقد تأسست هذه المكتبة في اواخر القرن الحادي عشر الهجري وتعتبر من اقدم المكتبات الخاصة التي وصلتنا اخبارها ، وبعد وفاة الشيخ احمد انتقلت هذه المكتبة وراثة الى اولاده ثم توزعت ، وكان لدى الزعيم الروحاني الشيخ عبد الكريم الجزائري ولدى اخيه الشيخ محمد جواد الجزائري عدد من هذه الكتب الموروثة .

مكتبة السيد عبد العزيز

هو جد اسرة آل الصافي المعروفة في النجف وقد كانت له مكتبة زاخرة بأنفس المخطوطات المجلدة والمذهبة ، تعد بالالوف ، واشار اليها الشيخ جعفر في ماضي النجف وحاضرها ، وجاء في (نهج الصواب) ان السيد عبد العزيز قد وقفها على اولاده وانها قد تفرقت بعد ذلك وتلفت ، واتت على اغلبها الارضة حتى القيت جملة منها في البحر ، وفي الآبار ، وقد رأينا نحن بعض هذه الكتب وعليها اشارة الوقف في بيت السيد محمد رضا الصافي احد احفاد السيد عبد العزيز ، اما تأسيس هذه المكتبة فقد كان في منتصف القرن الثاني عشر .

مكتبة آل بحر العلوم

وهذه المكتبة من اقدم مكتبات النجف الخاصة التي وصلت الينا اخبارها ايضاً فقد اقتناها الزعيم الروحاني الكبير السيد محمد مهدي بحر العلوم جد الاسرة العلمية الكبيرة المعروفة باسمه في النجف ، وان انفراده بالزعامة

الروحية الواسعة جاء نتيجة لتبحره في عدد من العلوم والمعارف بالاضافة الى تبحره في الفقه والحديث ، واللاهوت ، وقد تواترت الاخبار عنه بأنه قلدا وجد كتاب في العربية والفارسية دون ان تكون نسخة لديه منه ، وقد قيل ان مكتبته نفسها مثلت هذا البحر من العلوم كما مثله هو ، وجاء في (المستدرك) عن السيد محمد مهدي انه : « قد اذعن له جميع علماء عصره ومن تأخر عنه ، بعلو المقام ، والرياسة في العلوم النقلية ، والعقلية ، وسائر الكمالات النفسانية (١) وجاء في (ماضي النجف وحاضرها) ان مكتبته كانت مشتملة على نفائس المخطوطات ، وكلها محلاة بالذهب ، ومجدولة ، جيدة الخط والقرطاس ، ولم يوجد فيها مطبوع ، وانتقلت بعده الى ولده السيد رضا ، وبعد وفاته انتقلت الى اولاده السيد محمد تقي ، والسيد حسين ، والسيد علي ، وقد جمع اكثرها السيد علي آل بحر العلوم صاحب (البرهان القاطع) (٢) وكان تأسيس هذه المكتبة في نحو الثلث الاخير من القرن الثاني عشر الهجري .

مكتبة آل القزويني

من اشهر المكتبات الخاصة بآل القزويني كانت مكتبة جدهم السيد احمد الكبير ، وقد حوت هذه المكتبة من النفائس ما اشار اليها غير واحد في ذكر الكتب ، والمكتبات ، وكل كتبها كان من المخطوطات النادرة ، والمنحصر بعضها بهذه المكتبة ، ولا يبعد ان تكون لهذه المكتبة آثارها في نشأة عدد من علماء هذا البيت .

(١) الكنى والالقاب ج ٢ ص ٥٩ .
(٢) ماضي النجف وحاضرها — ج ١ ص ١٠٣ .

اما تأسيسها ففي حدود الثلث الاخير من القرن الثاني عشر وقد انتقلت هذه المكتبة النفيسة بعد وفاة السيد احمد الى اولاده ، وتوزعت عليهم . وقد نقل الشيخ علي كاشف الغطاء : انه يملك في مكتبته نفائس من كتبها ، وقد جمع السيد مهدي القزويني بعد ذلك على ما روى الشيخ جعفر محبوبة نقلاً عن (نهج الصواب) كثيراً من الكتب العلمية ، والادبية ، وكتب النسب ، حين اقامة السيد مهدي في النجف ، فضاهى بها اشهر مكتبات النجف ، واوسعها ، وفيها مؤلفات من سائر الفنون وقد احتوت على ما ينيف على ألف مجلد من الكتب المخطوطة الجيدة ، وجملة منها بخطوط مؤلفيها ، وقد انتقلت اليه بالارث من ابيه السيد حسن ، ومن كتب عمه السيد باقر ، وزادها اولاده من بعده ، وهي اليوم متفرقة عند احفاده في النجف والحلة (١) .

مكتبة الشيخ جعفر الكبير

هو صاحب كتاب (كشف الغطاء) الذي لقب الاسرة باسمه ، وقد كان شيخ الفقهاء ، قال عن كتابه الشيخ الانصاري على ما روى الرواة ان من اتقن القواعد الاصولية التي اودعها الشيخ جعفر في (كشفه) فهو عندي مجتهد ، وجاء في (مستدرك الوسائل) للميرزا حسن النوري عنه « فان نظرت الى علمه فكتابه (كشف الغطاء) الذي ألفه في سفره ينبئك عن امر عظيم ، ومقام علي في مراتب العلوم الدينية اصولاً وفروعا » وفي اسفاره الطويلة في الحجاز وفي ايران استطاع ان يجمع اندر الكتب وانفسها ، وامتازت مكتبته بكونها حوت نسخاً فريدة انحصرت بها دون المكتبات الاخرى فكانت هي ومكتبة السيد بحر العلوم ، باعتبارهما معاصرتين لبعضهما ، مضرب

(١) ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ١١٥ — ١١٦ .

المثل ، بيد ان المخطوطات القديمة النادرة في مكتبة الشيخ جعفر كانت اكثر من المخطوطات النادرة في مكتبة بحر العلوم بسبب الاسفار التي قام بهـا الشيخ جعفر ودأبه في البحث عن الكتب في جميع مظانها في تلك الاسفار واقتنائه لها .

وكان تأسيس هذه المكتبة في اواخر القرن الثاني عشر الهجري ، وحين توفي مؤسسها انحصرت هذه المكتبة بابنه الكبير ثم بأخيه الشيخ علي في قصة سنأتي بخلاصتها في تاريخ مكتبة الشيخ علي آل الشيخ محمد رضا الشيخ هادي الشيخ عباس كاشف الغطاء .

مكتبة آل محي الدين

هي مكتبة الشيخ محمد بن الشيخ يوسف محي الدين احد علماء هذه الاسرة ؛ وكانت عنده كتب عدت بالالوف . وقد أشار اليها الشيخ علي كاشف الغطاء وعدها من المكتبات المهمة بما كانت تحتوي عليه من نفائس الكتب . وحينما مات بيعت هذه الكتب وقد رأيت انا البعض منها في مكتبة الشيخ قاسم محي الدين وقد كتب عليها الشيخ قاسم انه اشتراها من بعض من وجدها عنده لان عليها حواشي بخط الشيخ محمد الشيخ يوسف ، وكن تأسيس هذه المكتبة في اواخر القرن الثاني عشر الهجري .

مكتبة الشيخ محمد باقر الأصفهاني

قال الشيخ جعفر محبوبة نقلاً عن (نهج الصواب) : جمع هذا الشيخ كتباً نفيسة في سائر الفنون وكان يشتريها بأغلى القيم ، واستنسخ جملة كثيرة

منها ، وهو من عشاق الكتب والحريصين عليها وقد استأجر لها داراً خاصة ، وعين عليها قيّماً ، واباح المطالعة والاستنساخ لكل من اراد ، فكانت مكتبته عامة نافعة لسائر المحصلين ، والمستفيدين ، ثم لما اراد الرجوع الى وطنه اصفهان باع جملة منها في النجف ، وجملة منها في كربلاء ، وحمل ما اختار منها الى اصفهان على ما روى الشيخ علي كاشف الغطاء .

ويستنتج من ترجمته الواردة في (اعلام الزركلي) بتعيين وفاته في سنة ١٣١٣ هجرية ان تأسيس مكتبته كان بعد منتصف القرن الثالث عشر الهجري .

مكتبة السيد احمد هلاله

هذا السيد من وجهاء سادات القبائل في البطائح ، وكانت له في النجف دور واملاك ، وقد عرف بهوايته الكتب ، واقتنائها ، وقد كان ينفق على شراء الكتب كثيراً ، والمروي عن كتبه انها كانت من النفائس النادرة ، وجلها من الكتب المخطوطة ، وقد شاهد بعض كتبه هذه الشيخ علي كاشف الغطاء على ما روى في كتابه (نهج الصواب) ، وكان تأسيسها في اوائل القرن الثالث عشر ولم يبق اليوم منها غير ذكرها في بعض حواشي الكتب والتراجم .

مكتبة السيد ميرزا الأصفهاني

وقال الشيخ جعفر محبوبة : نقلاً عن (نهج الصواب) للشيخ علي كاشف الغطاء ان السيد ميرزا الاصفهاني كان من عشاق الكتب وممن صبا الى جمعها واقتنائها ، وان لم يكن من اهل الانتفاع بها ، وكان حريصاً على كل كتاب في اي علم واي لغة ، اكان ملكاً او وقفاً ، وبعد وفاته بيعت هذه الكتب

وظهر ان جملة منها من موقوفات مدرسة (چهار باغ) في اصفهان ، وقد احتوت مكتبته على جملة من المخطوطات القديمة ، وبعضها بخط مؤلفيها ، او عليها اجازة منهم ، وكان فيها (النهاية) لابن الاثير قرئت على مؤلفها ، وعليها اجازة منه (١) وهي النسخة التي تضمها الآن مكتبة الامام كاشف الغطاء ، وقد مر ذكرها ، ولم نجد للسيد ميرزا الاصفهاني ترجمة فيما تحت ايدينا من المصادر لنعين تاريخاً لتأسيس مكتبته ، ولكن المظنون من ترتيب ذكره في (نهج الصواب) انه في حدود اوائل القرن الثالث عشر الهجري .

مكتبة الحاج ملاّ علي الخليلي

وكان الحاج ملا علي الخليلي مملقاً ، وزاهداً في المال ، ومتقشفاً غاية التقشف ، في ملبسه ، ومأكلـه ، وقد ورثت زوجته من ابيها اطياناً ، وثروة ، فهي ابنة السيد محمد الرحباوي الذي قامت معركة الزگرت والشمرت بسبب مقتل اخيه السيد محمود ، فوضعت كل ثروتها تحت نفوذ زوجها الحاج ملا علي ولكن زوجها لم تمتد يده اليها لزهده ، ونسكه المعروف ، غير انه استعان ببعض المال منها في شراء الكتب ، وبذلك تألفت مكتبته الكبرى .

وقد كانت هذه المكتبة تمتاز على المكتبات الاخرى في عصرها بما كانت تضم من كتب الرجال ، والتراجم ، حتى لقد قيل ان كثيراً من كتب الرجال التي ورد ذكرها في بطون التواريخ والتي اعتبرت مفقودة كانت لديه منها نسخة ، اذا لم تكن النسخة الاصلية نفسها ، ولذلك اعتبرت مؤلفاته في

(١) ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ١٠٦ .

الرجال من ادق ، واصح ما اؤلف في هذا الباب ، وقد روى بعض افراد اسرة الخليلي ان الكتب التي تخص علم الرجال ، او تراجم احوالهم وسيرتهم ، وعلى الاخص رجال الحديث ، والرواية ، كانت وحدها تتجاوز الف كتاب !!! وهناك نحو الفي كتاب آخر في سائر العلوم كان قد وقف الجميع باستئذان زوجته على طلاب العلم فوزعت بعد وفاته على المدارس الدينية وطلاب العلم (١) .

اما مؤلفاته فقد انتقلت الى ورثته ولم يزل بعضها عند احفاده ومنها بعض مؤلفاته وحواشيه على الاسفار في بعض المكتبات الخاصة في النجف ومنها احد مؤلفاته في الرجال وغيره في مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء .

وكان تأسيس مكتبة الحاج ملا علي في حدود العشرات الاولى من القرن الثالث عشر الهجري .

مكتبة السيد علي بحر العلوم

هو حفيد السيد محمد مهدي بحر العلوم ، وقد رويت عن مكتبته روايات كثيرة لان جل مكتبة جده قد آلت اليه قبل بيعها ، ولانه اضاف اليها ما استطاع ان يجمع من الكتب النفيسة النادرة . وقد روي عنه انه كان سخياً يبذل المال في سبيل اقتناء الكتب ، والحق ان هذا السخاء في شراء الكتب صفة لازمت اعضاء هذه الاسرة في مختلف العصور حتى تكاد لا تجد بيتاً من بيوت هذه الاسرة حتى هذه الساعة ولم تصف الكتب في رفوفها

(١) يراجع (اعيان الشيعة) للسيد محسن الامين ، و (دار السلام) للميرزا حسين النوري ، و (الحصون المنيعة) للشيخ علي كاشف الغطاء ، و (الذريعة) للشيخ اغا بزرك .

الى السقف مما سنشير الى المهم منها في هذا الحقل ، وعند وفاة السيد علي بيعت هذه الكتب. وتفرقت وقد اشترى طائفة من كتبها الشيخ علي آل كاشف الغطاء كما احتفظ بعدد من مخطوطاتها بعض الورثة من اسرة بحر العلوم ، وقد تأسست بمكتبة السيد علي في منتصف القرن الثالث عشر الهجري .

مكتبة آل نظام الدولة

بين آل نظام الدولة – الذين بنى جدهم السور المحيط بمدينة النجف لحفظها من الغارات ، وبنى مدرسة الصدر التي مر ذكر مكتبتها – عدد من العلماء ، والفضلاء والادباء ، والذين عنوا بالكتب واقتنائها ، وكان علي محمد خان الملقب بنظام الدولة من اشهر اعضاء اسرته اعتزازاً بالكتب لفضله وطول باعه في العلوم الادبية ، وقد جمع من الكتب التي جلبها من مختلف الاقطار العربية منها والفارسية عدداً بلغ عشرين ألف كتاب ، واغلبها مخطوط بخط مؤلفيها في العصور القديمة ، وقد قيل انه كان يوفد رسلاً الى جهات بعيدة ليجمعوا له الكتب النادرة ، ويشتروها بأغلى الاسعار حتى الف هذه المكتبة الزاخرة بما ندر من الكتب والتي انحصرت بعض نسخها بمكتبته وحده ، وكان تأسيسها في نحو القرن الثالث عشر الهجري وقد نقل الواقفون عليها : انها كانت كلها مجلدة تجليداً فنياً ، والمستنسخة منها كانت بخطوط عدد من الخطاطين المشهورين في عصرهم ، وحين توفي نظام الدولة في نحو سنة ١٢٧٦ هجرية انتقلت هذه المكتبة الى اولاده ، ثم صارت بعد ذلك في حوزة الحاج علي آغا من احفاده وعند موت الحاج علي آغا كان وصيه الشيخ عبد الله المازندراني – وهو احد المراجع الدينية – وكان الشيخ علي آل كاشف الغطاء ناظراً في الوصية ، ويقول الشيخ عبد العزيز الجواهري: وحين توفي الحاج علي آغا كنت انا من شهود (مزاد) هذه

الكتب ، وبين هذه الكتب كانت نوادر من المخطوطات النفيسة ، كان منها (طراز اللغة) تأليف السيد علي خان المدني الشيرازي وكان في مجلدين (١) وهو يجمع بين لغة القاموس والقرآن الكريم والحديث ، والتفسير ، والامثال ، بعبارات مختصرة ، ولكنها وافية كافية ، وكان قد وصل في تأليفه الى باب (القاف) و (الصاد) من كلمة (قمص) ، وقد طبعت نسخة من هذا الكتاب قبل سبعين سنة طبعاً حجرياً في الهند ، ورأيت نسختين خطيتين منها احداهما في هذا (المزاد) والثانية في مكتبة مدرسة (الصدر) بطهران ، وكانت قد انتهت بحرف (الزاي والراء) ثم رأيت كتاب (صحاح الجوهري) في مجلدين ، واغلب الظن انه بخط ياقوت المستعصمي فاشتريت انا هذين المجلدين ، ثم رأيت كتاب (الحدائق الوردية في تاريخ الائمة الزيدية) كذلك رأيت (تاريخ قم) الذي الف بالعربية وقدم للصاحب بن عباد في القرن الرابع الهجري ، والمعروف ان هذه النسخة فريدة وقد انحصرت في هذه المكتبة (٢) .

واشترى الشيخ علي كاشف الغطاء عشرات من كتب آل نظام الدولة في (المزاد) وتنافس معه في الشراء عدد من اصحاب المكتبات وهواة الكتب لذلك تناثرت هذه الكتب وتوزعت في أغلب البيوت . وقالت لنا ابنة الحاج علي آغا : ان اباها كان قد اوصى لامها بكتابين مخطوطين ، احدهما لسعدي الشيرازي والثاني لحافظ الشيرازي ، وترك هذين الكتابين في خزانة الشيخ عبد الله المازندراني بصفة امانة وقال لزوجته : لقد تركت لك هاتين النسختين

---

(١) المعروف انه في ثلاثة مجلدات وهو في حوزة مكتبة الامام كاشف الغطاء على ما نعلم نحن وعلى ما روى جرجي زيدان ، والمجلد الثالث منه مكتوب بخط المؤلف على رواية (دليل الجمهورية العراقية ص ٥٤٢ لسنة ١٩٦٠).

(٢) كتا بخا نهاي ايران – بالفارسية – تأليف عبد العزيز الجواهري ص ١٠٣ .

على سبيل الهدية والهبة ، وارجو ان لا تفرّطي بهما ، فهما نسختان عديمتا النظير من حيث الفن ، والتخطيط ، والتلوين ، والاخراج . وقد تولى بيع هاتين النسختين التاجر الحاج محمد رضا الشوشتري في النجف بمائة ليرة ذهباً وباعهما المشتري ببغداد بعد اسبوعين فقط بألف ليرة ذهبـاً واخرجهما هذا المشتري الى اوروبا .

مكتبة الحاج ملاّ باقر

وكانت للحاج ملا باقر الشوشتري مكتبة نفيسة أسسها في نحو الثلث الاخيره من القرن الثالث عشر الهجري وكانت تحتوي على ٣٠٠٠ كتاب ، ومعظمها كان من الكتب المخطوطة النادرة التي انفردت هذه المكتبة بالحصول عليها بين المكتبات المعروفة بجمع النادر الفريد ، ومن اهم هذه الكتب :

١ ـ نسخة من زبور داود يرجع تاريخ خطها الى اوائل القرن الرابع الهجري .

٢ ـ نسخة من (شرح الصحيفة السجادية) قديمة .

٣ ـ نسخة من كتاب (كشف اللثام في شرح شرايع الاسلام) للفاضل الهندي ، وهي بخطه .

وان اغلب كتب هذه المكتبة قد انتقلت بعد ذلك من النجف الى بمبي وقد تلفت ، بسبب الرطوبة وانعدمت من الوجود على ما نقلوا (١) .

(١) كتابخانهاي ايران ـ بالفارسية ـ لعبد العزيز الجواهري ص ١٠٥ .

مكتبة الخونساري

اسس هذه المكتبة الشيخ آقا محمد علي الخونساري في نحو الثلث الاخير من القرن الثالث عشر الهجري ، وكانت تحتوي على عدد كبير من نفائس المخطوطات النادرة التي أفنى عمره في جمعها سنين طويلة، وكان فيها على ما نقلوا ، ما لم يوجد في غيرها من المكتبات من النسخ والكثير منها مخطوط بخطوط قديمة ، منها (سلوة الغريب) و(رحلة السيد علي خان المدني الشيرازي) إلى مكة والهند، وهي التي اكتسبت شهرة كبيرة في عالم الكتب بالنظر لاهمية بحوثها(١) وقد انتقلت وراثة الى أولاده ، وكان لها فهرست بأسماء جميع محتوياتها ، ولم يبق لها أثر اليوم .

مكتبة النوري

والنوري هذا هو الحاج ميرزا حسين النوري من ابناء القرن الثالث عشر الهجري ، ومن ابرز العلماء واكثرهم انتاجاً ، واوسعهم اطلاعاً بالحديث ، وعلم الرجال ، والسير ، لذلك كثرت مؤلفاته في مختلف المواضيع ، وان مثل هذه الوفرة من المعرفة والتأليف كان لا بد له من مؤونة وافرة من الكتب بجميع اصنافها وابوابها ،

يقول خير الدين الزركلي في (الاعلام) عنه انه : « فقيه امامي ولد في قرية (يالو) من قرى (نور) احدى « كورطبرستان) وتوفي في الغري (بالكوفة) ، ومن كتبه (نفس الرحمن في فضائل سلمان) ، و (دار السلام) في الاحلام ، مجلدان جمع فيهما ما يتناقله الناس في ذلك ، و (مستدرك

---

(١) نفس المصدر السابق .

الوسائل) في الفقه ثلاثة أجزاء و (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الارباب، و (معالم العبر) . و (جنة المأوى) و (الفيض القدسي في احوال المجلسي) و (كشف الاستار) و (اللؤلؤ والمرجان) في نقد قراءة التعازي (١) وتحية الزائر في الزيارات وله كتب اخرى ورسائل بالفارسية طبع اكثرها (٢) .

واتسعت دائرة مكتبة النوري اتساعاً لفت اليه الانظار فقد بلغ من شغفه باقتناء الكتب واستنساخها وجمعها من مختلف الاقطار ، ان رويت عنه قصص كثيرة و اصبح هو بفضل علمه ، واحاطته الواسعة، ومكتبته بفضل جمعها المصادر والكتب النادرة ، مرجعين مهمين للبحوث ، والدراسة ، والتتبع بجميع صنوفه .

جاء في الاحلام للشيخ علي الشرقي ص٦٠ : « ومن نوادر هؤلاء الصرعى في حب الكتب كان الشيخ الجليل (النوري) وكان قد اعياه الطلب لكتاب ، وصدفة عثر عليه في السوق ، وقد عرضته امرأة للبيع ، وصادف فراغ كيسه من النقود ، فوقف وسط السوق بالقرب من تلك المرأة ، وامسك بيده على الكتاب حرصاً ، وصار لا يستطيع ان ينقل خطوة ، وكانت عليه عباءة ثمينة فخلعها ودفع بها للمنادي في المزاد فباعها هذا بثمن بخس ، وسلم للمرأة ثمن الكتاب ومشى في السوق ، والطريق ، بدون عباءة . وهي مشية لا تتناسب وامثاله من رجالات الفضيلة ولكنه كان مزهواً بها لامتلاكه الكتاب » .

(١) المقصود بالتعازي هنا مجالس العزاء التي يقيمها خطباء المنابر في المآتم الحسينية .

(٢) احسن الوديعة ص ٨٩ ، وايضاح المكنون ج ١ ص ٣٦٩ ، واعيان الشيعة ج ٢٧ ص ١٣٩ ، وورد اسمه في هامش فهرست الطوسي ص ٨٠ « اخرجه خير الدين الزركلي في الاعلام ج ٢ ص ٢٨٢ » .

والمروي ان هذا الكتاب الذي عثر عليه الميرزا النوري هو اصل من الاصول الاربعماية المخطوطة التي ملك منها في مكتبته اجزاء كان هو اول من حصل عليها .

ويقول الشيخ عبد العزيز الجواهري : ان من جملة الكتب النادرة الفريدة التي زخرت بها مكتبته والتي اشار اليها الميرزا النوري نفسه في خاتمة كتابه (مستدرك الوسائل) هو كتاب : (الاشعثيات) او (الجعفريات) لاسماعيل ابن الامام موسى بن جعفر الصادق (ع) ويعتبر من اهم الكتب ، ولما كان الراوي لمضامين هذا الكتاب هو محمد بن محمد الاشعث فقد سمي (بالاشعثيات) ثم كتاب (مسائل علي بن جعفر) وكتاب (سليم بن قيس) وبعض الكتب النادرة التي لم يستطع الحصول عليها (المجلسي) لاعتمادها في تأليف موسوعته (بحار الأنوار) ، والحر العاملي لاعتمادها في تأليف كتابه (وسائل الشيعة) ثم نسخة من (رياض العلماء) الوحيدة التي يمتلكها اليوم اقا محمد باقر بن اقا نجفي باصفهان ، واغلب هذه الكتب — على ما قال الجواهري — اما ان تكون قد احترقت او تبعثرت باستثناء بعض النسخ التي انتقلت الى مكتبة الشيخ فضل الله النوري (١) اما الواقع الذي نعرفه نحن فانه لم يتلف منها الى القليل ، وقد ابتيعت اخيراً وضمت الى مكتبة البروجردي كما مر الحديث عنها .

ويضيف على هذا جرجي زيدان قائلاً : « وكان في النجف خزانة تسمى مكتبة الشيخ ميرزا حسين النوري وكان فيها من جلائل المصنفات في العلوم والفنون شيء كثير ، وكلها خطية نادرة ، الا انها كانت عزيزة

---

(١) كتابخانهاي ايران — بالفارسية — ص ١٠٢ .

المنال كأكثر كتب النجف ، ثم تفرقت في النجف بعد موت صاحبها منذ نحو عشر سنين ، وكان له ثلاث مكتبات : هذه التي كانت في النجف ، والثانية كانت في طهران ، والثالثة في هندستان . والميرزا النوري صاحب تآليف شتى اكثرها طبع في ايران »(١) ويعتبر تاريخ تأسيس هذه المكتبة في حدود الربع الاخير من القرن الثالث عشر الهجري .

مكتبة السيد محمد بحر العلوم

ونواة مكتبة السيد محمد تكونت هي الاخرى من مكتبة جده السيد محمد مهدي بحر العلوم التي آلت اليه بعض كتبها شراء من مخلفات عمه ، ثم عني بها عناية فائقة فأضاف اليها عدداً كبيراً من المطبوعات والمخطوطات النادرة ويقول جرجي زيدان عنه : « مكتبة السيد محمد بحر العلوم الطباطبائي فيها كتب نفيسة الخط ، بينها جملة من الكتب القديمة ، منها ديوان الشريف الرضي كتب في عهد مؤلفه وفيه من الاشعار اكثر مما في النسخة المطبوعة »(٢) ومما حوت مكتبة السيد محمد من النسخ النادرة نسخة فريدة من كتاب (بحر الانساب) لاحد علماء القرن التاسع عشر الهجري(٣) ونقل الشيخ جعفر محبوبة عن (نهج الصواب) لمؤلفه الشيخ علي كاشف الغطاء وقد اعتمده (محبوبة) في جل ما نقل في (ماضي النجف وحاضرها) عن مكتبات النجف ؛ ان من محتويات مكتبة السيد محمد بحر العلــوم (المجسطي) و (الدرجات الرفيعة) للسيد علي خان ، وقال عن (بحر الانساب) ان

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٢٩ .
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٢٨ .
(٣) كتابخانهاي ايران (بالفارسية) تأليف عبد العزيز الجواهري ص ١٠٥ .

هذا الكتاب قد بيع بعد وفاة السيد محمد وتناقلته الايدي حتى انقطع خبره :

والمروي عن السيد محمد انــه لم يــترك كتاباً نفيساً يعرض للبيع دون ان يتلقفه ، وحتى بعد ان كف بصره فان همته في جمع الكتب النادرة لم تصب بفتور ، وحين توفي السيد محمد بيعت كتبه في المزاد العلني ، ويقول صاحب (نهج الصواب) على رواية الشيخ محبوبة انه شاهد مزاد هذه الكتب العلني في الصحن الشريف وقد دام ثلاثة شهور !! وهذا دليل على سعة هذه المكتبة وما كانت تحتوي عليه من الكتب وكان تاريخ تأسيس هذه المكتبة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري .

مكتبة شيخ الشريعة

هو المرجع الديني الذي تولى زعامة الثورة العراقية الكبرى بعد الميرزا الشيرازي وبصفته استاذاً من كبار اساتذة البحث والدرس فضلاً عن كونه مرجعاً من المراجع الدينية الكبيرة عند الشيعة فكان من الطبيعي ان تكون له مكتبة واسعة يستمد منها العون في سعة الخبرة والاطلاع والمناقشة

لذلك عني بجمع الكتب عناية كبيرة ، وجلبها من مختلف الجهات الاسلامية شراء وقد شهدنا مكتبته هذه في بيته الواقع في شارع (الصد تومان) من محلة البراق في النجف ، ولم يكن بمقدورنا في ذلك اليوم ان نتفهم قيمتها ، وقد حوت هذه المكتبة عدداً كبيراً من الكتب القديمة المخطوطة النادرة في مختلف العلوم ، وعلى الاخص في الفقه والرجال والحديث والاداب باللغتين الفارسية والعربية ، وكان تأسيس هذه المكتبة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري وكان من بين كتبها الفريدة كتاب (جامع الرواة) في تراجم طائفة كبيرة من مشاهير أهل الحديث والرواية ، وتمتاز

هذه النسخة بكونها جامعة لحواشي وتعليقات من قبل عدد من كبار العلماء المتقدمين بخطوطهم، وقد قيل: ان هذه النسخة صارت من ممتلكات السيد حسن الصدر في الكاظمين .

وكتاب (لسان الخواص) تأليف رضي الدين محمد بن الحسن ، من علماء القرن الحادي عشر الهجري ، وهو مصنف على الحروف الأبجدية ، ولم يعثر المتتبعون على غير حرف (الالف) منه ، وهو في شرح وتفسير المصطلحات والكلمات العلمية . والمنقول أنه انفس بحث في موضوعه على ما نقل (الجواهري) ولم يؤلف له نظير للان .

وبالنظر لوجود قسم من اسرة شيخ الشريعة وهي الاسرة التجارية الثرية في الهند ، والمعروفة (بالنمازية) ، فقد سهل على (شيخ الشريعة) أن يحصل على اكبر عدد من الكتب المطبوعة في الهند ، او المخطوطة شراء ، وقد بيعت كتب هذه المكتبة ولم يبق منها الا بعض الشيء عند اولاده ومنهم الشيخ حسن المتوفى حديثاً والشيخ محمد الشريعة وهو من المراجع الدينية في الباكستان اليوم .

مكتبات القرن الثالث عشر الأخرى

وهنالك عدد من مكتبات البيوت التي وردت اسماؤها في بعض الكتب وعلى الاخص في كتاب (نهج الصواب في المكاتب والكتابة والكتاب) للشيخ علي كاشف الغطاء ، وقد نقل عنه الشيخ جعفر محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها المكتبات التالية :

أ ــ كتب بيت العبودي

وهذا البيت معروف بآل الشيخ مشهد ، قال الشيخ علي كاشف الغطاء

« انني وقفت على جملة من كتبهم فوجدتها في غاية الجودة ، ولكن اخنى عليها الدهر فاتلفها ، فانها مبعثرة تلعب بها صبيانهم ، واطفالهم ، وقد استنقذت جملة منها واحييتها ، وحفظتها من التلف وهي موجودة في خزانة كتبي » .

ب - كتب بيت المشهد

وهم غير بيت الشيخ مشهد - وكانت لاهل هذا البيت كتب كثيرة نفيسة لم يزل بعضها موجوداً حتى اليوم في ايدي بعض احفادهم .

ج - كتب بيت نجف

وقد كانت عند أهل هذا البيت كتب كثيرة جيدة تلفت ولا يوجد منها الا القليل .

د - كتب السيد حسن الحكيم

وكانت عند هذا السيد كتب كثيرة تفرقت بعد وفاته ولا يوجد منها شيء (١).

مكتبة الشيخ علي
آل الشيخ محمد رضا الشيخ هادي الشيخ عباس

نواة هذه المكتبة التي يملكها الشيخ علي آل كاشف الغطاء اليوم هي القسم الكبير من مكتبة الشيخ جعفر الكبير جد الاسرة المعروفة بآل كاشف الغطاء ، نسبة لكتاب الشيخ المسمى (بكشف الغطاء) والمكتبة واقعة

(١) ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ١١٠ .



جانب من مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء

في بيت آل كاشف الغطاء القديم ، الواقـع في شارعهـم من محلة العمارة في النجف .

فحين توفي الشيخ جعفر آلت المكتبة الى ولده الشيخ موسى كاشف الغطاء ، حتى اذا قضى هذا انتقل معظمها الى اخيه الشيخ علي ، وكان الشيخ علي قد تزوج بأمرأتين احداهما من آل دخّيل وقد انجبت له الشيخ مهدي ، والثانية وهي المدعوة (بخزنه) وهي عمة (وادي) رئيس قبيلة (زبيد) وقد انجبت له الشيخ حبيب ، والشيخ عباس ، وجاء في رواية الرواة انه حين توفي الشيخ علي كان ولداه حبيب وعباس طفلين صغيرين ، وعند القيام بتقسيم الارث رفضت (خزنه) قبول اي ارث غير كتب زوجها ، على ما يتناقل الرواة فاجيبت الى طلبها ، وانحصر الارث عندها بمعظم كتب تلك المكتبة ، واحتفظت بها في صناديق خشبية حتى اذا كبر الصبيان وبلغا رشدهما ، قالت لهما الام على ما تواترت عليه الرواية :

— إنني لم اتزوج أباكما إلا لعلمه !! لذلك لم أقبل منه ميراثاً غير مناهل هذا العلم فان كنتما نجيبين فدونكما هذا المنهل وانهلا منه ، وقد نهلا فعلاً ، وكانت هذه الصناديق هي المنهل والاساس لمكتبة الشيخ عباس

ثم لابنه الشيخ هادي ، وقد عني بها الشيخ هادي بالنظر لمنزلته العلمية عناية كبيرة واشترى كل ما وسعه ان يشتري من الكتب المطبوعة ، والمخطوطة حتى نمت وصارت تنافس مكتبة الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فيما ضمت من نوادر الكتب ، واصبحت تسمى باسم الشيخ هادي كمؤسسة جديدة ، بناء على ما اضاف اليها من الكتب ، وحين توفي الشيخ هادي آلت المكتبة الى خلفه الشيخ محمد رضا ، ثم انتقلت بعد وفاته الى حفيده الشيخ علي آل كاشف الغطاء وقد توسعت اليوم اكثر بما أضاف أليها الشيخ علي من الكتب وما اولاها من رعاية واهتمام .

ويشير (دليل الجمهورية العراقية) الى مكتبة الشيخ علي فيقول :

« اسسها في النجف جده الشيخ هادي آل كاشف الغطاء في مطلع القرن العشرين فيها (٥٠٠٠) مجلد في مختلف الموضوعات الدينية ، والأدبية ، والتاريخية ، واللغوية ، بينها (٦٠٠) مخطوطة فيها نوادر مختلفة منها :

تحفة الازهار للسيد ضامن بن شد قم (٣ اجزاء) .. (١)

ولا شك ان هذا العدد من الكتب المطبوعة والمخطوطة وتاريخ التأسيس الذي اورده (الدليل) كان تقريبياً. والواقع أن تأسيسها الجديد على يد الشيخ هادي كان في مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، وأن مجموع كتبها اليوم هو (٨٠٠٠) مجلدة ، وأما المخطوطات فهي ألف كتاب ، وهي في زيادة مطردة منذ ان آلت وراثتها الى الشيخ علي .

---

(١) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ (محمود فهمي درويش والدكتور مصطفى جواد واحمد سوسه) ص ٥٤٢ .

وعرفت هذه المكتبة بكونها أول مكتبة اهتمت الى جانب اهتمامها بالكتب القديمة والمخطوطة بالكتب الحديثة ، ولكثرة اهتمام مؤسسيها وعلى الاخص الشيخ محمد رضا في حياة ابيه ان كان يطلب كل كتاب جديد تصدره المطابع من مصر رأساً ، ولا يبعد ان يكون دخول الكتب الجديدة الى هذه المكتبة ايام الشيخ هادي كان قبل دخولها الى اية مكتبة من مكتبات البيوت الخاصة في معظم الاقطار العربية ما عدا مصر . وقد امتازت هذه المكتبة بهذه الظاهرة الى جانب امتيازها بوفرة الكتب النادرة النفيسة .

جاء في جريدة الهاتف من العدد ٤٦٢ عن الشيخ علي حفيد الشيخ هادي الذي آلت اليه المكتبة بعد وفاة جده الشيخ هادي وابيه الشيخ محمد رضا ، يوم كان الشيخ علي طالباً في المدرسة الابتدائية .

« وكان يتحفني باعداد مجلة المقتطف كلما وصلت الى أبيه ، وبكتاب او كتابين مما كان يصل اليهم بين آونة واخرى من الكتب الحديثة التي كانت المكتبات المصرية تجريها في حسابهم ، وترسلها بناء على طلباتهم ، فكنت اقرأ هذه الكتب والمجلات وأعيدها اليهم عن طريق الشيخ علي مصحوبة بالشكر مع الاعجاب برجل من الروحانيين يعنى مثل هذه العناية بقراءة هذه الكتب ، تلك العناية التي لم تترك كتاباً جديداً فيما يتعلق بالادب والاجتماع والتاريخ يمر دون الوقوف على زبدته والاحاطة بموضوعه على قدر الامكان » (١) .

(١) هكذا عرفتهم – لجعفر الخليلي ص ١٤٣ .

وجاء في نفس الجريدة بعد ذلك : « ولقد علمت فيما بعد ان هنالك ناحية اخرى تستحق الاعجاب ، وهي ان للشيخ محمد رضا ، وأبيه الشيخ هادي ، مكتبة نفيسة تحوي أندر الكتب وانفسها من مخطوطة ومطبوعة ، كادت تنفرد بها هذه المكتبة دون المكتبات الاخرى » (١)

ويقول جرجي زيدان « ان عند الشيخ هادي بن الشيخ عباس آل كاشف الغطاء خزانة فيها من النفائس والاعلاق ما لا شبيه له في العراق » (٢) .

والحق انها كما قال جرجي زيدان فان فيها من النفائس ونوادر الكتب العدد الكثير مما لا يوجد في غيرها من المكتبات الشهيرة ومن هذه المحتويات :

ـ الجزء الخامس من (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) ، وهو النسخة الخطية الوحيدة من تفسير السيّد الشريف الرضي المنقولة عن نسخة فريدة بمكتبة (المشهد الرضوي) بخراسان ، وقد قامت جمعية منتدي النشر في النجف بطبعها مشروحة شرحاً وافياً بقلم الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء ، وبمقدمة غاية في الاهمية عن الشريف الرضي بقلم الشيخ عبد الحسين الحلي (٣) لم تزل مرجعاً تاريخياً في حياة الشريف الرضي وسيرته وأدبه (٤) ولم يعثر الباحثون للآن على بقية اجزاء هذا الكتاب .

٢ ــ كتاب (الاستبصار) للشيخ الطوسي وهو الجزء الاول وقد خط في حياته .

(١) نفس المصدر السابق .
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٢٨ .
(٣) هكذا عرفتهم ــ لجعفر الخليلي ص ١٥٥ .
(٤) حقائق التأويل ص ٢٠ ــ ١١٢ .

٣ ــ شرح (صدور مقالات اقليدس) لابن الهيثم .

٤ ــ (شرح ما لا يحضره الفقيه) للمجلسي ، الجزء الاول .

٥ ــ ديوان (القيراطي) .

٦ ــ (الخلاف) للشيخ الطوسي ومنه نسخة في مكتبة الامام الحكيم .

٧ ــ (رجال الخليلي) تأليف الحاج ملا علي الخليلي في علم (الرجال) وتراجمهم .

٨ ــ رجال (اللاهجي) للملا محسن فيض .

٩ ــ (درة التاج) في الهندسة .

١٠ ــ (غاية المرام) للصيمري .

١١ ــ كتاب (عن نبوخذ نصر) مكتوب على رق الغزال ومخطوط قبل الاسلام .

١٢ ــ (نثر الدرر) للوزير الآبي ، ويقول الشيخ جعفر محبوبة ان هذا الكتاب قد اخذه محمد امين الخانجي المصري عند مجيئه النجف ليطبعه في مصر فلما وصل محله راجع الشيخ بضياع الكتاب ثم اضاف الشيخ جعفر قائلاً (هكذا فليكن الامين) (١)

١٣ ــ (تذكرة العين) لعلي بن عيسى ولهذا الكتاب قصة ملخصها ان هذه النسخة فريدة وهي مفقودة وقد جاءنا من جامعة (مشيغن) عن

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ١١٣ . مستخلص من كتاب (نهج الصواب) .

طريق المهندس حسن الرفيعي بأن نبحث عن هذه النسخة في مخطوطات النجف وان ندفع في شرائها اي ثمن يفرضه صاحبها او الاذن باستنساخها لقاء مبلغ يساوي ١٠٠ باون ، وقد اخبرنا الشيخ محمد السماوي بأن هذه النسخة موجودة في مكتبة الشيخ هادي الشيخ عباس وحين اتصلنا بالشيخ علمنا بأن محمد امين الخانجي قد استعارها بموجب وصل لكي يطبقها على نسخة زعم انها(١) موجودة بمكتبة دار الكتب بمصر وحين طولب بعد ذلك بها قال انه فقدها .. !!

مكتبة السيد محمد باقر الأصفهاني الرشتي

هو ابن الزعيم الروحاني السيد اسد الله الاصفهاني الرشتي ، المدفون بباب القبلة من الصحن الشريف والذي انفق على مد النجف بالماء العذب من نهر الفرات ، وقد ارسل ابنه السيد محمد باقر الى النجف لتحصيل العلم ، وما لبث ان تقدم واصبح من العلماء وشغف باقتناء الكتب شغفاً عظيماً ، وساعد على نمو هذا الشغف ما كان لابيه باصفهان ولجده الشهير السيد محمد باقر من كتب طالما اتخذ منها العلماء مراجع للبحث مما كان يعرفها الحفيد ، ثم ساعد اكثر في ان تضم مكتبته اجل الكتب ، وانفسها ، واغلاها ، واندرها وجوداً ما كان عليه من سعة الحال والثروة الطائلة فقد كانت له املاك واطيان ومزارع واسعة باصفهان ، ترسل وارداتها كلها اليه بعد وفاة ابيه ، وكان بيته خلف بيت آل زيني وبجنب بيت الجواهري الكبير ، وقد اصبح ندوة علمية ادبية في هذه المكتبة العامرة ، وكان من روادها الشيخ عبد الكريم الجزائري ، والسيد جعفر الحلي ، والشيخ جواد الشبيبي ،

(١) هكذا عرفتهم – لجعفر الخليلي ص ١٥٣ .

والشيخ هادي الشيخ عباس ، وكثيراً ما اشير الى هذه الندوة التي كانت تعقد في هذه المكتبة الكبيرة من داره الواسعة .

وحين سافر السيد محمد باقر الى اصفهان نقل بعض هذه الكتب التي حملتها بضعة بغال ، وخزن الكتب الاخرى في سرداب كبير بنيت عليها الأبواب والشبابيك بعد ان غمروها بمسحوق التبغ لمكافحة الارضة ، وحين توفي اخرجت هذه الكتب من السرداب وبيعت وتوزعت على بيوت النجف شراء ، ويقدر العارفون عدد كتب هذه المكتبة ببضعة الاف كتاب واغلبها من المخطوطات النادرة .

أما تأسيسها فكان في طليعة القرن الرابع عشر الهجري

مكتبة السماوي

لم يعرف التاريخ عالماً في العصور المتأخرة احاط بالكتب القديمة وتواريخها ، ومواضيعها ، وقيمة الكتب الاثرية ونفاستها ، كالشيخ محمد السماوي ، خصوصاً فيما يتعلق بالشعر ، والشعراء ، ودووواينهم ، فهو في عصورنا المتأخرة كمحمد بن اسحق صاحب الفهرست في عصره ، فقد كان السماوي مرجعاً فذاً في تثمين الكتب القديمة ، ومظان وجودها ، بل كان (فهرس) يحتاجه المؤلفون لمعرفة بحوثهم ، ومواضيعها ، حين يريدون الاحاطة التامة بما يبحثون عنه ، وقد جاءته هذه الملكة من افناء عمره الطويل في جمع الكتب ، والمخطوطات بصورة خاصة ، والكتاب في نفسه منزلة ما حاكاها شيء معزة ، وحباً ، وتقديساً ، ولقد روى الراوون عنه على سبيل الفكاهة قوله : انه عمل قاضياً اكثر من ثلاثين سنة وكان يجنب نفسه الاتصال بغير اصدقائه الخلص ، المتقين ، وكان يرفض قبول اية

هدية من اي شخص ، حتى وان لم تكن له حاجة في المحكمة ، حذراً من ان تشوب حكمه شائبة من العواطف ، لقد قال : لقد حاول الكثير اغرائي بشتى الطرق فلم يفلحوا لانهم لم يكتشفوا نقطة الضعف في نفسي ، ولو عرفوا قيمة الكتب عندي ، ومنزلتها في نفسي ، لافسدوا لي برشوة الكتب كل احكامي .. ! !

وقد ضمت مكتبة السماوي اندر النسخ من الكتب القديمة الثمينة ومنها المخطوطة بخطوط اصحابها ، وحين اشترى في شارع آل الشكري بمحلة العمارة داره ، خص الطابق الثاني بهذه الكتب ، ووفر لنفسه مكاناً فسيحاً للمراجعة والعمل ، وقد استخدم عدداً غير قليل من الخطاطين في استنساخ بعض الكتب التي لم يستطع ان يظفر بها شراء ، لتكون في مكتبته نسخة منها كما استعان بعدد من الذين يثق بهم لمعاونته في استخراج ما كان يريد من المواضيع ، من بين هذه الخزانة ، اما الكتب النادرة المنحصرة بمكتبته ، والاثيرة عنده ، فقد كان ينقلها بخطه ، ولشدة خوفه على تلك الكتب الفريدة وحرصه عليها ، تعلم التجليد واشترى الادوات اللازمة وراح يجلّدها بيديه تجليداً لا نظن انه كان يقل جودة عن تجليد المجلدين . اما المطبوعات فقد كان يملك منها اعز الكتب المطبوعة في خارج العراق ، (بليدن) او غيرها . وكل مطبوعات بولاق على وجه التقريب ، وقد رأينا مكتبته هذه وأفدنا منها ، والذي لم يرها يستطيع ان يتبين قيمتها مما ترك السماوي من مؤلفات يحتاج كل واحد الى مئات المراجع والمصادر ، ومن مؤلفاته هذه :

١ – (الطليعة في شعراء الشيعة) وهو في ثلاثة مجلدات .

٢ – (ابصار العين في أحوال انصار الحسين) .

٣ — (شجرة الرياض) .

٤ — (ثمرة الشجرة في مدح العترة المطهرة) .

٥ — (قرط السمع) (١) .

٦ — أ (عنوان الشرف في وشي النجف) — ب — (مجالى اللطف بارض الطف) — ج — (صدا الفؤاد الى حمى الكاظم والجواد) د — (وشائج السراء في شأن سامراء) وكل هذه الاجزاء الاربعة منظومة بالشعر ومؤرخة جميع حوادث تواريخها بالشعر ايضاً ، وعدد آخر من مؤلفاته المخطوطة الدالة على كثرة المصادر التي يمتلكها .

وبلغت مكتبة السماوي من سمعة انفرادها بالنفائس ان صارت مقصد الزائرين من جميع الجهات. وقد عدها جرجي زيدان في ضمن مكتبات السماوة سهواً ، وقال عنها انها تجمع طائفة حسنة من المخطوطات واكثرها في علم الفلك والرياضيات .

ومن اهم ما احتوت عليه مكتبة السماوي من المخطوطات :

١ — (نسخة من المجسطي) منقولة عن نسخة المصنف

٢ — (شرح التذكرة) للسيد الشريف الجرجاني صاحب كتاب التعريفات

٣ — (التحفة الشاهية)

٤ — (المدخل) لكوشيار وقد كتب سنة ٨٠٠ هـ .

---

(١) الاعلام للزركلي — محمد بن طاهر السماوي المجلد السابع ص ٤٣ .

٥ – (شرح الجغميني) لجمال الدين التركماني وقد خط في نحو سنة ثمانمائة هجرية .

٦ – (كتاب التفهم) للبيروني .

٧ – (كتاب الامكنة) للغدة ، صاحب الاصمعي.

٨ – (نشوة السلافة) وهو ذيل على سلافة العصر ، للشيخ محمد علي آل بشارة النجفي وهذه النسخة فريدة وخاصة بهذه المكتبة .

٩ – (تفسير نهج البيان) لمحمد بن الحسن الشيباني وقد صنفه للمستظهر العباسي .

١٠ – (ذيل الفصيح) لابن فارس في اللغة .

ومن الدواوين عدد كبير والكثير منها منحصر بهذه المكتبة واهمها :

١ – ديوان السيد علي خان صاحب (السلافة) .

٢ – (ديوان السيد المرتضى) وهو في اربعة مجلدات .

٣ – (ديوان عبد المحسن الصوري)

٤ – (ديوان صرّدر) وقد طبع

٥ – (ديوان الابله البغدادي)

٦ – (ديوان الغزي) .

٧ – ديوان (السري الرفاء) وغير ذلك من الدواوين الكثيرة(١) .

---

(١) (الاعلام) للزركلي – (تاريخ اداب اللغة العربية) لجرجي زيدان (ماضي النجف وحاضرها) للشيخ جعفر محبوبة .

اما تأسيس المكتبة فقد كان في طليعة القرن الرابع عشر ، وحين توفي السماوي انحصرت الوراثة بابنته فعرضت المكتبة للبيع فتزاحم وتنافس على شراء كتبها عدد من الافاضل وارباب الخزانات الخاصة ، وقد ابتاعت مكتبة الامام الحكيم منها نحو ٤٥٠ كتاباً من المخطوطات ، ومئات من الكتب المطبوعة ، وكان عدد كتب مكتبة السماوي نحو (٦٠٠٠) كتاب .

اما الدواوين الشعرية فان اغلبها قد انتقل شراء الى مكتبة الشيخ محمد علي اليعقوبي والشيخ محمد رضا فرج الله ، والمحامي صادق كمونه وصالح الجعفري ، وهكذا انتهت حياة هذه المكتبة كما قد انتهت وتنتهي حياة المكتبات العامة والخاصة في النجف .

مكتبة السيد جعفر بحر العلوم

وهذه مكتبة اخرى من مكتبات النجف الخاصة المنسوبة لآل بحر العلوم ، وقد جمعها السيد جعفر مما استطاع ان يحصل عليه من كتب آله المتقدمين ،ومما اشتراه من (المزاد) ، وقد ساعده على اتساع مكتبته ما هو فيه من سعة العيش ، والرفاه ، حتى استطاع ان يضم الى مكتبته عيون الكتب القديمة والحديثة ، وقد أصبحت له خبرة بالكتب النفيسة ، فكان يحرص على الاحتفاظ بها ، ومن اهم ما احتوت عليه مكتبته كما اوردها الشيخ جعفر محبوبة كتاب (محبوب القلوب) لقطب الدين محمد الديلمي ، اللاهجي ، وهو مرتب على مقدمة في حقيقة الفلسفة ، ومنشئها ، ومبدأ سائر العلوم ، ووصف عظماء وحكماء اليونانيين ، والفرس ، والهند ، وسائر البلاد ، وثلاث مقالات : الاولى في احوال الحكماء من لدن آدم الى بداية الاسلام ، والثانية في احوال المتفلسفين من الاسلام ، وعلماء الكلام ممن يهم الاعتناء بهم ،

وبشأنهم ، وبكلامهم ، ونقل مقالاتهم البديعة ، ومآثرهم البهية ، وقد ذيلها بأحوال عرفاء مشائخ الصوفية الموحدين ، والثالثة في احوال الأئمة (ع) وذيلها بذكر بعض المشاهير من العلماء ، وخاتمة في أحوال المؤلف ، وقد علق على الكتاب حواشي نفيسة ، والنسخة مخطوطة في سنة ١٠٧٨ قريباً من زمن المؤلف ، وهو غير مطبوع ، والمطبوع منه مقالة واحدة ، ومن محتويات مكتبة السيد جعفر كتاب (مآثر ملوك فارس) لصاحب حبيب السير ، وسلاسل الحديد في تقييد ابن ابي الحديد للشيخ يوسف البحراني ، صاحب (الحدائق) ، وحاشية على (اربعين الشيخ البهائي) وهو اكبر من الاربعين بثلاث مرات ، للسيد عبد الله حفيد السيد نعمة الله الجزائري الشوشتري (١) .

وكانت مكتبة السيد جعفر تعتبر رابع مكتبة مهمة في وقتها بعد مكتبتي آل كاشف الغطاء والشيخ محمد السماوي ، وقد تأسست في الثلث الأول من القرن الرابع عشر ثم صارت في حوزة ابنه السيد هاشم بحر العلوم بعد وفاة ابيه .

مكتبة السيد هاشم بحر العلوم

تأسست مكتبة السيد هاشم بحر العلوم في حياة ابيه السيد جعفر ، وبدأت هواية جمع الكتب تظهر فيه قبل منتصف القرن الرابع عشر ، وقد اضاف الى كتب ابيه طائفة من المخطوطات النادرة ، وقد عرف في الاوساط بهذه النزعة فراح يعرض عليه الوارثون ما يرثونه من المخطوطات ، وقد صار

(١) ماضي النجف وحاضرها ص ١١٥ .

حضور السيد هاشم (المزاد العلني) من كل اسبوع من قبيل الفروض الواجبة والذي مكّنه من الحصول على النفائس هو ما كان يسخو به من المال فقد كان في يسر وسعة اكثر من غيره من الهواة ، وعلى ان مجموع كتب مكتبته ليس كبيراً ، ولكنها تضم نسخاً نادرة ذات قيمة وهي تبلغ نحو ٤٠٠٠ كتاب حسب الجرد الذي قامت به لجنة منتدبة بعد وفاته وقد اخرج السيد هاشم هذه المكتبة من حوزة الملكية الخاصة ، ووقفها للجميع ، ولكنها لم تزل لليوم وهي في بيته محبوسة لم ير وجهها النور على رغم كونها وقفاً للجميع ، اذ لم يتيسر لزوجته ان تخرجها للناس بعد .

مكتبة الشيخ فرج الله

من اهم مكتبات النجف الخاصة تأتي مكتبة الشيخ محمد رضا فرج الله ، وهو من العلماء الذين يكاد الكتاب لا يسقط من بين ايديهم ، وقد وعى ولابيه الشيخ طاهر فرج الله مكتبة عامرة بالكتب ، فانتقلت هواية اقتناء الكتب وتتبّعها بالوراثة اليه مع انتقال المكتبة ، وصار ينفق كل ما يقدر عليه على اقتناء الكتب النادرة والبحث عنها في جميع المظان فقلما خلا (مزاد) للكتب من حضوره وعلى انه سموح كل السماح للذين ينافسونه في زيادة الثمن بحيث كثيراً ما يترك الكتاب للمنافس حين يراه متهالكاً عليه وينسحب خلافاً لاغلب من يحضرون المزاد الذين لا يتركون الكتاب وخصوصاً اذا كان نفيساً ان يفلت من بين ايديهم ، فقد حوت مكتبته طائفة من اهم الكتب المطبوعة النادرة مما كادت تنفرد به بين عدد كبير من المكتبات ومعظمها من الطبعات الاولى التي تم طبعها في اوروبا ومصر ، اضافة الى عدد من المخطوطات النادرة الثمينة وقد تأسست هذه المكتبة قبل منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، وحين بنى الشيخ محمد رضا بيته في الشارع الفاصل

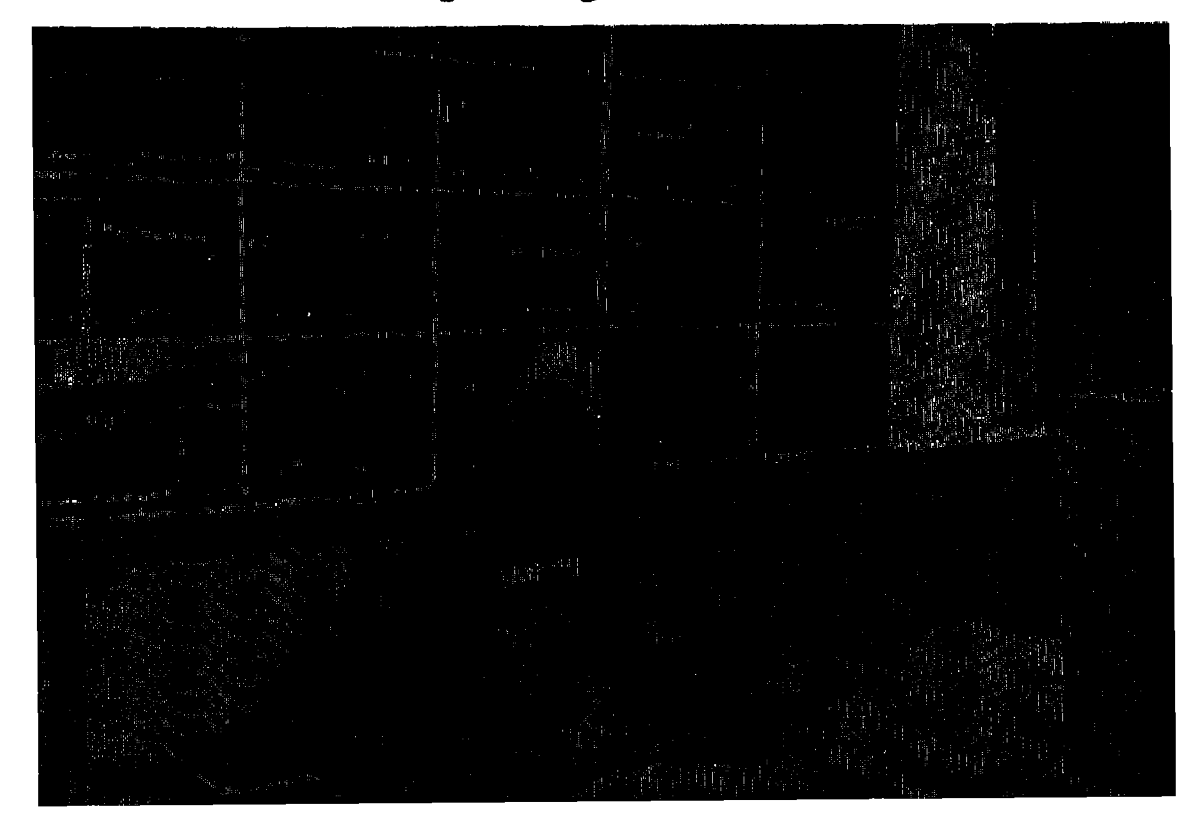
بين محلة الحويش والبراق النافذ الى السور افرد لمكتبته هذا مكاناً خاصاً بها ، ومجاوراً لديوانه ، ونقلها اليه ، ثم اشتد نشاطه في اقتناء الكتب ، فأصبحت مكتبته اليوم بما تحتوي عليه ، من المكتبات المهمة التي افسحت لها بين تاريخ الكتب في النجف مكاناً مرموقاً .

وتحتوي مكتبة فرج الله على ٨٠٠٠ مجلد ، اما عدد المخطوطة فيها فلا تقل عن ١٦٠ مخطوطة ، وجلها من النفائس . وبخطوط يرجع بعضها الى عصر مؤلفيها ومن اشهر هذه المخطوطات :

١ ـ شرح (جمع الجوامع) في الاصول ، للعراقي ، من مخطوطات سنة ٨٠٠ هجرية

٢ ـ (شرح نهج المسترشدين) للعميدي

طرف من مكتبة الشيخ محمد رضا فرج الله



٣ ــ (ربيع الابرار) للزمخشري .

٤ ــ (ديوان عبد المحسن الصوري) وهو نسخة نفيسة منقولة عن ديوان الصوري الاصيل

٥ نسخة (السحر فيمن تشيّع وشعر) ومن هذا الكتاب نسخة في مكتبة الامام كاشف الغطاء .

٦ ــ (شرح نهج البلاغة) للراوندي ، وغير ذلك من مصادر خطية ووثائق ذات أهمية كبرى عن تأريخ قبائل الجنوب كان قد جمعها الشيخ طاهر ثم زاد عليها الشيخ محمد رضا فرج الله وقد مكّنه من جمعها وشرح وقائعها كونه يجمع بين الرياستين الرياسة الروحية ورياسة قبائل (الاحلاف) فكان اعرف من غيره بتاريخ تلك القبائل .

مكتبة اليعقوبي

واليعقوبي هذا شيخ الخطباء البحاثة الشيخ محمد علي بن الشيخ يعقوب الحلي ، وكان ابوه ابرز خطباء المنابر الحسينية في الحلة ، فجمع اكثر مما يستطيع احد ان يجمع من آثار السلف من نصوص ادبية ، وشعر منقول على الالسن ، وقد نشأ ابنه الشيخ محمد علي على سجيته ، وكانت وظيفته الخطابية بالاضافة الى ملكاته الادبية تتطلب مثل هذا الانهماك منه ، فتألفت لديه مكتبة من المخطوطات التي يعود الفضل اليه وحده في جمعها ، وحين انتقل الى النجف نقل هذه المكتبة معه ، ولم يكن بيته الواقع في احد الازقّة الضيقة من حدود محلة الحويش والبراق ، ليساعده على صف كتبه فخزنها في صناديق واكياس الى جانب ما تيسر له من الرفوف ، وعند انتقاله الى

الى بيته الاخير في شارع آل الاعسم في محلة البراق هيأ لهـا مكاناً خاصاً ، واقتصرت صناديقه على الكراريس ، والنصوص الادبية والشعرية التي نحصل عليها في بيوت الاسر القديمة ، وتعتبر مكتبته هذه اثمن مكتبة شعرية لاحتوائها على عدد جد كبير من الشعر الضائع للشعراء المغمورين وغير المغمورين ، وانحصرت عنده دواوين ذات قيمة كبيرة حرص عليها زمناً طويلاً حتى تناول حرصه هذا بعض الادباء في مقالات نشروها في جريدة (الهاتف) النجفية عن صندوقه ، وآخذوه على حرصه ، وحملوا عليه طالبين فتح هذه الصناديق واخراج كنوزها الى عالم الطباعة ، وما زال به الادباء يضايقونه فيما ينشرون عنه في جريدة (الهاتف) حتى اندفع يخرج من صندوقه هذا بعض التراجم وبعض الشعر الضايع وينشره في الهاتف .

تقول النشرة التي أصدرتها جمعية الرابطة الادبية « واغلب تلك الدواوين المخطوطة التي تضمها مكتبة اليعقوبي كان قد سهر الليالي الطوال في جمعها من مظانها وبذل من الجهد الشيء الكثير في تدقيقها ، وتنسيقها ، وتبويبها ، والتعليق عليها ، وترجمة اعلامها ، وسرد الحوادث التاريخية المذكورة فيها » (١) .

وحين بيعت كتب الشيخ محمد السماوي كان نصيب اليعقوبي من الدواوين المخطوطة كبيراً من الشراء ، اما عدد كتبه فلم يتجاوز (٣٥٠٠) كتاب ، والمخطوط لا يقل عن (٥٠٠) وجله بين نادر ويتيم ليس له نظير ، واغلب محتويات هذه المكتبة مصادر أدبية ، ومجاميع ودواوين شعرية ويعتبر تأسيسها قبيل منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، وهي الآن بعد وفاة

(١) لمحات من حياة الشيخ اليعقوبي ص ٣٨ .

اليعقوبي تحت حوزة ابنه الشيخ موسى اليعقوبي.

ومن اهم ما اشتملت عليه مكتبته من المخطوطات التي تم طبعها بعد تلك الحملة من جريدة الهاتف هي :

١ – (البابليات) وهي موسوعة ادبية تاريخية تقع في اربعة اجزاء تبحث عن شعراء الحلة وادبائها منذ أول تمصير الحلة حتى اليوم وقد طبعت سنة ١٣٧٠ هـ .

٢ – (الجعفريات) وهي مجموعة شعرية للميرزا جعفر القزويني وقد طبعت سنة ١٣٦٩ هـ

٣ – (ديوان الشيخ عبد الحسين شكر) وقد طبع سنة ١٣٧٤ هـ

٤ – (ديوان الشيخ عباس الملا علي) وقد طبع سنة ١٣٧٤ هـ

٥ – (ديوان الشيخ يعقوب) وقد طبع سنة ١٣٨٢ هـ

٦ – (ديوان الشيخ محمد حسن ابي المحاسن) وقد طبع سنة ١٣٨٣ هـ

٧ – (ديوان الشيخ صالح الكواز) وقد طبع سنة ١٣٨٤ هـ

٨ – (ديوان الحاج حسن القيم) الحلي وقد طبع سنة ١٣٨٥ هـ(١) .

وكان اكبر الفضل في بعث هذه الدواوين التي لم يمتلكها احد كاملة غير مكتبة اليعقوبي يعود الى توفيق الفكيكي الذي آخذه على حرصه في تلك المقالات التي كتبها عن « صندوق اليعقوبي » في جريدة الهاتف .

---

(١) لمحات من حياة الشيخ اليعقوبي ص ٣٢ – ٣٣ – ٣٤ .

اما الدواوين والمجاميع الشعرية التي لم تزل مخطوطة في مكتبة اليعقوبي فهي كثيرة جداً ، ومنها :

١ — (ديوان الشيخ ميرا رشيد الهندي)

٢ — (ديوان سبط ابن التعاويذي) وفيه من القصائد اليتيمة على ما روى الراوون شيء غير قليل .

٣ — (ديوان السيد صادق الفحام)

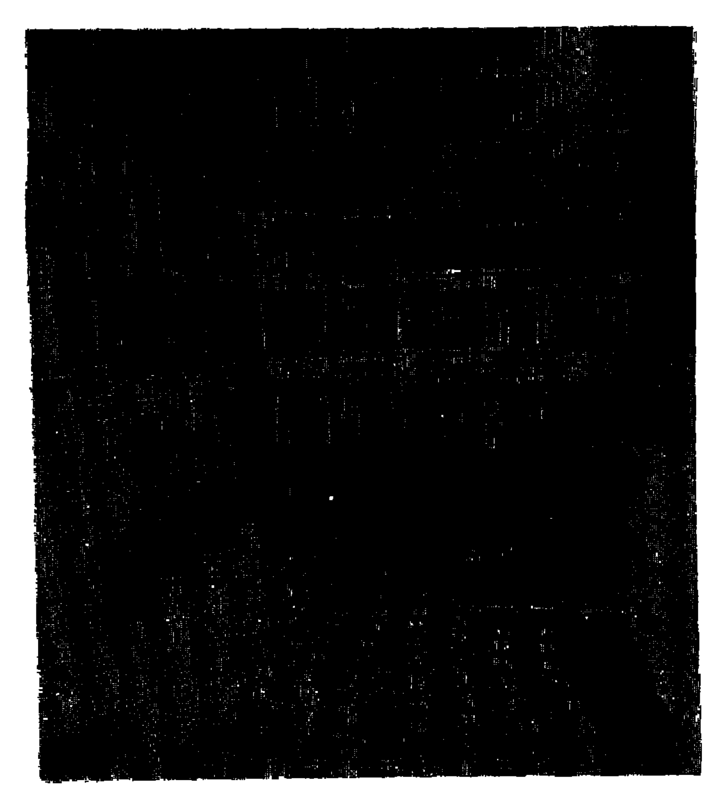
٤ — (ديوان الشيخ علي الناصر) (١) .

مكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم

ومن المكتبات الكبيرة والجليلة بين مكتبات النجف الخاصة هي مكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم الذي ولع بجمع الكتب ولعاً يستلفت النظر لعاملين مهمين ، الاول بداعي بيئته ووراثته ، والثاني بداعي ملازمته للشيخ محمد السماوي فقد كان يلازمه ملازمة الظل ، وبدأ يعنى بجمع الكتب قبل منتصف القرن الرابع عشر وينبري لاستنساخ اية نسخة من اي كتاب قديم لا يستطيع شراءه من صاحبه حتى لقد اكتظت اليوم مكتبته بأنفس الكتب المطبوعة والخطية وبينها عدد من النسخ القليلة الوجود .

ويبلغ عدد الكتب في مكتبة السيد محمد صادق نحو ١٥٠٠٠ نسخة اما المخطوطات فلا تقل عن ١٠٠ نسخة ومن اهمها (الوسيط) للميرزا محمد الاسترابادي في الرجال ، و (الفرقة الناجية) للحلي و (طرائف) للسيد

(١) جريدة (البلد) بغداد — كالون الاول ٩٦٥ (كيف عرفت اليعقوبي لجعفر الخليلي)



صفحة من مكتبة السيد صادق بحر العلوم

ابن طاووس و (منظومة السيد مهدي القزويني) الحلي في الاصول .

مكتبة السيد صادق كمونه

شب ولعه بالكتب مع شبابه وهو طالب في كلية الحقوق ، ثم ما لبث ان ولع بتتبع القضايا المعقدة من التاريخ الى جانب تتبع القضايا القانونية ، وساقه هذا التتبع الى ان يبحث عن طائفـة من الكتب الخاصة والمخطوطات منها حتى جمع مكتبة من انفس المكتبات من حيث مطبوعاتها ، ومخطوطاتها ،

جاء في دليل الجمهورية العراقية عن مكتبة السيد صادق قوله: «أنشأها في بغداد سنة ١٩٣٥ م فيها من الكتب المختارة ما قد تنفرد به عن غيرها ، وتدور موضوعاتها على الفقه ، والفلسفة ، والتصوف ، والادب ، والتاريخ ، والتراجم ، وفيها مجموعة قيمة من المخطوطات »(١) .

والحقيقة ان هذه المكتبة قد تأسست في النجف ولم تنقل الى بغداد الا

....

(١) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ ص ٥٤١ .

اخيراً حين انتقل السيد صادق كمونة الى بغداد واتخذها سكناً ، وقد تأسست بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري بقليل وتحتوي هذه المكتبة على (٨٠٠٠) كتاب منها نحو (٢٠٠٠) كتاب في القانون والشرائع ، والباقي في مختلف العلوم والمواضيع ، ونحو (٤٠٠) مخطوطة وفي ضمنها عشرات من الكتب المكتوبة بخط مؤلفيها .

ومن هذه الكتب النادرة والتي ليس لبعضها نظير في المكتبات الاخرى :

١ ــ (كتاب المباحثات) للشيخ الرئيس ابن سينا ، وهي مجموعة المسائل التي سأله عنها تلميذه (بهمن يار) .

٢ ــ (كتاب المنطق وخلاصة الحكمة) لنجم الدين النخچواني الفيلسوف وهي نسخة فريدة لم يعثر لها على نظير على ما نعلم .

٣ ــ كتاب (التعليق العراقي) لسديد الدين محمود الحمصي الرازي في عقيدة الشيعة ، وهي نسخة يتيمة على ما نعلم .

٤ ــ (كتاب المسائل الشيرازية) او (الشيرازيات) لابي علي الفارسي النحوي في الادب وهي بزيادة على النسخة الموجودة في المكتبة العلوية .

٥ ــ (النفحة العنبرية) في انساب خير البرية لمحمد ابن ابي الفتوح اليماني .

٦ ــ (ديوان عبد المحسن الصوري) وهي امّ النسخ المنقول عنهـا شعر الصوري ، واغلب الظن انها النسخة التي اشتراها صادق كمونة من مكتبة السماوي .

٧ ــ (كتاب الصاهل والشاعج) لابي العلاء المعري ، ويغلب على ظننا

ان نسخته فريدة .

٨ — (دمية القصر) للباخرزي . وهي نسخة مخطوطة كاملة تزيد تراجمها على النسخة المطبوعة بنحو ٢٥٠ ترجمة .

٩ — (المستنصريات) من نظم عبد الحميد بن ابي الحديد وبخطه ، يمدح بها المستنصر العباسي ويحذره من غزو التتر على البلاد الاسلامية ، وعليها تقريظ لنقيب اشراف العراق والمهم في الامر ان عليها حاشية بخط محمد بن العلقمي الوزير وتوقعيه يشير الى ان هذه النسخة من ممتلكاته .

١٠ — (ديوان المشعشعي) للسيد علي خان بن السيد خلف بن السيد مطلب المشعشعي الحويزي .

وقد حوت مكتبة كمونة نسخاً غير قليلة من كتب السماوي التي اشتريت وضمت اليها .

مكتبة البلاغي

محمد علي البلاغي صاحب مجلة الاعتدال النجفية ، كان اول عمل استقل به هو فتح مكتبة لبيع الكتب ، ولربما كان عمله هذا هو الذي بعث في نفسه هواية اقتناء الكتب ، ولقد ساعد على توسع هذه الهواية في نفسه ما كان قد سمع او رأى من قيمة هذه الكتب عند الشيخ جواد البلاغي احد علماء هذه الاسرة الافذاذ ، فقد كان الشيخ جواد يملك مكتبة وان لم تكن كبيرة عدداً ، ولكنها كانت ذات قيمة كبيرة معنى ، ونمت هذه الهواية اكثر عند محمد علي البلاغي في ايام اصداره مجلة الاعتدال فقد كانت تصل اليه بعض الكتب والدواوين على سبيل الهدية ، ومن كل هذا تألفت النواة الاولى

لمكتبة البلاغي ثم راح يبحث عن المصادر المطبوعة والمخطوطات القديمة ويقتنيها ويجمعها في مكتبته .

ويرجع اول تأسيس هذه المكتبة الى اوائل المنتصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري ، ويبلغ مجموع كتبها (٦٢٠٠) كتاب ، اما المخطوطات منها فتقدر بـ (٥٠٠) مخطوطة ؛ من اهمها : كتاب (الاتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي و (الشفاء) للقاضي عياض المالكي وغيرهما .

مكتبة يوسف عبد الله شهيّب

وهي مكتبة تضم عدداً كبيراً قيل انه يزيد على (١٠,٠٠٠) مجلدة وكلها من الكتب الحديثة وهو يعمل في تجارة اصناف مختلفة ولكنه شديد الولع بالكتب وكثير السخاء في شرائها وبيته واقع في الشارع الثاني من الجديدة وعمر مكتبته اليوم لا يزيد على ربع قرن وهي في نمو مستمر ،

مكتبة فخر الدين

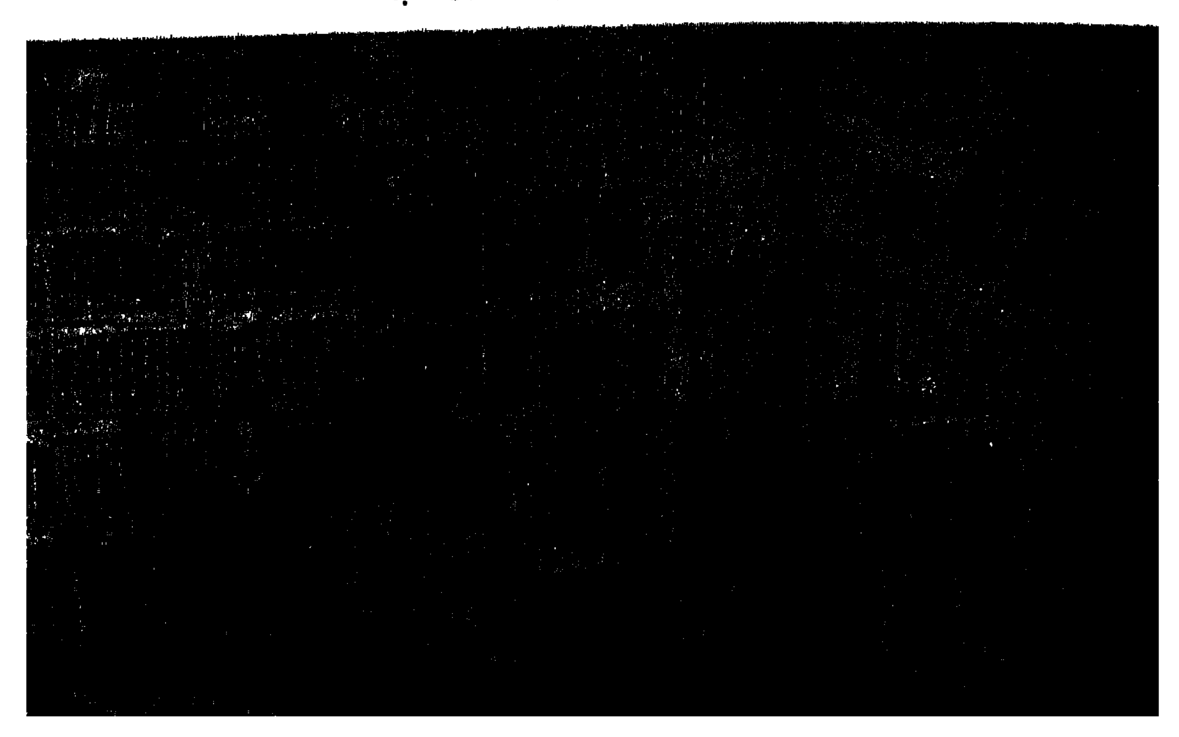
هي مكتبة الحاج عبد الزهرة فخر الدين تجمع بين طائفة من امهات الكتب العصرية فلا يكاد يصل كتاب الى النجف الا ويقتنيه ، وقد عرف بهذه الهواية ، وصارت تعرض عليه الكتب من الباعة ، وكم يتفق ان يحضر المزاد ويخرج منه بعدد من الحمالين وقد حملوا اغلب كتب المزاد ، وقد اعد في بيته محلاً وافياً لهذه الكتب ، والذي علمناه هو ان عدد كتب هذه المكتبة يتراوح بين (١٠) آلاف و (١٢) الف كتاب وبينها عدد غير قليل من المخطوطات ، ويعتبر تأسيس هذه المكتبة حديثاً وفي حدود طلائع المنتصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري الحالي ، وميزة هذه المكتبة

انها من اكثر المكتبات احتواء على احدث ما تُنتجه المطابع العربية .

مكتبات الخطباء

ومن اهم مكتبات النجف الخاصة : مكتبات خطباء المنابر الحسينية الذين تلزمهم مهمتهم كخطباء الاحاطة بالتاريخ ، والشعر . والادب . واللغة ، احاطة لا يمكن ان تتيسر بدون مكتبة زاخرة بالمصادر المهمة من امهات الكتب ، وقد رأينا من هذه المكتبات الخاصة بالخطباء مكتبة الخطيب السيد جواد شبرّ ، وهي نموذج لما تحتوي عليه مثل هذه المكتبات . فهي مكتبة غنية بالنفائس من المعاجم والتراجم ، وكل المجاميع ، والدواوين ، والكتب التاريخية ودوائر المعارف ، والموسوعات ، بينما لم يزد عددها على (٢٥٠٠) كتاب ، ومن نفائس مخطوطاتها عدد من كتب السيد عبد الله شبر وهو الجد الأكبر لهذه الاسرة ، وتعتبر مؤلفاته من النوادر .

إحدى واجهات مكتبة الخطيب السيد جواد شبرّ



القيمة . وقد طبع للسيد عبد الله شبر بعض الكتب في السنوات الاخيرة كان آخرها كتاب جليل في (الاخلاق) وبقيت مخطوطاته — والغالب منها انها بخط المؤلف نفسه — عند بعض ابناء الاسرة وقد رأينا طائفة منها في مكتبة السيد عباس شبر في البصرة وفي ضمنها مذكرات يومية غاية في الاهمية بخط السيد عبد الله شبر نفسه .

أمثال لمكتبـــات آخر

وكانت في النجف مكتبات اخرى لم يعن احد بدرسها على رغم قرب العهد بها مع ان قسماً منها لا يقل شأناً عن المكتبات المهمة من حيث نوعية الكتب وقيمتها العلمية والتأريخية ، ولربما كان السبب في عدم ذكرها من قبل المؤرخين ، هو صعوبة إحصائها إذ ما من بيت من بيوت أهل العلم وليس فيه مكتبة كبرت ام صغرت والاتيان على ذكرها قد يقارب المستحيل ، ونحن هنا نذكر اشهر هذه المكتبات على سبيل المثل وليس على سبيل الحصر .

١ ــ مكتبة آل الشيخ راضي (القرن الثالث عشر) وهي مكتبة تعتبر من اعمر المكتبات وأزخرها بالكتب العلمية ، وهي اليوم موزعة في بيوت هذه الاسرة ولعلها المكتبة الوحيدة التي لم يفرط فيها الوارثون بالبيع والتلف ومع ذلك فهي مشتتة بين افراد الاسرة .

٢ ــ مكتبة الشيخ الانصاري (القرن الثالث عشر) وقد بيعت بعده وتوزعت ولم تبق اليوم منها بقية .

٣ ــ مكتبة السيد محمد الهندي ــ (القرن الثالث عشر) ــ وقد ورثها بعده اولاده ثم تفرقت وتألفت من اكثرها مكتبة السيد صادق الهندي .

٤ ـ مكتبة الحاج ميرزا حسين الخليلي (القرن الرابع عشر) وقد توزعت بعده بين ورثته واقتنى اكثرها ابنه الشيخ محمد الخليلي ووهب قسماً منها لمكتبتي مدرستي الخليلي .

٥ ـ مكتبة الآخوند (القرن الرابع عشر) وقد توزعت بعد وفاته ولم يبق منها الا عدد عند اولاده .

٦ ـ مكتبة الشيخ عبد الله المازندراني (القرن الرابع عشر) وقد بيعت بعد وفاته ولم يبق منها شيء يذكر .

٧ مكتبة السيد محمد سعيد الحبوبي ـ (القرن الرابع عشر) وهي من المكتبات المعروفة في وقتها ولم يبقىاليوم منها الا عدد في بيوت (الاسرة) .

٨ ـ مكتبة اليزدي ـ وكانت مكتبة فخمة اسسها السيد كاظم اليزدي ثم أسس ابنه السيد محمد لنفسه مكتبة مستقلة كانت تزخز بالنفائس من الكتب النادرة وكانت تستلفت النظر في وقتها بين مكتبات العلماء في (القرن الرابع عشر) .

٩ ـ مكتبة الماقمقاني ـ (القرن الرابع عشر) وتمتد جذورها الى القرن الثالث عشر فقد أسسها الشيخ حسن الماقمقاني ثم انتقلت الى الشيخ عبد الله وهي الآن في حوزة الشيخ محي الدين الماقمقاني .

١٠ ـ مكتبة آل حرز ـ (القرن الرابع عشر) وقد انتقلت الى حفيده وهي تضم عدداً كبيراً في التفسير والحديث .

١١ ـ مكتبة آل مظفر ـ (القرن الرابع عشر) وقد انتقلت نواتها من الشيخ عبد النبي الى الشيخ محمد حسن مظفر وكانت تخص جميع الأخوة

من آل مظفر ثم تجزأت .

١٢ ـ مكتبة الجزائري ـ (القرن الرابع عشر) وهي بقايا مما احتفظ بها الشيخ عبد الكريم الجزائري وأخوه الشيخ محمد جواد وليس لها بعدهما كيان مستقل .

١٣ ـ مكتبة الشبيبي ـ (القرن الرابع عشر) أسسها الشيخ جواد الشبيبي وقد انتقلت من النجف الى بغداد على أثر انتقال الأسرة وصارت باسم الشيخ محمد رضا الشبيبي ، وهي من اهم مكتبات بغداد الخاصة اليوم .

١٤ ـ مكتبة آل الجواهري ـ (القرن الرابع عشر) وقد كانت مكتبة فخمة يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر ثم توزعت وانتثرت هنا وهناك ولم يبق ما يسمى بالمكتبة الا عند الشيخ عبد الرسول الجواهري .

١٥ ـ مكتبة هبة الدين الحسيني الشهرستاني ـ (القرن الرابع عشر) أسسها في النجف ثم نقلها الى كربلاء وحين سكن بغداد نقلها الى بغداد ، وكانت من المكتبات المذكورة .

١٦ ـ مكتبة الشيخ عبد الحسين الحلي ـ (القرن الرابع عشر) وقد باعها وباع داره حين أعوز ولم يفرّط بكرامته ، وكانت تضم أمهات الكتب الأدبية واللغوية بوجه خاص .

١٧ ـ مكتبة البلاغي ـ وهي مكتبة الشيخ جواد البلاغي ، وقد كانت على قلة عدد كتبها مكتبة جامعة لأهم مصادر الشريعة وكتب المذاهب والنحل .

١٨ ـ مكتبة آل الصافي ـ (القرن الرابع عشر) وهي مكتبة السيد

محمد رضا الصافي والسيد أمين الصافي ولم يبق منها الا ما احتفظ بها السيد أمين وقد نقل بعضها الى البحرين .

١٩ ــ مكتبة الشيخ قاسم محي الدين ــ (القرن الرابع عشر) وقد اضطر الى بيعها وانفاق ثمنها على معالجته وكانت مكتبة تحتوي على عدد قليل من المخطوطات والكتب القديمة في مختلف العلوم الدينية .

٢٠ ــ مكتبة الشرقي ــ (القرن الرابع عشر) وقد ورث بعضها الشيخ علي الشرقي ، من ابيه الشيخ جعفر الشرقي وأضاف إليها ووسعها ، وحين انتقل الى بغداد نقلها معه .

٢١ ــ مكتبة السيد علي شبر ــ (القرن الرابع عشر) ولآل شبر في النجف عدة مكتبات نقلت الى خارج النجف بانتقال أصحابها واشهر هذه المكتبات واوسعها هي مكتبة السيد علي شبر وهي تضم طائفة من كتب الفقه النادرة ، والحديث والتفسير .

٢٢ ــ مكتبة السيد محمد البغدادي (القرن الرابع عشر) وتعتبر اليوم من المكتبات المذكورة بما تحتوي عليه من المخطوطات النادرة في الحديث والفقه والتفسير .

٢٣ ــ مكتبة السيد علي السيد هادي بحر العلوم (القرن الرابع عشر) وكانت من أوسع المكتبات تجمع بين الحديث والقديم وفيها عدد من المخطوطات النادرة وقد اضطرته الظروف الى بيعها فباعها ولم يبق منها الا بقية اتخذ منها خلفه السيد محمد نواة ولم تلبث ان اصبحت اليوم مكتبة مذكورة .

٢٤ ــ مكتبة المقرم ــ (القرن الرابع عشر) وهو السيد عبد الرزاق المقرّم ، وتعد اليوم من المكتبات المحترمة وفيها عدد من الكتب القديمة

المهمة بالإضافة الى أمهات الكتب الحديثة .

٢٥ ـ مكتبة الهمداني ـ (القرن الرابع عشر) وهي الآن من المكتبات الخاصة لا يفوتها العد اذا عدت المكتبات .

٢٦ ـ مكتبة الجعفري ـ وهي مكتبة صالح الجعفري ، مكتبة ثمينة جمع فيها الجعفري اهم المصادر والمراجع بالاضافة الى النسخ النادرة من الكتب المطبوعة والمخطوطة وبصفته من شعراء النجف المعروفين فقد اهتم بجمع عدد من الدواوين والمجاميع الشعرية التي يقل نظائرها في المكتبات الاخرى ، وقد اشترى قسماً من كتب الشيخ السماوي عند عرضها للبيع كما قد مر .

٢٧ ـ ولكل مدرسة رسمية حديثة مكتبة صغيرة لا يزيد مجموعها على محتويات دولاب او دولابين من الكتب لمراجعة المعلمين كما هو الحال في جميع المدارس الرسمية في العراق ، كذلك هو الحال في اغلب المدارس الدينية فان فيها بعض القماطر المحتوية على بعض الكتب النافعة ، وبالاجمال فان النجف بمكتباتها تعتبر أهم مرجع في البحوث العلمية بمختلف مواضيعها وهي تحتوي على عدد غير قليل من الكتب النادرة والفريدة بين الكتب التي ضاعت اصولها وانحصرت بنسخ معينة ربما لم تمالكها مكتبة غير مكتبات النجف .

يقول صاحب جريدة (كل شيء) البغدادية انه زار في اثناء مروره بالمانيا الديمقراطية البروفسور (هارفر) استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة (ليبزيج) وحين جاء حديث الكتب والمكتبات قال البروفسور (هارفر) عن مكتبات النجف ما يلي وبهذا النص :

« ما زال النجف الاشرف منطلق الاشعاع الفكري العربي ، وما زالت كنوزه الفكرية والادبية والثقافية تبث الانوار في الافكار ، والخير في النفوس ، وما زالت مكتباته تعج بانفس الاسفار مما جعلها دائماً في مقدمة المكتبات العالمية »(١) .

(١) جريدة كل شيء — بغداد — الاثنين ٢٥-٤-٩٦٦ .

نموذج من نماذج وقف المكتبات
وهو كيفية وقف مكتبة الشيخ آغا بزرك

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الواقف على خطرات الضمائر ، والمطلع على خفايا السرائر ، والعالم بما زبر في كافة الدفاتر ، والصلاة والسلام على من أُوحي اليه كتاب الاسلام ، الناسخ لما أُنزل قبله على الأنام ، وعلى أوصيائه المعصومين عن جميع الآثام ، حفظة شرعه وكتابه الى يوم القيام .

وبعد : فلما وافاني التحريض من أولادي الكرام ، وبلغني التأكيد عنهم بابقاء كتبي في مقبرتي في النجف الأشرف لانتفاع عموم الفضلاء والأعلام ، ودعاني ترغيب الشرع الشريف الى تقديم الصدقة الجارية النافعة لأهل الاسلام . اغتنمت الفرصة واستخرت الله جلاّ جلاله ، وأجريت صيغة الوقف على كافة ما تحويه مكتبتي في النجف ، المؤسسة بعد نزولي اليها من سامراء في سنة ١٣٥٤ ﻫ ما عدا المطبوعات من (الذريعة) و (طبقات أعلام الشيعة) فانها تباع وتصرف قيمتها في طبع بقية أجزائهما ، وما عدا ما كتبته بقلمي من تصانيفي وغيرها ، ممّا سبق مني وقفها خاصة لخصوص أهل الفضل من أولادي الذكور ، لانتفاعهم بها ، وإقدامهم على طبعها .

وقد جعلت تولية هذه الكتب ونظارتها لصهري الحاج الشيخ حسين ، والسيد مهدي المدرسي ، وأولادي الذكور القاطنين في طهران ، وأولادهم ، وهم الذين يقومون بادارة المقبرة التي هي محل تلك الكتب ، ويبذلون مصروفاتها ولو فرض والعياذ بالله انقراض هؤلاء أو عدم قيام أحد منهم ببذل مصروفات المكتبة فلتنقل الكتب الى (مكتبة أمير المؤمنين «ع» العامة) التي أسسها الشيخ العلامة الأميني قبل سنين ، ورغبني في ذلك من يوم تأسيسها .

وعلى أيّ فهذه الكتب موقوفة ما بقيت أعيانها إلى أن يظهر الحجة المنتظر عجلّ الله تعالى فرجه ، ويعمل فيها بما أراد الله تعالى ، ومن بدّله بعد ما سمعه فاثمه عليه . وكان وقوع صيغة الوقف ، وقبض المتولي ، في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام من سنة خمس وسبعين وثلثمائة وألف ، وذلك بعد مضي شهر تام على يوم دحو الأرض من تلك السنة ، وبعد مضي ثلاثة أشهر وثلاثة أيام من إنشاء وصيتي الرسمية المؤرخة يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر الصيام من السنة المذكورة وقد حررت ذلك بيدي المرتعشة في داري في النجف الأشرف وأنا :

الفاني
آغا بزرك
الطهراني
عفي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

اعترف شيخنا المعظم أمد الله
ظل وجوده بما حرره بقلمه
الشريف
حرره حسين الشيخ مشكور طاب ثراه
ختم

بسم الله تعالى

اعترف شيخنا المعظم دام ظله
بما رقمه بخطه الشريف لدى عبد الله
ابن السيد محمد طاهر الشيرازي
ختم

بسمه تعالى

اعترف شيخنا العلامة أدام الله أيامه
بما في الورقة لدى الاحقر محمد
رضا الطبسي
ختم

بسم الله تعالى

اعترف شيخنا العلامة أدام الله ايامه بما في
الورقة لدى الاحقر ابراهيم الحسيني الشيرازي
الاصطهباناتي الشهير بميرزا
ختم

اهم المصادر التي اعتمدها الكاتب

١ ـ العصور القديمة ـ لجيمس هنري بريستد

٢ ـ مجلة سومر ج ١ ـ ٢ مديرية الآثار العامة

٣ ـ خزائن الكتب القديمة في العراق لكوركيس عواد

٤ ـ ما أخذ الشعر العربي من الفارسية ، وما أخذ الشعر الفارسي من العربية ـ محاضرة لجعفر الخليلي .

٥ ـ الفهرست لابن النديم

٦ ـ تاريخ بغداد

٧ ـ دائرة المعارف البريطانية

٨ ـ نامه آستانه قدس بالفارسية (مجلة)

٩ ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ لمحمد فريد وجدي

١٠ ـ ضحى الاسلام ـ احمد امين

١١ ـ المزهر

١٢ ـ وفيات الاعيان

١٣ ـ تأريخ التمدن الاسلامي

١٤ ـ دليل خارطة بغداد المفصل للدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد نسيم سوسه

١٥ ـ الاحلام ، للشيخ علي الشرقي

١٦ ـ حياة الشيخ الطوسي

١٧ ـ خطط الشام

١٨ ـ ابو العلاء وما اليه ، لعبد العزيز الميمني (اخرجه كوركيس عواد)

١٩ ـ رسائل ابي العلاء المعري
٢٠ ـ معجم البلدان
٢١ ـ المستدرك على الكشاف ـ عبد الله الجبوري
٢٢ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ لجرجي زيدان
٢٣ ـ عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب لابن عنبه
٢٤ ـ عنوان الشرف في .وشي النجف ـ للشيخ محمد السماوي
٢٥ ـ مجلة لغة العرب ٣ ـ ٤ ، ١٩١٤ (اخرجه كوركيس عواد)
٢٦ ـ ماضي النجف وحاضرها ، للشيخ جعفر محبوبة
٢٧ ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة ، للشيخ اغابزرك
٢٨ ـ الحصون المنيعة ـ للشيخ علي آل كاشف الغطاء (مخطوط)
٢٩ ـ نهج الصواب ـ للشيخ علي آل كاشف الغطاء (مخطوط)
٣٠ ـ رحلة ابن بطوطة ـ ج ـ ١
٣١ ـ هكذا عرفتهم ـ لجعفر الخليلي
٣٢ ـ الكنى والالقاب
٣٣ ـ الاعلام ، للزركلي
٣٤ ـ اعيان الشيعة ـ للسيد محسن الامين
٣٥ ـ دار السلام ـ للميرزا حسين النوري
٣٦ ـ كتابخانهاي ايران ـ بالفارسية ـ للشيخ عبد العزيز الجواهري
٣٧ ـ دليل الجمهورية العراقية ـ لسنة ١٩٦٠
٣٨ ـ حقائق التأويل ، للسيد الشريف الرضي ج ـ ٥
٣٩ ـ لمحات من حياة الشيخ اليعقوبي
٤٠ ـ مجلة (الرسالة)
٤١ ـ جريدة (البلد)
٤٢ ـ جريدة (كل شيء)
٤٣ ـ جريدة (الهاتف)

فهرست الجزء الثاني

من قسم النجف

مكتبات النجف الخاصة

مكتبات القرن الثالث عشر








Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

